الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 8 MAI 1945-GUELMA
faculté des lettres et des langues
Département de langue et littérature Arabe

جامعة 8 ماي 1945 قالمـــة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

N° : ……..

الرقم: ……

مذكرة مقدمة لنيل درجة

الماجستير

(تخصّص:بلاغة ونقد أدبي)

ملامح التجربة النقدية في الرسالة الموضحة في سرقات المتنبي وساقط شعره للحاتمي

-دراسة وصفية تقويمية-

إعداد الطالبة:
صبيحة جلايلية

إشراف الأستاذ:
أ.د.رشيد شعلال

تاريخ المناقشة:2015/12/12

لجنة المناقشة:

– أ.د.فريدة زرقين	أستاذة التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
– أ.د رشيد شعلال	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا
– د. وردة معلم	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا
– د.عبد الرحمان زايد قيوش	أستاذ محاضر (أ)	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة: 2015/2014

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿وَقُلِ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اَللَهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤمِنُونَ﴾

(سورة التوبة الآية 105)

رواية ورش

الإهـــــــــداء

إلى كل رسول يسمو برسالته حدّ الشـــــــمس

إلى كلّ من في الوجود بعد الله و رسولـــــــــه

إلى التي أينما كانت هبة من الله و طريقا للجنّة

أمي الحبيبة

إلى صدر العطاء الغير محدود و رأس الأمر

و ذروة سنامه إلى من أحمل اسمه بكلّ فخر

أبي الحبيـــب

إلى شريك الـــــعمر و رفـــــــيق الدرب

زوجي العزيـــــــز

محمد الأمين

إلى من أفخر بهم و بوجودهم،إلى زهورا تملأ

القلوب بهجة و الحياة فرحا و الأيام جمـــــالا

إخواني و أهلي

إلى من قضينا معهـم أجمـــــل سنوات العمرلمن

تبكي قلوبنا لفراقهم إلى رفقاء الكدح و الكفاح

أصدقاء العمـر

خولة،إيمان، وداد، جازية،فريدة، وفاء،عبلة،

صليحة ،حبيبة،وفاء

صارة،سعاد،أمال

والكتاكيت:

مهدي،اسلام،اسحاق،مرام،ضحى، هبة

علاء،رحمة،محمد،مريم،ملاك

شكر وتقدير:

الحمد والشكر لله الذي وفقني وأعانني على إنجاز هذا البحث.

ثم الشكر الجزيل لأستاذي المشرف "رشيد شعلال" الذي مد لي يد العون، ومنحني من جهده ووقته الكثير، فصوبت أخطائي وصححت زلات قلمي،فلك مني كل الاحترام والتقدير.

كما أتوجه بالشكر الجزيل للأستاذة الدكتورة رئيسة المشروع "فريدة زرقين" التي لولا مشروعها لما ولجت باب الدراسات العليا.

ولا يفوتني أن أشكر القيّمين على سير قسم اللغة والأدب العربي من أساتذة وإداريين وعلى رأسهم الدكتور "العياشي عميار".

وأخيرا أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد على إنجاز هذا البحث العلمي.

مقدمة

موضوع المدونة مناظرة جرت بين الحاتمي و أبي الطيب المتنبي في مدينة السلام أين التحف الأخير رداء الكبر و العظمة متخيلا أن العلم مقصور عليه ، وأن الشعر لا يغترف عذبه غيره ولا يرى أحدا إلا ويرى لنفسه مزية عليه ،ورأى أبو علي الحاتمي أنه هو ذلك الرجل الذي يستطيع أن يجرح المتنبي و أن يحطّ من قدره فسار إلى الشاعر سير الظافرحتى انتهى إليه ،وهو بمنزل على بن حمزة البصري في بغداد حيث كان المتنبي نازلا وحيث كان تلاميذه والمعجبون به ينشدونه شعره وهو يفسره لهم.

و من أجل الوقوف على أسرار تجربة الحاتمي النقدية وكشف معاييرها وأبعادها وكذا ملامحها،حاولنا التعرّف على واحد من أعلام الأدب في مجال النقد وهو أبو علي الحاتمي (388ه) الذي يعدّ أحد رواد النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري.

إضافة إلى الضّرورة الملحّة إلى استكمال بعض الحقول الفكرية النقدية التي تفرّد بها الحاتمي (388ه) خاصّة ما تعلّق منها بموضوع السرقات عند المتنبي.

ولذلك فقد تضمن البحث مدخلا وثلاث فصول وخاتمة وفهارس .

ـ حاولنا في المدخل إظهار الملامح العامة المحيطة بالنقد الأدبي في القرن الرابع الهجري وماتخلّله من صراع بين أبي تمام والبحتري وما أثاره هذا الصراع من ضجة كبيرة في الوسط الأدبي وما إن انتهى هذا الصراع أو كاد حتى بدأت بوادر الخصومة حول المتنبي من الظهور في الأفق ، وقد فاقت هذه الخصومة أو كادت، الصراع بين الطائيين ومع قرب نهاية القرن الرابع بدأ الحديث عن تأثير الثقافة اليونانية في العربية ، وما مدى تأثّر المتنبي بثقافة أرسطو طاليس .

أما الفصل الأول فعنوناه بـ : معايير النقد الأدبي عند الحاتمي وعالجنا فيه : اللغوي والبلاغي وما تضمنه من تشابيه واستعارات وكنايات وطباق وجناس ومبالغة ولغو .وكذا المعيار التداولي نفسيا كان أو اجتماعيا أو دلاليا.

وتناولنا في الفصل الثاني :ملامح التجربة النقدية وكان أول ما تطرقنا إليه هو النزعة التقويمية للأحكام النقدية وفيها بينا ما استهجن قوله وما استحسن منه ثم عالجنا الملمح

المعرفي للحكم النقدي وبعدها بنية المعيار النقدي وما تضمنه من تعريف للبنية والبنية الشعرية ،وبنية الصورة الشعرية وكذا العجم الإيقاعي وأخيرا عالجنا تحليل المعيار النقدي.

ـ و تضمن الفصل الثالث :أبعاد التجربة النقدية عند الحاتمي بما فيها البعد الاجتماعي وفيه بينا معناه ومبدأ القراءة النقدية الاجتماعية والبعد النفسي و القراءة التحليلية النفسية واستدعاء التحليل النفسي للأدب والسيرة النفسية وثالثا البعد الأخلاقي وفيه تعريف له وكذا التفكير الفلسفي عند المتنبي ، ثم أجرينا مقارنة بين شعر المتنبي وحكم أرسطو طاليس وأخيرا البعد الحجاجي للتجربة النقدية حيث وقفنا على:مفهومه،وبواعثه وتقنياته.

وذيلنا البحث بخاتمة عرضنا فيها النتائج المستخلصة كما أدرجنا في نهاية المذكرة ملحقا تضمن لمحة موجزة عن حياة كل من الحاتمي (388هـ) والمتنبي (350هـ).

وقد فرضت طبيعة المنهج الاستقرائيالإستفادة من عدة مناهج في مقدمتها المنهج التاريخي الذي وظفناه لمعرفة ما جرى خلال القرن الرابع الهجري وتسلسل الأحداث فيهوالموازنةالتي ظهرت جلية في مقارنة ما جاء عند المتنبي أثناء مقارنة شعره بشعر غيره وكذا سرقته منهم ومن ثم وصف وتحليل مجريات المناظرة التي جرت بين أبي الطيب والحاتمي.

وقد اعتمدنا في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع تمثلت في بعض الكتب خاصة منها المتخصصة في النقد الأدبي والشعر والشعراء العرب وبعض المجلات الجامعية التي تدعم البحث .

ـ وكأي باحث حديث التجربة بالبحث اعترضتني جملة من الصعوبات منها : أنّ بعض المؤلفات تتحدث عن النقد في كل العصور و تغفل بعض الشيء القرن الرابع الهجري دون التطرق إلى أهم تفاصيله ولا تقف على كل أحداثه وأحيانا تمر عليه مرور الكرام أو يتناولون بالنقاش جزءا يسيرا منه باعتبار النقد كل متمم لبعض في كل العصور.

ويطمح البحث إلى تحقيق بعض الأهدافأهمها:

1- المساهمة فيتأصيل بواكير النقد الأدبي عند العرب حيث إن الشاعر يجئ في مقدمة من أسهموا في نقد الشعر.

2- فتحأبواب ومنافذ للدارسين من أجل الوصول إلىأحكام نقدية أصلية من خلال التراث، تختلف عن تلك التي كانت سائدة في العصر الجاهلي و صدر الإسلام.

كما احتوى البحث على إشكاليات رئيسية جعلنا البحث قائما عليها أهمها:

1- ما هي المعايير النقدية التي اعتمد عليها الحاتمي في رسالته؟.

2-ما ملامح التجربة النقدية عنده؟.

3-ما أهم الأبعاد التي ارتكز عليها في تجربته النقدية؟.

كما لا يخلو البحث من إشكاليات ثانوية جعلت البحث أكثر غنى .

و موضوع البحث ليس بالجديد المطلق، و لا بالمتداول المتكرر، و إنما هو دراسة قد سبق إليها بعض الباحثين ، و هي تختلف عنها في الطرح و التحليل، و من هذا المثيل صنيع الباحث "ملكة علي كاظم الحداد" في رسالتها المخطوطة الموسومة ب" سرقات المتنبي في النقد العربي القديم"،و هي من جامعة الكوفة بالعراق.و الباحث "شلوف حسين" في رسالته المخطوطة "شعر الحكمة عند المتنبي بين النزعة العقلية و المتطلبات الفنية".

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المشرف الدكتور " رشيد شعلال " على ثقته فيّ حين قبولهالإشراف على هذا البحث، وعلى مده لي يد المساعدة من خلال الملاحظات والتوجيهات القيمة، وعلى حسن معاملته.

وأتوجه بالشكر الخالص لكل الأساتذة والإداريين في قسم اللغة والأدب العربي وعلى رأسهم الدكتور "العياشي عمياز".

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قراءة هذا البحث، من أجل تقييمه و إثرائه، وكل من قدم لي العون من أساتذة وزملاء. ولله الفضل أولا وقبل كل شيء فهو الموفق و به نستعين.

المدخل

ما يمكن أن نقوله عن النقد في القرن الرابع الهجري، أنه كان خصبا جدا ،متسع الأفاق،متنوع النظرات ،معتمدا على الذوق الأدبي السليم، مؤتنسا بمناحي العلم في الصورة والشكل،لا في الجوهر والروح .إن حلل فبذوق سليم، و إن علل فبمنطق شديد، و إن عرض لفكرة أتى على كل ما فيها .و هذا ما جعلنا نقول أن نقدة القرن الرابع، هم استمرار و امتداد للذين جروا في النقد على الأصول العربية في القرن الثالث، و امتداد للغويين وللنقدة الأدباء مجتمعين

وبفضل ثلاثة عوامل كانت قوى دافعة في توجيه النظرية الشعرية في نقد القرن الرابع، لكان حظ ذلك النقد في الاتساع أقل مما أتيح له، ولكن تلك العوامل الثلاثة جعلت للنقد محورا ومجالا ،سواء أكان ذلك في الحدود النظرية أو التطبيقية .أما تلك القوى التي نشير إليها فهي : أبو تمام،أرسطو ،والمتنبي لذلك يمكن أن يدرس النقد في القرن الرابع في ثلاثة فصول كبرى هي:الصراع النقدي حول أبي تمام و النقد في علاقته بالثقافة اليونانية،و معركة النقد التي دارت حول المتنبي[1].

وقد كانت حركة النقد الأدبي جياشة في القرن الرابع ،إذ وجد في المحدثين شعراء لا يقلون عن الإسلاميين و الجاهليين ،ملكة و قريحة و قدرة .فتباينت فيهم الآراء و اختلفت الأذواق ،و شغل الناس بأبي تمام و البحتري ،حتى إذا ظهر المتنبي كانت خصائص كل منهما قد عرفت ،وكانت الخصومات فيهما قد هدأت فانصرف النقاد عنهما إليه.فأكثروا فيه الكلام ،و صنفوا فيه الكتب .وكان به كبر أو عجب ،أو أنفة جرت عليه بعض الشيء ،و أثارت عليه خصوما وحسادا ،ومن الطبيعي أن نجد أبا تمام يشغل النصف الأول من القرن الرابع الهجري،وأن يقابله المتنبي في النصف الثاني منه,و أن يظل التمرس بالثقافة اليونانية مستمرا طوال القرن الرابع ،بل و يتعداه إلى ما بعده[2]

---

[1] ينظرإحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري،دار الشروق،عمان،ط1993،1، ص113 .

[2]- طه أحمد ابراهيم:تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي ختى القرن الرابع الهجري،دار الكتب العلمية،بيروت ،لبنان،دط،دت، ص 143.

أولا :الصراع النقدي حول أبي تمام و البحتري

رغم خضوع الشعراء لتقاليد الشعر الجاهلي، إلا أنهم يستطيعون أن يقولوا شعرا أصيلا صادقا بسهولة متى ما واتاهم وحي الشعر،...وبإمكانهم القول في مواضيع شتى من الشعر ،هذا الأخير الذي نبت في الصحراء و ترعرع فيها ،فهو أدب البداوة والرحيل و التنقل والغارات و الحروب،أدب قوم ثروتهم بيانهم يتحركون بالقلوب أكثر مما يتحركون بالعقول[1] ،و " كان باستطاعتهم أن يسلكوا تلك المواضيع كما يريدون و لكنهم لسوء الحظ لم يفعلوا ،بل حبسوا أنفسهم في تفاصيل الصور، و المعاني، من وصف للدمن، و الأثافي، و الوحوش، ومحو الرياح للآثار، و سؤال الدار واستعجامها عن الجواب، و استيقاف الصحب، و البكاء على الظاعنين، "[2] و قد ضيقوا بذلك على أنفسهم المجال و حصروا أنفسهم على قواعد منعتهم من خلق كل جديد

- لم تأت المحنة إذن من تقيد الشعراء بالقواعد الفنية للقصيدة القديمة، و لا من تكرار الموضوعات ،و إنما أتت من التقيد بالتفاصيل،وفي هذا ما يفسر نزعة أبي تمام إلى التجديد في الصياغة و اتخاذه من البديع مذهبا . وهذا ما أدى بابن المعتز إلى تأليف كتاب سمّاه "كتاب البديع" ، ليدل على أن هذا الفن موجود عند العرب، و في القرآن، والحديث ،وكلام الصحابة ، وأن المحدثين لم يكونوا مبتكرين له ،حيث يقول في مقدمة كتابه : "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن و اللغة و أحاديث رسول الله صلى الله عليه و كلام الصحابة والأعراب و غيرهم و أشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشارا ومسلما و أبا نواس ومن تقيلهم و سلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن و لكنه كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه و دل عليه "[3]ومع أن الكتاب قد سمي باسم "كتاب البديع "، فإن ابن المعتز أضاف إليه بعض محاسن الكلام والشعر لتكثر فائدة كتابه .

---

[1] المرجع نفسه،ص 144.

(2) محمد مندور :النقد المنهجي عند العرب ، دار الكتب العلمية، ص79

([3])- ابن المعتز:كتاب البديع،دار المسيرة ،بيروت- لبنان ،ط 3،1982،ص،01.

- و قد كانت الظاهرة التي يمثلها "أبو تمام" في الشعر، قد شغلت النقاد و المتذوقين في القرن الثالث،ثم ورثها نقاد القرن الرابع و أمعنوا فيها ،أما الخصومة الشفوية حوله فقد كانت واسعة النطاق ،و لم تسكن نائرتها في القرن الرابع ،بل لعلها ازدادت في النصف الأول منه حدة ،و قد تحددت تلك العيوب في: سرقته لبعض المعاني و في تعسفه للاستعارة و بعض الوجوه الأخرى ، وفي الإبتداءات البشعة ، و في استعماله لألفاظ وحشية غريبة ، و في استغلاق بعض معانيه .إذن لقد لاقى "أبو تمام" كثيرا من النقد لاتخاذه البديع مذهبا فمنهم من اتهمه بالسرقة ،و منهم من اتهمه بإفساد التراث الموروث،ومنهم من اتهمه بذم القدماء في معانيهم و في عباراتهم, مع أن الجميع قد سلم بأنه لم يخرج من دائرة التقليد،فقد ألف "ابن عمار"(319) رسالة في أخطاء "أبي تمام" ، و قد كتب "أبا بكر محمد بن يحي الصولي"(335) رسالة ردا على من حاول أن يسلب "أبا تمام" حسناته،أمثال ابن عمار،كما ألف "الآمدي" كتاب في معاني الشعر للبحتري كرد على "ابن عمار" فيما خطأ فيه "أبا تمام". مع أنه هوالآخر قاد حملة على استعارات "أبي تمام"[1].ففي كتابه الموازنة عد "لأبي تمام" 120 بيتا أخذ معانيها من الشعراء، وله موقف من قضية السرقة، فهو على تتبعه لها، يحس أنها ليست من العيوب الكبيرة.أما الصولي و على الرغم من تعصبه له فقد عد له هو الآخر ثلاث أنواع من السرقات هي :

1- سرقة اللفظ

2- سرقة المعنى

3- سرقة اللفظ و المعنى

ثم لجأ النقاد إلى مقارنة شعره بشعر "البحتري" السهل البسيط على حد تعبيرهم ،و مالوا في حكمهم إليه ،لأنه لم يكد خاطره في مخالفة عمود الشعر ، فجاء شعره سلسا عذبا تستصيغه الأذان قبل العقول.مع أن العلاقة بين "أبي تمام و البحتري" كانت عادية ،فأول

([1]) -أحمد مطلوب: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري،وكالة المطبوعات ،الكويت،ط1973،1،ص207.

معرفة بينهما كانت في حضرة "أبي سعيد محمد بن يوسف"[1] لما مدحه بقصيدة طويلة فسر بها "أبو سعيد"و قال أحسنت و الله يا فتى. فأقبل عليه أبو تمام و قال :يا فتى أما تستحي ؟ هذا شعري تنتحله و تنشده بحضرتي ؟ فقال أبو سعيد :أحقا ما تقول؟ قال: نعم ،و إنما علقه مني فسبقني به إليك ؛ ثم اندفع فأنشد القصيدة حتى شككني -علم الله- في نفسي و بقيت متحيرا فأقبل علي أبو سعيد و قال :يا فتى لقد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا ،فجعلت أحلف بكل محرجة من الإيمان أن الشعر لي ،ما سبقني إليه أحد ،ولا سمعته ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئا ،وأطرق أبو سعيد،وقطع الكلام حتى تمنيت أني سخت في الأرض ،فقمت منكسر البال أجر رجلي فخرجت ، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان إلي فردوني، فأقبل علي الرجل وقال :الشعر لك يا بني ،والله ما قلته قط ،و لا سمعت به إلا منك ...و جعل أبو سعيد يضحك ،فدعاني أبو تمام فضمني إليه وعانقني وأقبل يقرضني ، ولزمته بعد ذلك ، وأخذت عنه ،واقتديت به".[2] فأبو تمام هو تلميذ البحتري، وهو نفسه التلميذ الذي تمرد على أستاذه.

ـ غير أن الخصومة بين الشاعرين قد بدأت في حياتهما، واحتدمت بعد موتهما حتى بلغت أقصاها، في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع

أراد إذن" أبو تمام" البديع فخرج إلى المحال، فعابه قوم وأيده آخرون، وحميت المناقشة حول مذهبه في مجالس الأدب وبين النقاد ،ولم يقف الأمر عند حد المناقشات، بل تعداه إلى التأليف[3]. فقد ألف فيه العديد من الكتب بعضهم في حياته ،و معظمهم بعد مماته، و أهم مؤلفين :"الصولي و الآمدي".

ـ ونظر النقاد إلى شعر "البحتري" وسهولته وجريانه على عمود الشعر،فقارنوه بـ"أبي تمام" ، وكثرت في ذلك الأقوال والحجج. وقد اقتصر كل فريق ـفيما يبدو ـ على الأحكام

---

[1] ـهو محمد بن يوسف بن عبد الرحمان ،المعروف بأبي سعيد الثغري نسبة لعمله معظم أيامه في ثغور المسلمين وكان قائدا من كبار القواد ،و أصله من مرو.

[2] ـأنظر:يوسف البديعي: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ،تحقيق :مصطفى السقا،محمد شتا،عبده زيادةدار المعارف، ط2 ،ص33

[3] -محمد مندور:النقد المنهجي،ص91

العامة ،إلى أن وضع "الآمدي" كتابا في الموازنة بين الطائيين الذي لا يقتصر فيه على إيراد حجج كل فريق، بل يأخذ في دراسة الشاعرين والمقارنة بينهما وفق منهج تفصيلي.[1]

أما "الصولي" فيرى في خصوم" أبي تمام" أحد الرجلين : رجل جاهل عجز عن فهمه فعابه ،ورجل معاند ساقط يريد أن يتخذ من تجريحه لأبي تمام سبيلا إلى المجد [2]. أما منزلة عائب أبي تمام في نظره فهي "منزلة حقيرة يصان عن ذكرها الذم و يرتفع عنها الوهد.و قد كان الشعراء قبل أبي تمام يبتدعون في البيت و البيتين في القصيدة فيعتد بذلك لهم من أجل الإحسان ، و أبو تمام أخذ نفسه وسام طبعه أن يبدع في أكثر شعره ، فلعمري لقد فعل و أحسن و لو قصر في قليل-وما قصر-لغرق ذلك في بحور إحسانه،و من الكامل في شيء حتى لا يجوز عليه خطأ فيه إلا ما يتوهّمه من لا عقل له" [3]؛لقد كان الصولي متحيزا في كتابه إلى أبي تمام مع أنه أراد العدل و الإنصاف بين الطائيين ومنه نجد أنه الصولي ناقد متعصب لأبي تمام حتى أنه إذا سمع بأن أحد النقاد قد عاب عليه لفظا أو معنى كان جوابه :"لو عرف هؤلاء ما أنكره الناس على الشعراء الحذاق من القدماء والمحدثين ....."[4] . أما منهجه في الدفاع عن شاعره: هو منهج القياس بالقدماء والسابقين على "أبي تمام

مع أن هذا المنهج الذي اتبعه "الصولي" غير كاف في الحكم على الشعراء ،وهو يدل على عدم فطنته للمفارقات الأدبية الدقيقة

ثانيا:الخصومة حول المتنبي :

لا شك في أن الخصومات التي نشأت حول الشعراء قبل "المتنبي" لم تخل من مُيولات شخصية ،والذي لا شك فيه أن تلك المنافسات كانت قوية جدا لدرجة أن الموت نفسه لم

---

(1)-المرجع السابق،ص 91

(3)- أنظر الصولي: أخبار أبي تمام ،ص 14

(3)- محمد مندور :النقد المنهجي،ص 94

(4) أحمد مطلوب:اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص 207

يستطع أن يطفئ نارها .وقد كان الشعراء أنفسهم يغارون على شعرهم، ويدافعون عنه ويختصمون من أجله، ويتحملون الصعاب في سبيله.

حتى أنّه ما إن انتهى الصراع بين أنصار" أبي تمام والبحتري" حتى قام صراع من نوع آخر , وكان ميدانه شعر "المتنبي" ، الذي شغل الدنيا منذ ظهوره حتى هذا العصر وانقسم النقاد إزاءه فريقين منهم معارض وآخر مؤيد.

والملاحظ أن تلك الخصومات لا تدوم مع تراخي الزمن إلا إذا كان لأصحابها مناح خاصة.وأبقى الخصومات في تاريخ الشعر العربي قد قامت حول ثلاثة شعراء يمثلون اتجاهات قوية . إما لأنهم قد أتوا بمذاهب جديدة أو تشبه الجديدة، أو لأنهم قد صدروا عن طبع أصيل .فأبو نواس وأبو تمام قد أحدث كل منهما في الشعر العربي حدثا ليس بهين وجاء المتنبي فسار في أول حياته على نهج أبي تمام واخذ بمذهبه وتتلمذ له ...حتى إذا استوت ملكته الشعرية صدر عنها ،فإذا به يأتي بنغمات جديدة فيها من القوة والقدرة على التصوير والإيحاء ما يجعله شاعرا أصيلا ،وكان له حتى اليوم في الأدب العربي ابلغ الأثر[1].

وقد كان ظهور "المتنبي" مصدر حيرة كبيرة للذوق والنقد معا،وصدم "المتنبي" الذوق مرتين مرة بشخصه المتعالي المتعاظم ،ومرة بجرأته في الشعر .

و الخصومة حول المتنبي لم تكن خصومة حول مذهب شعري ،وإنما كانت خصومة حول شاعر أصيل . وهي ليست في شيء استمرار للخصومة حول أبي تمام كما يقول البعض والحقيقة أن الخصومة التي نشأت حول المتنبي كانت منذ اتصاله بسيف الدولة ،وذلك بسبب شهرته وذيوع صيته ،مما أدى إلى إخماد شعلة باقي الشعراء يقول "بلاشير " plachir" وأخذت تتكون حول "المتنبي" شيئا فشيئا حلقة من المعجبين به ،ووجد الشاعر في تكوينها

[1]- محمد مندور:النقد المنهجي .ص:164- 165

رضا لكبريائه ولربّما اطمأن إليها ،ليتخذ منها درعا ضد خصومة" [1]

وحلقة المعجبين هم : "سيف الدولة" ووزرائه وحاشيته التي زادت من مكانة "المتنبي" وأغدقت عليه بالمال الوفير الذي أدى فيما بعد بـ"المتنبي" إلى ما يعرف بالتعالي والتعاظم خاصة بعد ما حققه من نجاح

وبذلك يمكن القول أن" المتنبي" لم يكن شاعرا متسولا- كما جاء على لسان بعض نقاده – يمدح الملوك و الأمراء ليحصل على المال ، وإنما كان رجلا سياسيا يشتغل بالحياة العامة، وهو كثير الاتصال بالقادة والأمراء من خلال مدحهم وذكر أمجادهم ،في قصائد طويلة لاقت من الشهرة مالاقى أصحابها من مكانة، وهو بذلك يعد مصدرا معلوماتيا –إخباريا- لكل ما يحدث في الحياة السياسية ،وذلك من طريق ذكر كل تفاصيلها، فلو أمعنا النظر في طبيعة تلك القصائد التي كانت تقال في الحكام والساسة ، لوجدنا انعكاسا واضحا لشخصية هذا الداعية السياسي، لكنه في كثير من الأحيان كان يشغله مدح نفسه عن مدح الممدوح – سيف الدولة مثلا – ويبدو أن حبه لسيف الدولة كان حبا لنفسه ،ومدحه إياه وكأنه مدحا له[2]

أ-المجالس الأدبية:

كانت تقام جلسات أدبية في حضرة سيف الدولة ،يتبارى فيها الشعراء فيما بينهم ويتلقون النقد على أشعارهم ، وقد حضر مرة "أبو فراس" وبدأ في تحريض سيف الدولة ضد شاعره – المتنبي طبعا- بقوله " إن هذا الشاعر المتشدق كثير الإدلال عليك وأنت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار على ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرق مائتي دينار عشرين شاعر بما هو خير من شعره ".[3]

ولما بلغ "المتنبي" ما قاله "أبو فراس" أنشد يقول:

---

[1] ـالمرجع السابق:ص:167

[2] -عبد العزيز الدسوقي:في عالم المتنبي ،دار الشروق،ط2 ،1988.ص19

[3] ـ محمد مندور :النقد المنهجي ،مرجع سابق،ص 171.

ألا ما لسَيفِ الدولةِ اليَوْمَ عاتِبَا فَداهُ الوَرَى أمضَى السّيُوفِ مَضَارِبَا[1]

وما إن انتهى حتى أطرق سيف الدولة ،ولكن أبو فراس لم ييأس من التوقيع بينهما ،فنظم "المتنبي" قصيدة قال في أولها:

وَا حرّ قَلْباه ممّنْ قلبُهُ شَبِمُ وَمَنْ بجِسْمي وَحالي عِندهُ سَقَمُ[2]

إلى أن وصل في قوله :

يا أعدَلَ النّاس إلاّ في مُعامَلَتي فيكَ الخِصامُ وأنت الخصْمُ والحكَمُ[3]

قاطعه أبو فراس واتهمه بأخذه من قول دعبل:

وَلستُ أرجو انتصافاً منكَ ماذرفتْ عَيني دموعاً وأنتَ الخصمُ والحكمُ[4]

فرد عليه المتنبي قائلا:

أُعيدُها نظراتٍ منكَ صادِقَةً أن تحسَبَ الشّحمَ فيمن شحمُه وَرَمُ[5]

وهنا أدرك "أبو فراس" بأنه يقصده هو فقال : ومن أنت يا دعى كندة حتى تأخذ أعراض الأمير في مجلسه" ولكن "المتني" استمر ينشد:

سيَعلَمُ القومُ ممّنْ ضمّ مَجلِسُنا بأنّني خيرُ مَنْ تَسْعى بهِ قدمُ[6]

أنا الذي نَظَرَ الأعمى إلى أدَبي و أسْمعتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ

---

(1) ـ ديوان المتنبي، دار الجيل بيروت ،ص 335.

(2) ـالمصدر نفسه ،ص 331

(3) ـالمصدر نفسه ،ص332.

(4) ـ محمد مندور: النقد المنهجي،ص 172.

(5) ـ ديوان المتنبي،ص 332.

(6)- المصدر السابق،ص332.

وهنا قال "أبو فراس" : إنك سرقته من "عمر بن عروة بن العبد" حيث يقول :

أوضحتَ من طرقِ الآدابِ ما اشتكلتَ دهراً وأظهرتَ إغراباً وإبداعَا[1]

حتى فتحتَ بإعجازٍ خصصتُ به للعَمى والصممُ أبصاراً و أسماعَا

ولما وصل "المتنبي" إلى قولهِ

الخَيلُ واللّيلُ والبَيْداءُ تَعرِفُني والسيفُ والرّمحُ والقرْطاسُ والقَلَمُ[2]

فقال" أبو فراس": وماذا أبقيت للأمير إذا وضعت أنت نفسك بكل هذه الصفات – الشجاعة،الفصاحة ،الرياسة، السماحة- إنك تمدح نفسك بما تسرقه من غيرك وفوقها يغدق عليك الجوائز وتقبلها ؟ أما سرقت هذا من قول "الهيثم بن الأسود النجفي الكوفي"[3]:

أعْذلتنـــــــــي كمْ مهمــةٍ قدْ قطعتُـــهُ أليفُ وحوشٍ ساكناً غيرُ هائبِ

أنا ابن العُلا والطعنُ والضربُ والسريُ وجودُ المذاكِي والقنَا والقوا ضبِ

حليـــــمٌ وقـــــــورٌ في بلادٍ رهيبةٍ لها في قلوبِ الناسِ بطشُ الكتائبِ

المتنبي بقوله :فرد

وما انْتِفاعُ أخي الدّنْيا بِناظِرِهِ إذا اسْتَوَتْ عندَهُ الأنْوارُ والظُلَمُ[4]

وككل مرة قاطعه "أبو فراس" بقوله :وهذا سرقته من قول معمل العجلي :

إذا لم أميّزْبينَ نورٍ وظُلمةٍ بعيــني فالعينان زورٌ وباطلُ [5]

---

(1) -محمد مندور :النقد المنهجي،ص 172.
(2)-ديوان المتنبي،ص 332.
(3) -محمد مندور :النقد المنهجي،ص173
(4)- ديوان المتنبي،ص332.
(5)- محمد مندور: النقد المنهجي،ص173.

وهنا غضب سيف الدولة من طول المناقشة في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها،فضربه – ولا أعتقد ذلك- بالدواة التي كانت بين يديه فقال "المتنبي" في الحال:

إنْ كانَ سَرَّكُمُ ما قال حاسِدُنا فَـــمَا لجُـــرْحٍ إذا أرْضاكُمُ ألَـــمُ[1]

فقال" أبو فراس" وهذا أخذته من قول" بشار":

إذا رضيتُمْ بأنّ نجفيَ وسرَّكُمْ قولُ الوُشاةِ فلا شكوى ولا ضَجرُ[2]

لكن سيف الدولة أعجب بقول "المتنبي" ،فرضي عنه في الحال وأدناه إليه وقبل رأسه وأجازه بألف دينار، ثم أردفه بألف أخرى ؛أما قضية ضرب سيف الدولة للمتنبي بالدواة فهي قصة غير حقيقية ،لأن شخصية "المتنبي" المتعالية لا تسمح أن يحدث لها هذا ،و ما يؤكد صحة قولنا كيف انه استمر في الإنشاد و قد ضرب بالدواة.

إذن هذه قصة موضوعة، كما وصفها صاحب النقد المنهجي عند العرب ،و ذلك لما فيها من ترتيب لمناسبة أبيات المتنبي للأبيات المسروقة .أما عن موضوع الضرب بالدواة فيقول :"فإذا صح أن "المتنبي" قد غضب مرة لأن الأمير لم ينتصف له من "إبن خالويه" –الذي ضرب "المتنبي" بمفتاح حديدي –فكان ذلك أحد أسباب فراقه فكيف نصدق أن الأمير نفسه ضربه بالدواة "ثم إن الأمير نفسه كان رجلا مثقفا بصير بالشعر ،و هو يعرف المتنبي جيدا و يعرف أنه ليس بسارق .فكيف يضربه لسبب كهذا.

أما الذين خاصموا "المتنبي" و وضعوا كتبا في نقده فهم:

1-**الصاحب ابن عباد** :الذي ألف رسالة في "الكشف عن مساويء المتنبي "،أما سبب تأليفها لأنه كتب يلاطفه و يدعوه لمشاطرته جميع ماله.لكن المتنبي لم يقم له وزنا ولم يجبه عن كتابه ،وفوق ذلك أخبر أصحابه " أن غليما معطاء بالري يريد أن أزوره وأمدحه ،ولا سبيل

(1) - ديوان المتنبي،ص332.
(2) - محمد مندور :النقد المنهجي،ص173.

إلى ذلك ".[1].

الأمر الذي جعل الصاحب يعتبره هدفا يرشق بسهام الوقيعة ، يتتبع سقطاته وهفواته ويذكر سيئاته ،مع أنه أعرف الناس بحسناته، وأكثرهم إدراكا لها لكثرة استعمالها في محاضراته ومكاتباته

وقبل أن يتحدث عن مساوئ المتنبي تكلم عن أستاذه "ابن العمير ابن العميد" : قال "الربعي" :" قال لي بعض أصحاب ابن العميد :" قال دخلت عليه يوما قبل دخول المتنبي فوجدته واجما ،وكانت قد ماتت أخته عن قريب ،فظننته واجدا لأجلها ،فقلت : لا يحزن الله الوزير فما الخبر؟ قال : إنه ليغيظني أمر المتنبي ، واجتهادي في أن أخمد ذكره ، وقد ورد علي نيف وستون كتابا في التعزية ما منها إلا وقد صدر بقوله:

طَوَى الجَزيرَةَ حتى جاءَني خَبَرٌ فَزِعْتُ فيهِ بآمالي إلى الكَذِبِ[2]

حتى إذا لم يَدَعْ لي صِدْقُهُ أمَلاً شَرِقْتُ بالدّمع حتى كادَ يشرَقُ بي

فكيف السبيل إلى إخماد ذكره؟ فقلت : القدر لا يغالب والرجل ذو حظ من إشاعة الذكر، واشتهار الاسم ،فالأولى ألا تشغل فكرك بهذا الأمر ...و في صفر سنة أربع و خمسين وثلاثمائة ورد على أبي الفضل بن العميد وهو بأرجان فحسن موقعه منه ،و أنشده:

بَادٍ هَواكَ صَبَرْتَ أمْ لم تَصْبِرَا وَ بُكاكَ إن لم يَجْرِ دمعُكَ أوْ جَرَى

كمْ غَرّ صَبْرُكَ وَ ابتسامُكَ صَاحِباً لمّا رَآهُ وَ في الحَشـــا مَا لا يُرَى[3]

وروى أن "ابن العميد" كان كثير الإنتقاد على "أبي الطيب"، أما بعد أن أنشده هذين البيتين

---

[1] يوسف البديعي:الصبح المنبي عن حيثية المتنبي، ص146 .و ينظر الصاحب بن عباد:الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ،تحقيق الشيخ م:محمد بن حسن آل ياسين ،مكتبة النهضة بغداد،ط1965،1.ص15.

[2] ديوان المتنبي:433.

[3])- ديوان المتنبي،ص522.

فقد تغير رأيه به ، وأصبح أكثر تعلقا به وحبا له، وقد ألف "الصاحب" هذه الرسالة ليظهر أن "المتنبي" لم يسلم من الخطإ والعيب، وأهم القضايا التي أشار إليها هي :

أ- الألفاظ : فقد استعمل المتنبي كثيرا من الألفاظ البعيدة عن معجم الشعر مثل لفظ "جفخت"

جَفَختْ وهم لايجفَخونَ بها بهمْ شِيَمٌ على الحَسَـبِ الأغَـــــــــرّ دَلائِلُ[1]

ب- التكرار الممّل كقوله

ولا الضّعفُ حتى يتبعَ الضِّعفَ ضِعفَهُ ولا ضِعفُ ضِعفِ الضِّعفِ بلْ مثلُه ألفَا[2]

ج- **جمع الاحسان والاساءة في بيت واحد** مثل قوله

بَليتُ بِلى الأطْلالِ إنْ لم أقِفْ بها وُقوفَ شَحيحٍ ضاعَ في التُّرْبِ خاتمُه[3]

د- الغموض وقلة الإفهام:

نحنُ من ضايقَ الزمانَ لهُ فيكَ وخانتهُ قُربكَ الأفْهامُ[4]

ه- فساد الحس وسوء أدب النفس

رِواقُ العِزّ فَوْقَكِ مُسبَطِرٌ ومُلْكُ عَليٍّ ابنِكِ في كمَالِ[5]

و- التسلية عند المصيبة:

لايُحزِنُ اللهُ الأميرَ فإنّني لآخُذُ مِن حالاتِهِ بِنَصِيبِ[6]

ز- تعقيده وتكلفه وافتتاحياته التي تغلق أبواب القلب وزحافاته في بعض أبياته ،وركوب القوافي الصعبة كما أشار إلى بعض سرقاته

([1]) -المصدرنفسه،ص179.
([2])-- المصدر نفسه،ص432.
([3])- المصدر نفسه،ص256.
([4])- المصدرنفسه،ص260.
([5])-المصدر نفسه،ص266
([6])-المصدر السابق،ص 322.

وهذه هي المساوئ التي عدها صاحب الكشف عن مساوئ المتنبي[1] ،مع أن للمتنبي الكثير من المزايا والتي يبدو أن "الصاحب ابن عباد" لا يراها أو لا يريد ذكرها.

2- الحاتمي :وهو مؤلف الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي وساقط شعره أما عن دواعي تأليف هذه الرسالة فنجد :

أولا : ما تذكره المصادر عن فساد الأمر بين "الوزير المهلبي وأبي الطيب"، لأنه ترفع عن مدح غير الملوك ،فأغاظ ذلك "المهلبي"، فقام بتحريض كتاب بغداد وشعراءها على هجوه والنيل منه ،وما يؤكد ذلك قول "أبو على الفارسي" :" فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لها ثالثا فلم أجد .وحسبك من يقول مثل أبي علي في حقه ذلك ولما استقر بدار السلام.(بغداد) وترفع عن مدح الوزير المهلبي ذاهبا بنفسه عن مدح غير الملوك شق ذلك على المهلبي ، فأغرى به شعراء العراق ، حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه ، فلم يجبهم ، ولم يفكر فيهم ، فقيل له في ذلك فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هو أرفع طبقة في الشعر منهم ".[2]

و**ثاني** الأسباب :"أن "الحاتمي" في صباه قصد بلاط سيف الدولة، والتقى "أبا علي الفارسي" و"أبا الطيب" الذي أقام هناك من سنة سبع وثلاثين حتى سنة خمس وأربعين، ويبدو أن الحاتمي قد وصله بعض أذى المتنبي، فحقد عليه ،إلى أن تمكن من رد الأذى بفضل هذه الرسالة ،أو ربما تكون غيرته هي من جنى عليه، لأن أبا الطيب كان يتمتع بكثير من الجاه و الحظوة و المنزلة الرفيعة التي يفتقر لها الحاتمي و أمثاله[3] .

الرسالة ،أو ربما تكون غيرته هي من جنى عليه، لأن أبا الطيب كان يتمتع بكثير من الجاه و الحظوة و المنزلة الرفيعة التي يفتقر لها الحاتمي و أمثاله[4] .

(1) ـالصاحب بن عباد: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي،ص 55و ما بعدها.
(2)- يوسف البديعي:الصبح المنبي عن حيثية المتنبي،،ص 143.
(3) ينظر أبو علي الحاتمي :الرسالة الموضّحة ،ص ،ك.
(4) ينظر أبو علي الحاتمي :الرسالة الموضّحة ،ص ،ك.

أما الحاتمي فيقول :"و شاهدت من فضيلته ،و صفاء ذهنه و جودة حذقه ،ما حداني على عمل الحاتمية ...."[1].

و لعل ما زاد حقده عليه هو: سوء استقبال المتنبي له يقول :و استؤذن عليه لدخولي ،نهض من مجلسه مسرعا ،و وارى شخصه عني مستخفيا ...فلم يكن إلا ريث ما جلست حتى خرج إليّ،فنهضت، فوفيته حق السلام، غير مشاح له في القيام ،لأنه إنما اعتمد بنهوضه عن الموضع ،ألا ينهض إلي ،و الغرض كان في لقائه غير ذلك ."[2]

و الحاتمية كغيرها من الرسائل بدأت بمقدمة تحدث فيها صاحبها عن دواعي تأليفها، و طبيعتها، و غايتها ،تليها أربع مجالس ،في المجلس الأول يصف الحاتمي هيئة المتنبي عند دخوله بغداد و الذي كان أكثر استكبارا و تعاليا "كأن الأدب مقصور عليه ،و أن الشعر بحر لم يرد نمير مائه غيره "[3]

ثم يورد كيفية استقبال المتنبي له و التي كانت غير لائقة خاصة عندما "أعرض عنه لاهيا ....و أقبل على تلك الزعنفة التي بين يديه ...و كل يومي ء إليه ...و يشير إلي مكاني بيده ...(و هو)يأبى إلا إزورارا ونفارا ،و عتوا و استكبارا ...[4]

ثم يورد سرقاته من خلال تساؤلاته عن معنى بعض شعره و المتنبي يجيب ، و هو يعقب :أما هكذا في ...أما أخذته من قول فلان.....

و ينتقل منها إلى ذكر عيوب شعره و هي:

([1])- يوسف البديعي:الصبح المنبي عن حيثية المتنبي،ص 142.

([2]). ابو علي الحاتمي:الرسالة الموضحة ،ص:09.

([3]) -المصدر نفسه،ص06.

([4])- المصدر نفسه،ص10.

1- قبح الإبتداء :أي قبح المطالع،"و حقها الحسن و العذوبة لفظاً،و البراعة و الجودة معنىً،لأنّها أوّل ما يقرع الأذن و يصافح الدّهن،فإذا كانت حاله على الضّد،مجّه السمع ، و زجّه القلب ،و نبتْ عنه النّفس و جرى أمره على ما تقول العامة:"أوّل الدّن دُرْديّ"[1]

و من ابتداءاته القبيحة قوله:

كفَى بكَ داءً أن ترى الموتَ شافياً و حسبُ المنايا أن يكنَّ أمانِيا [2]

2- **استكراه اللفظ و تعقيد المعنى** :"و مما يشان على أبي الطيّب استكراهُ اللّفظ و تعقيدُ المعنى وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنّمها ، و يأخذ عليها في الطرق الوعرة ،فيضِلّ ،و يُضِل و يَتعب ،و يُتعِب ،و لا ينجح، إذ يقول في وصف الناقة:".

شِيَمُ الليالي أن تُشكك ناقتي صدري بها أفضَى أم البيداءُ

فتبيت تُسئد مُسئدا في نَيِّها إسْآدها في المَهْمَهِ الإنضاءُ[3]

و المعنى :تبيت ناقتي تسير سائرا في جسدها الهزال سيرها في المهمه .

3- **خروجه عن الوزن** :كقوله

حملتُ إليهِ من ثنائي حديقةً سقاها الحجَى سقَي الرياضِ السَّحائبِ[4]

و قد خرج فيه عن الوزن ،لأنّه لم يجئ عن العرب "مفاعيلُنْ"في عروض الطويل غير مصرَّع؛و إنما جاء مفاعلن

4- استعماله الغريب الوحشي: لقد تعاطى المتنبي في شعره الغريب الوحشي ،"و الشّاذ البدويّ،بل ربما زاد في ذلك على أقحاح المتقدمين ،حتى حصر كلامه بين طرفي نقيض ، و تعرّض لاعتراض الطاعنين" .و مثل ذلك قوله:

([1])- يوسف البديعي:الصبح المنبي عن حيثية المتنبي،ص 299

([2]).المصدر نفسه،ص 299.

([3])- المصدر نفسه،ص300.

([4])-المصدر نفسه:ص340.

و ما أرضى لمُقلتِه بحُلْمٍ إذا انتبهت تَوَهَّمُهُ ابْتِشاكا [1]

فمعنى الابتشاك هنا هو الكذب ، وهو مصطلح غريب لا تستعمله العرب في كلامها حتى أن المتنبي قال :"لم أسمع فيه شعرا قديما و لا محدثا سوى هذا البيت "[2].

5- ما وقع في شعره من الركاكة و السفسفة بألفاظ العامة و السوقة و معانيهم :كقوله :

و إنْ رَأيتَني فاركبْ حِصاناً و مثّله تَخرَّ لهُ صريعاً[3].

6- الإكثار من "ذا": "قال القاضي:"و هي ضعيفة في صنعة الشعر ،دالة على التكلّف ، و ربما وافقت موضعا تليق به ،فاكتسبت قبولا ،فأما في مثل قوله:

لوْ لمْ تكنْ مِن ذا الوَرَى اللّذْ منكَ هو عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نسلِها حوّاءُ

فهي كما تراه سخافة و ضعف،و لو تصفّحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكرناه من هذه الإشارة ،و أنت لا تجد منها في دواوين الجاهلية حرفا ،و المحدثون أكثر استعانة بها. "[4]

7-الإفراط في المبالغة: و الخروج فيه إلى الإحالة كقوله:

و نالوا ما اشتَهوْا بالحزمِ هَوْناَ و صادَ الوَحشَ نملُهمُ دبيبَا[5]

و مع أنه غير مستهجن في صنعة الشعر ،إلاّ أنّ كثيرا من النّقدة لا يرتضون هذا الإفراط.

8- تكرار الألفاظ: و يقصد به تكرار اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين ،كقوله:

و مِنْ جاهلٍ بي و هوَ يَجهلُ جهلَهُ و يجهلُ عِلمي أنَّه بي جاهلُ[6]

([1])-المصدر السابق :ص 366.
([2])- المصدر نفسه :ص367.
([3])- المصدر نفسه:ص367.
([4])- المصدر نفسه،ص370.
([5])-المصدر نفسه،ص374.
([6])-المصدر السابق،ص375.

8- الايضاح عن ضعف العقيدة: ذلك "أنّ الديانة ليست عيارا على الشعراء ،و لا سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، و لكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولا و فعلا ، و نظما و نثرا ، و من استهان بأمره ، و لم يضع ذكره و ذكر ما يتعلق به في مواضع استحقاقه ،فقد باء بغضب من الله تعالى، و تعرّض لمقته في وقته ،و كثيرا ما قرع المتنبي هذا الباب بمثل قوله"

يترشّفْنَ من فمي رَشفاتٍ هنَّ فيهِ أحلى من التوحيدِ[1]

10- وضع الكلام غير موضعه: و مثل ذلك قوله:

أغارُ من الزجاجةِ و هي تجري على شفةِ الأميرِ أبي الحُسينِ[2]

11-امتثاله ألفاظ المتصوفة و استعمال كلماتهم المعقدة و معانيهم المغلقة:كقوله:

إذا ما الكأس أرعشَتِ اليدين صَحَوْت فلم تَحُلْ بيْنِي و بيْنِي[3]

12- خروجه عن رسم الشعر إلى الفلسفة :كقوله:

وَ لَجُدْتَ حتى كدتَ تبخلُ حائِلا لِلمُنتهى و من السرورِ بُكاءُ[4]

13-مخالصه المستكرهة:قال القاضي:"لعلك لا تجد في شعره تخلصا مستكرها إلا قوله:

أحبك أو يقولوا جرَّنملٌ ثَبيراً و ابنُ إبراهيمَ ريعاَ

فهذا تخلصٌ ليس عليه شيء من الجمال ، و ههنا يكون الاقتضاب أحسنَ من التخلص ،

([1])-المصدر نفسه:ص377.
([3])-المصدر نفسه،ص381.

([3])- المصدر نفسه،ص383.
([4])- المصدر نفسه،ص384.

فينبغي لسالك الطريق أن ينظر إلى ما يصوغه ، فإن أتاه التخلص حَسنًا أتى به ، و إلا فَلْيدعهْ."[1]

14- قبح المقاطع :كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الحسن ،و ترقى فيها الدرجة العالية،

لو لم تكن من ذا الورى اللّذْ منك هُوْ عَقِمتْ بمولد نسلِها حوّاءُ"[2]

15- ولوعه بالتصغير:كقوله

مَنْ لي بفهم أهَيْل عصر يدّعي أن يَحْسُبَ الهنديَّ فيهم باقِلُ[3]

هذه أهم العيوب التي عدّها الحاتمي للمتنبي مع أنّه لا يكتفي بالحكم عليه بالسرقة فحسب، بل أنكر عليه كل ما أحسنه وأبدعه وما أضافه إلى الشعر العربي، بل وزاد على ذلك أم وصفه بأنه يسرق المسروق بقول " لا معنى لك في هذه القافية إلا مقتفي ولا إحسان أشرت إليه إلا مسترق محتذى"

وقد شبهه بما قاله بعض المحدثين:

وفتًى يقولُ الشّعرَ إلا أنَّهُ فيما علِمنا يسرقُ المَسروقَا[4]

وقد علل المتنبي لذلك بأن الألفاظ مشتركة مباحة والمعاني تختلج في الصدور، ولا يمكن التنبؤ لخاطر من ستبدو

لكن هذا الجواب أيضا لم يقنع الحاتمي وكيف يقنعه وهو يريد الاطاحة به .و كلها تصنف ضمن **السرقة من كلام العرب** ، وهناك نوع آخر من الأخذ هو : **أخذه من كلام أرسطو في الحكمة**

---

[1]- المصدر السابق:ص386.
[2]- المصدر نفسه،ص387.
[3]- المصدر نفسه،ص389.
[4]- المصدر نفسه، ص390.

لقد كان القرن الرابع الهجري أهم عصور الفلسفة ازدهارا، وذلك بسبب انتشار الثقافة اليونانية في البلاد العربية ، وقد اهتم الفلاسفة العرب كثيرا بشرحها وتفسيرها، خاصة الفارابي والذي اجتمع مع المتنبي" في بلاط سيف الدولة و عاشره سنتين[1].

ومما لاشك فيه، أن هذا الاحتكاك بالفارابي قد أضاف للمتنبي معرفة أكثر بالثقافة الإغريقية خاصة في تلك المجالس الأدبية التي كانت تقام في حضرة سيف الدولة .

وعمد "عبد الرحمن شعيب" إلى تقييم الحكمة المشتركة بين "المتنبي" و"أرسطو" على ثلاثة أنواع:[2]

1- نوع عربي صميم متمثلا بحكم الشعراء الجاهليين:

قال "أرسطو" :" الكلال والملال يتعاقبون الأجسام الضعف آلة الحس ".وقال المتنبي :

وإذا الشيخُ قال :أفٍّ فمَا مَلَ لُ حياةٍ وإنَّما الضَّعْفُ مِنَّا[3]

ومن جانب آخر فإن معنى المتنبي مستوحى من قول" زهير" :

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ ومنْ يَعِشْ ثمانينَ حوْلاً لا أبالَكَ يسأمِ[4]

2- وهناك نوع ثان من الحكم المشتركة لا نجد فيها ما يستوجب اتهام المتنبي بالسرقة والأخذ من أرسطو

قال "أرسطو طاليس":" أواخر حركات الفلك كأوائلها وإنشاء العالم كتلاشيه بالحقيقة لا بالحس".

([1]) أبو علي الحاتمي:الرسالة الموضحة ،مصدر سابق،ص17.

([2]). عباس أرحيلة:الأثر الأرسطي في النقد و البلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري،منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية بالرباط،المملكة المغربية،ط1999،ص433.

(3) عبد الرحمان شعيب:المتنبي بين ناقديه في القديم و الحديث دار المعارف ،مصرط2،ص249-251

([4])المرجع نفسه،ص 251

وقال "المتنبي" :

كثيرُ حياةِ المَرْءِ مِثلُ قَليلِها يَزولُ وباقي عَيْشِهِ مِثْلُ ذاهِبِ[1]

3- **نوع فيه تشابه بين قول "أرسطو" و"المتنبي"** قال" أرسطو" **:**" الأشكال لاحقة بأشكالها كما أن الأضداد مباينة لأضدادها".

وقال"المتنبي":

وشِبْهُ الشيءِ مُنجذِبٌ إليهِ وأشْبَهُنَا بِدُنيانا الطّغَامُ [2]

إن حقد "الحاتمي" جعله يعرج بـ"المتنبي" إلى الثقافة اليونانية ويتهمه بالسرقة حتى من "أرسطو طاليس" وكان أخذه من العرب لو يكفه بل زاد عليه أن سرق من "أرسطو طاليس ". والحقيقة أن هذه الحكم شائعة بين الناس ، فحتى لو لم يستثمرها المتنبي في شعره لا يستعملها غيره

3- **ابن وكيع 393ه** : و" هو صاحب كتاب " المنصف للسارق والمسروق في إظهار سرقات المتنبي " وهو مثل "الحاتمي" لأنه " ألف كتابه انتصار الابن حنزابة الذي ترفع المتنبي عن مدحه" هو الآخر. [3]

وقد اشتهر "ابن وكيع" بكرهه للمتنبي وتعصبه عليه حيث يقول "ابن رشيق" :" وأما ابن وكيع فقد قدم في صدر كتابه عن أبي الطيب مقدمة لا يصح لأحد معها شعر إلا الصدر

---

[1] المرجع نفسه:ص251.

[2] ديوان زهير بن أبي سلمى،شرحه و قدّم له،علي حسن فاعور،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان ،ط1 1988،ص 11

[3] ديوان المتنبي،ص 266.

الأول إن سلم ذلك لهم وسماه كتاب المنصف مثل ما سمي البديع سليما وما أبعد الإنصاف منه ".[1]

وقد أنصف "ابن وكيع" "المتنبي" ولو قليلا ،لأنه لا يقف عند الأبيات الفارغات والمعاني المكررات المرددات إلا قليلا

كما أنّه" لا يذكر المعاني التي أكثر الشعراء إستعمالها كتشبيه الوجه بالبدر ، و كان عند كلّ سرقة يقرّ إن كان "المتنبي" قد قصّر في الأخذ أو ساوى فيها المأخوذ عنه ،أو استحق المعنى المسروق دون قائله."[2].

وهذه أمور جعلته أقل تعصبا على "المتنبي" من "الحاتمي" الذي لم يراع هذه الأمور.

4-العميدي433ه :وهو صاحب كتاب :" الإبانة عن سرقات المتنبي ".وقد ألف كتابه هذا ليرد على المعجبين بـ"أبي الطيب" يقول :"ولقد تأملت أشعاره كلها فوجدت الأبيات التي يفخر بها أصحابه ،وتعتبر فيها آدابهم أشعار المتقدمين منسوخة ،ومعانيها من معانيهم مسلوخة ،وإني لأعجب من جماعة يغلون في حديث المتنبي وأمره،ويدعون الأعجاز شعره، ويزعمون أن الأبيات المعروفة له هو مبدعها ،ومخترعها،ومحدثها ومخترعها ، لم يسبق إلى معناها شاعر ،ولم ينطق بأمثالها باد ولا حاضر "[3].

وهو بهذا القول يقول لمعجبيه بأن شاعركم الذي تحبون وبه تفخرون وله تشهرون وبأشعاره تغنون ،إنه لسارق ،يسرق الأشعار وينسبها إلى نفسه وهو يدعي أنه هو قائلها ولم يسبقه أحد إلى قولها، مع أنكم لو بحثتم في أشعار المتقدمين لوجدتم أن معظم معانيه مأخوذة من شعرهم ومن معانيهم ،وهو بذلك لم يأت بأي جديد يذكر ومع أن" العميدي "قد أوضح في بداية (مقدمة) رسالته أنه لن يتعصب على "المتنبي "وأنه سينظر الى المسألة بعين العدل والإنصاف إلا أنه انساق يبحث عن سرقاته ومقارنا بين أبياته و أبيات غيره ،وبذلك

([1]) المصدر نفسه،ص 102

([2]) احمد مطلوب:اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، ص266

([3]) المرجع نفسه:ص266

يكون قد عدل عما قاله ،وبرز تعصبه واضحا حيث قال :" هذه والله سرقة توجب على سائر مذاهب الشعراء قطع اللسان فضلا عن اليد مع إنكار فضيلة غيره وادعائه الإعجاز في شعره".[1]

وفي هذا الحديث تحامل واضح على المتنبي وعلى شعره ، وفيه اتهام بالسرقة مباشر.وعدم الاقرار من طرفه بهذه السرقة

وقد أدرك البديعي ماقاله العميدي عن المتنبي فقال: " وكان الشيخ أبوسعيد محمد بن أحمد العميدي صاحب كتاب الإبانة عن أبي الطيب في غاية الانحراف حائدا في التمييز عن سنن الإنصاف"[2].

ولم يكتف "العميدي" بذكر سرقات "المتنبي" فحسب بل اتهمه بإعادة معاني الآخرين ،ولكنه أفسدها وساء استخدامها .وبذلك زاد شعره ابهاما وغموضا

([1]) أحمد مطلوب:اتجاهات النقد، ص266.
([2])العميدي:الاباتة عن سرقات المتنبي، ص173.

ثالثا:التأثير اليوناني في الثقافة العربية

أعتبر القرن الرابع الهجري عصر الترجمة الذهبي، فقد ترجمت فيه العديد من الكتب اليونانية خاصة كتب "أرسطو طاليس"،وقد عنى بترجمتها وشرحها علماءنا العرب، أمثال :"متى بن يونس" (328ه) و"الفارابي" (339ه) و"يحي بن عدي"(364ه). وقد كان لترجمة كتابي "فن الشعر"و "فن الخطابة "الأثر البارز في النقد العربي فيما يخص مسألة التأثير الأرسطي

- وقد أثر "أرسطو طاليس" بأفكاره وكتاباته في الثقافة العربية ،ولكن نحن سنحاول إبراز هذا التأثير في النقد العربي فقط وذلك مع مجموعة من نقاد القرن الرابع الهجري ومؤلفاتهم ونبدأها بـ:

1- **الآمدي** :صاحب كتاب "الموازنة بين أبي تمام والبحتري" وهو في الحق موازنة بين وضوح المعاني وسهولة الوصول إلى الهدف ،لدى البحتري ،وبين غموض المعاني وصعوبة الوصول ومعرفة المبتغى لدى أبي تمام ،أو ما يعرف بفلسفة الكلام لديه ،و الآمدي يعتبر الفلسفة خروجا عن طبيعة الشعر،لأن عالم الشعر هو الأحاسيس و يتجلى دور الشاعر في كيفية إيصال هذه الأحاسيس إلى القارئ وهو بذلك ليس في حاجة لا إلى فلسفة الكلام ولا لغموض المعاني لإيصالها بل إلى كلام واضح و معبر.

و "الآمدي" لم يتأثر بـ" **قدامة"** الذي جعل النقد علما، وهذا لا يعني بأنه ليس على اطلاع بما دخل إلى الثقافة العربية من فلسفة وثقافة يونانية ،حتى أنه أسس نظرية في الخلق الفني وقد جعلها تقوم على أربعة عناصر هي:

أولها :مادة خام تنتخب منها العناصر الضرورية لبناء العمل الفني[1] الذي يريد المتفنن أن يخلقه والمقصود بذلك أنه لابد من وجود مادة أولية يبنى عليها الفنان عمله الفني.

([1]) يوسف البديعي:الصبح المنبي عن حيثية المتنبي،ص176.

ثانيهما: قوة التأليف بين عناصر العمل الفني والقوة الخالقة تختار الضرورية من عناصر المادة الخام وتؤلف بينها[1] ويريد بذلك أنه لا بد من وجود ترابط بين العمل الفني والمادة الخام

ثالثها: قوة التصور الشخصية العمل الفني والقوة الخالقة تكون معها قوة التصور للشيء المخلوق ومعناه[2]

رابعها :قوة المتابعة في تنمية شخصية العمل الفني حتى يكمل ويتم بلا نقصان ،وهي قوة المتابعة أو الإتمام والإكمال[3] ومعناه جودة وإتقان عمله الفني حتى ينضج ويقدم للقارئ بلا نقصان

ونرى أن الآمدي لم يتخذ من الأدب العربي اليوناني القديم مثالا يُحتذى به ، بل انتقى منه ما يناسب وعقيدته الإسلامية ،كما أنه قلد أرسطو لا لشيء إنما أراد أن يفهم شخصه ومنطقه. ومع ذلك فإنه تأثر به و يتضح ذلك في كتابه،غير أن هذا التأثر طفيف .

2- ابن طباطبا 322ه وعيار الشعر:

أما "ابن طباطبا" فقد ألف كتاب " عيار الشعر " وجعل منه "ميزان تقاس به بلاغة الشعر"[4]واستقى توجهه النقدي من الذوق العربي الخالص والأسس البلاغية في قراءة الشعر مستغلا ما تطرحه تلك المرحلة من تخصص وتفكير في تنظيم المعرفة البيانية و التنظيرلها

وجاءت محاولة "ابن طباطبا" في بداية القرن الرابع الهجري" ليتحقق من خلالها التطلع إلى التنظير لعلم الشعر ولتساهم في معالجة ما يعانيه الشاعر المحدث من محنة بالإضافة إلى

(1) عباس أرحيلة:الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين، ،ص429
(2) المرجع نفسه،ص 429
(3) المرجع نفسه،ص429.
(4)المرجع السابق،ص 429

أن "ابن طباطبا" عاش بعيدا عن موطن الترجمة (بغداد)ومات سنة 322ه" [1]وهذا دليل على أنه لم يطلع على كتاب الشعر الذي يضن أن ترجمته كانت سنة 320ه ،كما أن" الدراسة النصية للكتاب "عيار الشعر" تنفي أي أثر للثقافة اليونانية من حيث الفلسفة والنقد والمنطق".[2]

ويرى" إحسان عباس": أن "ابن طباطبا" يقترب اقترابا شديدا من نظرية "قدامة""فالناقدين يتفقان ويعملان على حدى دون أن يتأثر أحدهما بالآخر أو يلتقيا أحدهما بالآخر،فقد استعمل كلاهما العقل ،فـ"ابن طباطبا" يحاول أن يحد من طغيان الذوق على أساس قواعد تنظمه،أما قدامة يريد أن يضع للشعر مخططا منطقيا بغض النظر عن السعة والشمول وحكم الذوق فـ"ابن قدامة" و"ابن طباطبا" قيد الشعر بقوانين وأسس عقلية[3].

خلاصة القول: أن "ابن طباطبا" بكتابه"عيار الشعر" كان في "قلب الذوق العربي الخالص "[4]فمن خلاله حاول تأصيل نظرية الشعر العربي كما حاول الخروج من محنة لطالما

عانى منها المحدثون ،كما حاول أن ينقل الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي و المزاوجة بين الثقافة العربية التقليدية والثقافة الفلسفية الجديدة مزاوجة تستحق التقدير،إلا أنه بعد الدراسة تبين له استحالة إثبات هذه المزاوجة فيقول:" وقد يختل هذا التآلف أحيانا ،إلا أنه اختلال المحاولة الأولى للمزاوجة بين الحكمة الجديدة والآداب المورثة ،أو التوفيق بين النقل والعقل ،وذلك يحل أزمة الشاعر المحدث" وقد استحالت المزاوجة بين الحكمة الجديدة والآداب المورثة، لأن التراث اليوناني يتنافى وآدابنا المورثة ،وعدم التوفيق بين

(1) ينظر:ابن طباطبا: عيار الشعر،تحقيق:عباس عبد الساتر،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط2،ص20.
(2) عباس أرحيلة:الأثر الأرسطي في النقد و البلاغة العربيين،ص429
(3) المرجع نفسه،ص429
(4)المرجع نفسه،ص429.

النقل والعقل لأنه يوجد أشياء نقلت إلى ثقافتنا العربية، (ترجمت) لا تتماشى والعقل العربي

3- الحاتمي

لأن المتنبي لم يلب طلب الوزير المهلبي في مدحه، فقد سلط عليه أبا علي الحاتمي للتقليل من مكانته وتحقير شعره من خلال تأليفه لرسالتين:

1- **الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره** (الرسالة الموضحة) وقد سبق الحديث عنها

2- **الرسالة الحاتمية فيما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطو** : والتي يبدو لقارئها في الوهلة الأولى أنه كتبها دفاعا عن المتنبي ضد خصومه على الرغم من أنه أورد فيها مائة بيت للمتنبي قارنها بحكم لأرسطو وبذلك يكون "المتنبي" قد سرقها منه- في اعتقاده- .

وقد كان القرن الرابع الهجري أهم قرون الترجمة ، وأما فيما يخص "المتنبي" فقد كان قريبا من الثقافة اليونانية لأنه عاشر في بلاط سيف الدولة الفارابي واحتك به سنتين كاملتين ، ومحضر مجالسه الفلسفية وقرأ الكثير من كتبه واستقى منها الكثير من الأفكار ويتجلى ذلك بوضوح في شعره (فهناك شعر صوفي وشعر معتزلي).

إلا أن "زكي مبارك" هو أول من نبه إلى أن الرسالة الحاتمية كانت "ظالمة للمتنبي من جانب الحاتمي"[1] لأن حكم المتنبي تبدو" جد مألوفة (فطرية) عند قراءتها أما إذا قارناها بحكم أرسطو فإنها تبدو جد متكلفة وغير مناسبة لها" –تماما- [2] ومع ذلك فالمتنبي يتفوق على صاحبه في جمال الصورة ،حتى ولو اتفقا في المعنى .وقد قسم "محمد مندور" الحكم المأخوذة من "أرسطو" إلى ثلاثة أنواع هي:

(1)المرجع السابق ،ص432
(2)المرجع نفسه،ص432.

1- حكم تلوح المقاربة بينهما تعسفية : أي إذا ما قارنا شعر المتنبي بحكم أرسطو نكون قد ظلمناه بهذه المقارنة لأن لا وجه للتشابه بينهما

مثال [1] قال أرسطو :" إذا كانت الشهوة فسوق القدرة ،كان هلاك الجسم دون بلوغ الشهرة

قال المتنبي:

وإذا كانَتِ النُّفوسُ كِباراً تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسامُ[2]

2- حكم معانيها قريبة وصياغتها عربية عادية ،فهي و إن اتفقت مع جملة أرسطو في المعنى –إلا أن ذلك قد يكون وليد المصادفة البحتة :والحقيقة أن الأفكار والمعاني شائعة بين الناس وكل يُصيغها على طريقته وهذا ليس بالضرورة سرقة وإنما هو أخذ من المعنى العام

مثال[3]: قال أرسطو :"نفوس الحيوان أغراض لحوادث الزمان"

وقال المتنبي:

والمرءُ من حدثِ الزّمان كأنَّه عودٌ تداوَلَهُ الرُعاةُ رُكوبا[4]

3- حكم لا يستبعد أن يكون المتنبي قد تأثر فيها بأرسطو: وذلك من خلال اطلاعه على الثقافة اليونانية فهو قد عرف بحبه للمطالعة،و لابد أن تكون هناك أفكار حكم لأرسطو قد لفتت انتباهه ،أو بقيت عالقة في ذهنه فقرر أن يستثمرها في شعره .

مثال [5] : قال أرسطو :"من استمرت عليه الحوادث لم يألم لحلولها".

(1) زكي مبارك:النثر الفني في القرن الرابع الهجري،مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة،ص466.
(2) عباس أرحيلة :الأثر الأرسطي في النقد و البلاغة العربيين،ص434
(3) ديوان المتنبي،ص261.
(4) محمد مندور :النقد المنهجي،ص212

(5) عباس أرحيلة :الأثر الأرسطي في النقد و البلاغة العربيين،ص436

وقال المتنبي:

إذا اعتادَ الفَتى خَوْضَ المَنايا فَأهْوَنُ ما يَمُرُّ بهِ الوُحُولُ[1]

- إلا أن "الحاتمي" وعلى الرغم من اتهامه للمتنبي، إلا أنه لم يأت بالحجة التي تدعم كلامه ،إذ أنه " لم يشر إلى مكانها في كتب "أرسطو" كما أن بعض ما أورده لا أصل له عند أرسطو ، وبعضه فيه تناقض كبير ،ومخالفة صريحة لمذهب أرسطو نفسه " [2] وإذا تحدثنا عن احسان عباس و رأيه في هذه الرسالة ،فنجد أنّه يرتاب في أن تكون هذه الرسالة للحاتمي و قد ذكر سببين لذلك:

أولهما :" إثبات صلة الحاتمي بالثقافة الفلسفية نفسها" [3] ،إذ أنه يشير لإمكانية أن "الحاتمي" قد يكون غير مطلع على الثقافة الفلسفية اليونانية خاصة "أرسطو" ويتجلى ذلك بوضوح في بهذه الرسالة إذ يوجد بها تناقض كبير بين فكر "أرسطو" وشعر "المتنبي" .

ثانيهما :" روح الإنصاف التي تتجلى فيها بالنسبة لما قاله عن "المتنبي" في غيرها " وذلك لأن المعروف عن "الحاتمي" حقده الكبير على "المتنبي" إلا أنه في هذه الرسالة ينصفه إلى حد كبير الأمر الذي يجعلنا نشك في أنه غير مؤلفها.

أما صاحب "الأثر الأرسطي" :فيرجع أن يكون واحد من دعاة " الحكمة الأبدية"[4] هو الذي وضع هذه الرسالة ونسبها إلى "الحاتمي" ، لوجود عداء بينه وبين "المتنبي" ولأن "الحاتمي" كان شغوفا بتتبع السرقات عموما وسرقات المتنبي خصوصا وبذلك يكون إختيار "الحاتمي" جد موفق ، وأما عن سبب اختيار "أرسطو" لأنه هو المشهور آنذاك (ق 4ه) عند العرب، والعرب كانت شغوفة للآداب الأجنبية وبذلك يضمن سرعة انتشار تلك الأفكار

---

(1) ديوان المتنبي،ص264.
(2) عباس أرحيلة :الأثر الأرسطي ، المرجع السابق ،ص 436.
(3) إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي ، مرجع السابق ،ص 243

(4) الحكمة الابدية هي نظرية ترتكز على القول بأن جوهر الحضارات كلها واحد لان جوهر العقل البشري واحد ودعاة هذا المذهب ينتمون الى الفريق الذي يناوئ زعم العرب بأنهم أصحاب سيادة فكرية.

ووقع الاختيار على "المتنبي" ، لأن تجربته الشعرية ومعاناته الفكرية تولدت عنها أفكار فلسفية ،جعلت الناس قديما وحديث يتحدثون عن الحكمة في شعره [1].

كما أن كتاب ذلك العصر-القرن الرابع- وحتى كتاب العصر الموالي والذين ترجموا للفلاسفة ،لم يذكروا أبدا لا "الحاتمي" ولا رسالته، وبذلك يكون قد تأكد لنا ما قاله "صاحب الأثر الأرسطي".

4_ القاضي عبد العزيز الجرجاني (392ه) :

وقد شغل القضاء وبذلك نصب نفسه حكما بين "المتنبي" وخصومه ،وبذلك فهو واحدا من بين هؤلاء الذين حاولوا إنصاف "المتنبي" [2] ،ولكن كان هذا العمل متأخرا قليلا لأنه جاء بعد وفاة المتهم (المتنبي). ولكنه عمل مقبول وجاد إلى حد كبير في النقد العربي ، والنقد عنده"لا يتأسس على النظر الفلسفي ،وعلى النظرة القاعدية الموضوعية" وبذلك يكون موقفه واضحا من الفلسفة والمنطق ،فهو يبعدهما عن النقد والشعر معا ،فجودة النقد عنده في دقته وجمال الشعر في حلاوته ورقته. وبذلك يمكن القول أن القاضي الجرجاني لم يتأثر لا بأرسطو ولا بالثقافة اليونانية وكلام "محمد مندور" يثبت ذلك إذ يقول :"وإنك لا تقرأ كتابه فلا تكاد تحس أثر الفلسفة في كل ما قال".

إلا أن "الجرجاني" دعى من جهة أخرى إلى ضرورة تحول النقد إلى بلاغة مرتكزا في دعوته هذه على المبادئ العامة والسبب في ذلك هو استقرار أصول اللغة وكذلك قواعد العروض والنحو وبذلك يكون قد برر للمتنبي كل ما قام به من تجاوزات في حق النحو والإعراب .....بمقولة " يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره". وقد أكد "إبراهيم سلامة" ما قرره

(1) ينظر القاضي عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي و خصومه ،تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم،المكتبة العصرية ،سيدا، لبنان ،ط2006،1.ص 161.

(2) محمد مندور :النقد المنهجي،ص212.

"محمد مندور" من بعد مؤلف الجرجاني عن الثقافة اليونانية وعن بلاغة "أرسطو" .

الفصل الأول:

معايير النقد الأدبي عند الحاتمي

على الرغم من أن رسالة **"الحاتمي"** موسومة بـ:"الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي و ساقط شعره"،إلا أنه لم يكتف فيها بذكرسرقات المتنبي و التقائه مع سابقيه في المبنى و المعنى، و إنّما تجاوزه إلى غيره من الشعراءأمثال:امرئ القيس،النابغة،زهير بن أبي سلمى و جرير....و غيرهم.

و مع أن هؤلاء نوابغ في الشعر العربي إلا أنهم لم يسلموا- كما المتنبي-من نقده اللاذع،فهذا ينتقده في لغته،و آخر في بلاغته،و ثالث في أسلوبه،مع التسليم بأن معظم النقد كان من نصيب المتنبي،و بذلك آثرنا أن ندرس المعايير:اللغوية،البلاغية و الأسلوبية،ضف إلى ذلك أنها أكثر المعايير المتداولة في الرسالة،مع أن الحاتمي قد أولى اهتماما كبي رابالسرقة و أنواعها،فهويورد بيت المتنبي من جهة ، و منجهة أخرى يورد أبيات لشعراء آخرين أخذ منهم المتنبي بيته معنى أو لفظا،و هذا ما يعرف بـ: المعيار اللغوي، أما المعيار البلاغي : فيتمثل في نقده لبعض المحسنات البديعية أو الصور البيانية التي أساء المتنبي استخدامها أو التعبير عنها،و المعيار الأسلوبي: هو سوء استخدام الأسلوب في التعبير عن فكرة ما.

أولا المعيار اللغوي : نال المعجم اللغوي لألفاظ الشعر اهتمام النقاد في القرن الرابع الهجري، حيث اهتموا بمعالجة الألفاظ لبيان جيّدها من رديئها، و مدى انحراف الكلماتعن مواضعها في الاستعمال المعجمي، كما تجلّت في النصوص الشعرية من جهات مختلفة و متعددة، حيث وقفوا عند الألفاظ من جانبها الصوتي، أو من حيث وضعها في موضعها الأصلي و موافقتها للكلام، كما تحدّثوا أيضا عن مدى التزام أو عدم التزام الشعراء في استعمال الألفاظ الأعجمية، و المولّدة، و العامية في نظمهم،كما وقفوا أيضا عند ظاهرة الترادف، و التكرار،و ظاهرة الحشو، و الاستكراه،و استعمال الغريب، و الحوشي،إذ أنّ الكثير من الشعراء اتّجهوا إلى الاستئناس بالألفاظ الغريبة و الحوشية، و كلّ هذا لم يرض النقاد القدامى،الذين واجهوا الشعراء بالنقد و التخطئة لخروجهم عمّا كان سائدا و مألوفا في العرف اللغوي، فكيف تعامل الحاتمي مع كلّ هذه الظواهر اللغوية، و كيف كان يحلّلها و يشرحها و يعلّق عليها؟.

"و مثلما كثر النقد الموّجه للتكرار كذلك كان الأمر بالنسبة لظاهرة الترادف، فهناك من النقاد من أثنى عليه و جعله ثروة لغوية تفسح المجال للشاعر أو الأديب أن يغترف منها ما يريد، ولكنّ البعض الآخر أنكره"[1]

ومعظم مآخذ**"الحاتمي"** كانت حول الألفاظ الجافية التي تنبو عن الذوق العام؛وهي ألفاظ مكروهة ولا تحب العرب استخدامها في تعابيرها،أو هي ألفاظ أهملتها العرب لأنها غثة وبذلك لم تعد تستعملها في لغتها اليوميةمثل:

معيار سوء استخدام الألفاظ:

قول **"المتنبي"**:

ربَحْلَة أسْمَر مُقَبَّلُهـــــــا **سِبَحْلَة** أبْيَض مُجَرَّدُهـــــــــا[2]

---

[1]-سعاد عبد العزيز المانع : سيفيات المتنبي، دراسة نقدية للاستخدام اللغوي،عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض،المملكة العربية السعودية، ص 52.

[2]-أبو علي الحاتمي: الرسالة الموضحة،ص 26.

حيث أعاب عليه **"الحاتمي"** استخدام لفظتي" ربحلة، وسبحلة"،فالربحلة:هي العظيمة الجيدة الخلق،و السبحلة: هي الطويلة العظيمة، حيث قال:"تستهجن هاتان اللفظتان في ألفاظ المحدثين،لأنهما من ألفاظ العرب الجافية[1]أي أن العرب لم تعد تستعمل هاتان اللفظتان في لغتها اليومية،و هنا وجد الحاتمي الثغرة التي يمكن أن ينفذ من خلالها في نقده للمتنبي.

كما أعاب عليه أيضا استعماله للفظة"زاد"في قوله:(رجز)

قدْ**زادَ** في السّاق على النّقانق و زادَ في الأذُن على الخَرانق.[2]

حيث قال:"فما تريد بقولك:"زاد"؟أزاد في قوة الساق أم في طوله،وفي خلق أذن الخرنق،أو في لطف سمعها؟" [3]و قد اعتبر **"الحاتمي"** هذا الكلام ساقطا،بل و زاد على ذلك بأن اعتبره "أسخف لفظا و أقل من البيان حظا".

كما اعتبر **"الحاتمي"** قوله:

أقامَ فيها الثّلجُ كالمُرافـــــــِـــــــق يعقدُ فوقَ السِّنِّ ريقَ الباصق[4]

من غث الكلام و سقط الشعر لدرجة أن بعض صاغية المجلس سألته:"أيقال لكلام مثله غث؟، فرد قائلا:أجلأليس هو القائل":

ألعَبْدُ لا تفضلُ أخلاقُـــــــــــــــهُعن فرْجِهِ المُنتنِ أو ضِرْسهِ[5]

أما قوله:

---

[1]- المصدر السابق، ص 26.
[2]-المصدر نفسه،ص 26.
[3]-المصدر نفسه، ص29
[4]-المصدر نفسه،ص29.
[6]-المصدر نفسه،ص30.

أيَفْطِمُهُ **التَّوْرابُ** قبلَ فِطامِـــــــهِ ويأكلهُ قبلَ البُلوغِ إلى الأكلِ [1]فهو أيضا من نظمه الجافي الألفاظ في نظر الحاتمي، حيث اعتبر لفظة"التوراب"على سلامة مصدرها جافية جدا، و من سفساف الكلام، و سقطه، و مستعجمه قوله:

صغَرْتَ كلّ مُكبَّرٍ وعَلوْتَ عن لكأنّهُ وبَلغْتَ سِنَّ غـُــــــلامِ[2]

و هذا يقول **"الحاتمي"**: " من النسج الغلق القلق"؛ أي أن معانيه مغلقة، و ألفاظه قلقة وقد سوف يجد صعوبة كبيرة في فهمه،نظرا لعدم تناسق و تماسك الألفاظ و العبارات، و هذا يعود إلى سوء استخدام الألفاظ.و كان الأولى به أن يختار ألفاظا سهلة، و سلسة حتى يستطيع من خلالها التعبير عن كل ما يريد قوله .

وأما البيت الذي يدل على لكنة قائله، فيقول فيه:

قَبيلٌ أنتَ أنتَ و أنتَ مِنْهـُــــم و جَدُّكَ بِشْرٌ المَلِكُ الهُمَامُ[3]

و هو يصنف أيضا من الكلام الغث،وهذا ربما يعود إلى تكرار لفظة "أنت" ثلاث مرات، مع أن الكلام مفهوما،ولا يستدعي تكرارها هكذا، وبذلك فإن لا فائدة ترجى من هذا التكرار المتعمَّد.

و كذلك قوله:

فخُذَا ماءَ رجلِهِ و انْضَحَا في ال مُدْنِ تأمَن بوائِقَ الزَّلْزالِ[4]

فهو أيضا يدل على لكنة قائله كما قال الحاتمي.

---

[1]المصدر السابق ،ص31.
[2]المصدر نفسه ،ص31.
[3]المصدر نفسه،ص34.
[4]المصدر نفسه،ص35

و من الكلام الهجين و المعنى المهين قوله:

إن كانَ لا يدْعى امرُؤٌ إلّا كذا رجلاً فَسَمِّ النَّاسَ طُرًّا أضْبُعا[1]

وفي تناوله لهذا البيت أقسم **"الحاتمي"** على أنّه من اختراعات المتنبي التي لا معنى لها حيث يقول:"و لعمري إن هذا من نتائج خاطره،و اختراعات فكره،و بنات صدره"[2]

أما قوله:

العارضُ الهَتِنُ ابنُ العارضِ الهَتِنابـ ـنِ العارضِ الهتِنِ ابنِ العارضِ الهَتِنِ

وقد وصفه **"الحاتمي"** بـ :اللكنة، و ركاكة اللفظ، و الافتقار الشديد،كما استهزأ به لنظمه بيتا كهذا يقول:"و أحسب أبا الطيب ناجى نجوم الدجى ليلة كلها حتى حياه بوجهه صبحها حين انتظم له هذا البيت."[3]

فـ**"المتنبي"** لم يخبرنا ما به العارض ابن الهتن، ولم يأت بكلام بعده ليتم به معناه،بل اكتفى بتكرار لفظة العارض ابن الهتن فقط.و هو بذلك يندرج ضمن الأبيات التي لا معنى لها،ولا فائدة ترجى من قراءتها، و حفظها، وحتى تعليمها.

أما قوله :

إنْ كان مثْلُكَ كانَ أوْ هوَ كَائِـــــــنٌ فَبَرِئْتُ حينئذ منَ الإسلامِ[4]

فهو من أهجن أقسام الحديث،و أوْهَى معاقد الكلام،لأنه ذا نسج ضعيف، و أسلوب ركيك.لأن **"المتنبي"** لم يعرف كيف يعبر عن فكرته،ولم يدرك السبيل المناسب لإيصالها،فبقي معناه الحقيقي محتجزا لديه.

---

[1] المصدر السابق،ص34.
[2] المصدرنفسه،ص34.
[3] المصدر نفسه،ص34.
[4] المصدر نفسه ،ص 35.

ومن غث الكلام و مستكرهه لدى العرب قوله:

فتىً ألفُ جزءٍ رأيُهُ في زمانِـــــــهِ أقلُّ جُزَيءٍ بعضُهُ الرَّأيُ أجْمعُ[1]

لأن العرب تحب الكلام البسيط السهل الذي تستسيغه الآذان قبل العقول،وهذا كلام مركب بأسلوب غريب أكثر منه صعبا،إضافة إلى ألفاظه المضطربة.كما في قوله:فكلُّكم أتَى مأتَى أبيـــــــــــــــهِ و كلّ فِعَّالِ كلّكُم عُجـــــابُ[2]

و هذا أيضا لم يعجب **"الحاتمي"** لأنه " لفظ مضطرب، و نظم متهافت"و كأن **"المتنبي"** جمع مجموعة من الألفاظ وحاول تركيبها في عبارة مفيدة،دون أن يفكر في المعنى،فكانت النتيجة أنه حصل على نسج ضعيف،لا يؤدي معنى مفيد.

كما أعاب عليه قوله:

حتى يقولَ الناسُ ما ذا عاقِـــــــلاً و يقولَ بيتُ المالِ ما ذا مُسلِمَـــا[3]

إذ اعتبره من سفساف الكلام [4]و السفساف هو:القمح الردئ الذي لا يصلح للخبز، و السفساف من الكلام، هو الردئ منه،والذي لا فائدة ترجى من ورائه،و هذا يعني أنّه يستند إلى لغة الخاصّة من أهل العلم و الأدب

ومن لفظه المستهجن قوله:

كأني دحوتُ الأرضَ مِنْ خِبرَتي بها وكانَ بني الإسكندرُ السدَّ من عزْمي[5]

و قوله:

أديبٌ رستْ للعِلمِ في أرضِ صَدْرِه جبالٌ،جبالُ الأرضِ في جنْبِها قُـــفُّ[6]

---

[4]المصدر السابق ،ص 37.
[2]ـالمصدر نفسه ،ص 37.
[3]ـالمصدر نفسه ،ص 37.
[4]ـالسفساف: سفساف الشعر،رديئه، و شعر سفساف، رديء، و سفساف الأخلاق رديئها، و السفساف:الرديء من كل شيء،و الأمر الحقير، وكل عمل دون الإحكام،وأصله ما يطير من غبار الدقيق إذا نخل،و التراب إذا أثير.
[5]ـأبو علي الحاتمي:الرسالة الموضّحة،ص39.
[6]ـالمصدر نفسه،ص40.

وقد عبر **"الحاتمي"** عن عدم إعجابه بهذا البيت بقوله لا يوجد" أهجن من هذا لفظا و أقلمن البيان حظا"[1]و أغرب من هذا قولا،و أبعد معنى.

معيارالمعاظلة و التعقيد و الغموض :

يقول **"الحاتمي"**:و من الغثاثة التي لا ريب فيها قوله:

غثاثةُ عيْشي أنْ**تَغَثَّ** كرامتـــــي و ليسَ**بغثٍّ** أنْ**تغَث** المآكِـــــــــلُ[2]

وقد وسمه الحاتمي بالغث لأن **"المتنبي"** عمد إلى لفظة "غث"و أخذ في تكرارها مع أنه يعلم بأن هذه اللفظة مستهجنة، و مكروهة،ولا تحب العرب سماعها.

أما قوله:

لم تحْكِ نائِلَكَ السَّحابُ و إنَّمـــا حُمَّتْ به فصَبيبُها الرُّحَضـــــــاءُ[3]

وهذا يقول **"الحاتمي":** "من الألفاظ القلقة و المعاني الغلقة"،وكأن **"المتنبي"** عمد إلى مجموعة من الألفاظ التي لا معنى لها و قام بتركيبها في غير تناسق،و نتج عنه بيتا لا معنى له ضف إلى ذلك أن ألفاظه مركبة في غير اتساق.

و من مستغلق الكلام قوله:

إذا عَذلوا فيها أجَبْتُ بأنـــــه حُبِّيبَتا قلْبي فؤادًا هيَا جُمْـــــــــلُ[4]

أي أن هذا الكلام مغلوق على نفسه،و حتى لو حاولت جاهدا أن تفهمه فإنك لن تستوعبه،ومن كلامه الغلق المستغلق قوله:

أرضٌ بها شرفٌ سِواها مِثْلُها لوْ كانَ مِثْلَكَ في سِواها يوجَـــــدُ[5]

---

(1)ـالمصدر السابق،ص40.
(2)المصدر نفسه،ص40.
(3)المصدر نفسه،ص44.
(4)المصدر نفسه،ص46.
(5)المصدر نفسه،ص46.

وقد وسمه الحاتمي الغلق المستغلق لأنك لن تفهمه بسبب ابهامه و عدم وضوحه،و كأن المتنبي عند نظمه لهذا البيت لم يفكر في القارئ، فهو أكيد يفهم ما يقول،ولكنه لم يوصل ما أراد قوله للقارئ،بهذا الأسلوب الركيك، و اللألفاظ المتنافرة.

مع أنه أراد أن يقول:"إن لهذه الأرض التي حللتها شرفا بحلولك إياها،و لو ألقي مثلك في أرض أخرى غيرها لكانت مثل هذه"[1]، و لو عبر عنها بطريقة أخرى لنجح لا ريب.

و من شعره المستغلق أيضا قوله:

أَنَّى يكونُ أبَا البَرِيَّـــــــــــة آدمُوأبوكَ و الثَّقلان أنتَ مُحمّـــــــدُ[2]

إن المتأمل لهذا البيت لأول وهلة يتعجب لهذه الصياغة الغريبة،و هذا التقديم و التأخير البعيد عن المألوف، وتقدير الكلام:"كيف يكون آدم أبا البرية وأبوك محمد و أنت الثقلان. و ربما يريد أنت الإنس و الجن، و آدم واحد من الإنس، و أبوك محمد، فكيف يكون آدم أبا البرية؟و قد فصل بين المبتدإ الذي هو (أبوك)، و بين الخبر الذي هو (محمد)بالجملة التي هي قوله(والثقلان أنت)، وهذا تعسف شديد،و مذهب عن الفصاحة بعيد."[3]

وعادة يقوم التقديم والتأخير في الجملة ببعث بعض التساؤلات في نفس القارئ التي لا تنفك تتضح، أما في هذا البيت فزاده غموضا و ابهاما.

ومن نظمه المبهم أيضا قوله:

وكمْ وكمْ حاجةٍ سَمَحْتَ بِهـــــــا أقربُ مِني إليَّ مَوعدُهـــــــــــا[4]

وهذا أيضا من أبياته الغامضة التي لا يمكنك استيعابها بسهولة حيث يقول **"الحاتمي":** "وهذا من مستهجن الكلام، و مستكره التركيب، و إنما ذهب إلى قصر عمر موعده، و

---

[1]-المصدر السابق،ص46.
[2]-المصدر نفسه،ص47
[3]-المصدر نفسه،ص47
[4]-المصدر نفسه،ص47

قرب وعده في إنجازه،فأساء العبارة عن هذا المعنى كل الإساءة." [1] وهذا إن دلّ على شئ إنما يدل على قصر **"المتنبي"**عن ايصال فكرته و هذا راجع إلى سوء استعماله للألفاظ و المعاني.

معيار ركاكة الأسلوب واللفظ:

كما في قوله:

و أبعدَ بعدُنا بعدَ التَّدانـــــــي و قَرَّبَ قُربَنا قرْبَ البعـــــــادِ[2]

وهنا أساء **"المتنبي"** استعمال الألفاظ فجاءت العبارة ركيكة، مبهمة و غير واضحة، الأمر الذي يجعلك تبذل مجهودا كبيرا لفهم ما يريد المتنبي قوله بهذه العبارة،والأصل فيها:"أبعد ما كان بيننا من البعد فجعله كبعد التداني الذي كان بيننا،و قرب قربنا فجعله مثل قرب البعاد الذي كان بيننا،أي ذهب إلى أن قربه إليه كان بحسب ما كان بينه و بينه من البعد"[3]مع أن المتنبي كان بإمكانه صياغة هذا المعنى في صورة أفضل،لما كان يملكه من سرعة البديهة، و الفطنة، والقدرة على التعبير.

و هذا كما في قوله:

اخترتُ دَهماءَ تَين يا مطـــــــرُ و مَنْ لهُ في الفواضِلِ الخِيَـــــــرُ[3]

و في هذا البيت أراد **"المتنبي"** أن يقول:"اخترت الدهماء من هاتين الفرسين يا رجلا يجري في جوده مجرى المطر. "و هنا أيضا أساء استعمال الألفاظ المناسبة للتعبير عن هذه الفكرة و قد عبر **"الحاتمي"** عن ذلك بقوله:"و هذا كلام يشهد تكلفه و استكراهه ببعده عنمدرجة البيان"[4]لأنك لا تستوعبه لأول وهلة بل تحتاج إلى إعادة قراءته مرات و مرات حتى تفهمه.

---

[1]-المصدر السابق،ص47

[2]- المصدرنفسه ،ص47

[3]-المصدر نفسه،ص 48.

[4]-المصدر نفسه،ص 48

معيار سوء اللباقة و التأدّب :

و من كلامه الهجين قوله في هجاء ابن كيغلغ:

و إذا أشارَ مُحدِّثًا فكأنَّـــــــــــــــهُ قرْدٌ يُقَهقِهُ أوْ عـجوزٌ تَلطِـــــــــمُ[1]

و قد أعاب عليه **"الحاتمي"** قوله هذا لأنه لا يجوز أن يشبه الإنسان و هو أرقى الكائنات بالقرد، أما تشبيهه له بالعجوز وهي تلطم، فهذا من التشبيهات القبيحة والبعيدةعن المعنى و الصورة التي أراد أن يوصلها ويعبر عنها .

على أنّ مآخذ **"الحاتمي"** على **"أبي الطيب"** في هذا السياق تعسّف كبير؛ لأنّ موضوع البيت في الهجاء، و كان طبيعيا أن يستخدم الألفاظ التي تليق بمقام الهجاء.

و سأله **"الحاتمي"** عن قوله:

بَليتُ بِلى الأطلالِ إنْ لم أقِفْ بهـــا وُقوفَ شحيحٍ ضاعَ في الترْب خاتَمُهْ[2]

"كيف قلته أشحيح أم شجيج؟ فقال:أنا (قلته) بحاء لا غير، هذا معنى اخترعته. [فرد الحاتمي]:إنما اجتذبته من قول **"هميان بن قحافة":**

فهُنَّ حَيرَى كَمُضلِاتِ الخَـــدَمْ[3]

فبين اللفظتين بون بعيد،كما أعابعليه قوله:

بَليتُ بِلى الأطْلالِ إنْ لم أقِفْ بها[4]

لأنه أساء التعبيرعنها،و هذا راجع إلى سوء استعمال الألفاظ.

وأضاف:و قد كررت معنى قولك:"بَليـــتُ بِلـــى الأطْـــــلالِ"، "إلا أنه لم يأت موجزا إيجازك فيما تقدم ":

---

[1] ـالمصدر السابق،ص 49.
[2] ـالمصدر نفسه،ص49

[3] ـالمصدر نفسه، ص 49
[4] ـالمصدر نفسه،ص 49

ما زالَ كلُّهزيمِ الوَدْقِ يُنحِلُـتها و السَّقمُ يُنحلني حتى حكتْ جسـدي[1]

و مع أنه موجزإلا أنه لم يعجب **"الحاتمي"** فانتقده بقوله:"وقد عمدت في هذا البيت إلى أحسن بيت و أشرفه عبارة، فأعدته في عبارته في عبارة مجتذبة، و ألفاظ غير مستعذبة."[2]

و من إساءته أيضا قوله:

وكمْ للهوَى من فتىً مُدْنَـــــــفٍ وكمْ للنّوَى منْ قتيــلٍ شهيـــــــــدِ[3]

صنف **"الحاتمي"** هذا البيت ضمن الأبيات ذات اللفظ السفساف، و النظم المتهالك ،وهذالأن تركيب اللفظ الردئ سينتج عنه بالضرورة نظم أقل ما يقال عنه أنه ضعيف و متهالك.

و انتقد أيضا قوله:

بانُوا بخرْعُوبَـةٍ لهـا كَـفَـــــــلٌ يكــادُ عنـدَ القِيـامِ يُقْـعِــدُهــا[4]

مخبرا إياه أنه أخذه من قول المحدثين:

تمْشي فيُقعدُها روادِفُهـــــــــا فكأنَّما تَمْشي إلى خلـــــــفِ[5]

وهذا ما يطلق عليه "الإعذار"[6]،أي أنه أخذ شطر البيت الأول و غادر قوله :

فكأنّـما تَمشــي إلـى خلـفِ

و هذا ما جعله لا يستوفي معناه.و من تقصيره الشديد قوله :

---

[1] المصدر السابق، ص 50.
[2] المصدر نفسه،ص50
[3] المصدر نفسه،ص51
[4] المصدر نفسه،ص54.
[5] المصدر نفسه،ص54.
[6] المصدر نفسه،ص54.

أمِنَ ازْدِيارَكِ في الدُّجى الرُّقبـــاءُ إذ ْحيثُ كنتِ من الظَّلام ضِياءُ[1]

إذ اعتبره **"الحاتمي"** "من التكلُّف الشديد،البعيد من اللفظ السديد."

ثم أنشد قوله:

طَلَبَ الإمارَةَ في الثُّغورِ ونُشْـؤُهُ ما بينَ كَرْخايا إلى **كَلْـــوَاذا**[2].

و التفت إليه قائلا:"من أين لك هذه اللغة في (كلواذا)؟ما أحسبك أخذتها إلا من الملَّاحين.قال: وكيف؟[فرد الحاتمي]:

وإنَّك أخطأت فيها خطأ تعثرت فيه ضالًّا عن وجه الصواب. قال: ولم ؟[فرد]:لأن الصواب كلواذ بكسر الكاف، و إسكان اللام و إسقاط الياء. قال: وما الكلواذ؟ [فأجاب]: تابوت التوراة بها سميت المدينة. قال:وما الدليل على هذا؟[فرد] قول الراجز:

كأنّ أصواتَ الغبيطِ الشَـــاذي زَبْرُ مهاريقٍ على كِلْـــــواذِ[3]

و الكلواذ: تابوت توراة موسى.و حكي في بعض الروايات [أن تابوت توراة موسى كان مستودعا أرض كلواذ و]أنَّه كان مدفونا في هذا الموضع ،فمن أجله سميت كلواذ." [4]و قد تلقى المتنبي هذا النقد بصدر رحب إذ قال: "لم يسبق إليَ علم هذا، و قولك مقبول و الفائدة غير مكفورة."

كما أخطأ في قوله:

وَصلتْ إليكَ يدٌ سواءٌ عندَها البازيُّ الأشهبُو الغرابُ الأبقعُ[5]

لأنه شدد الياء في (البازيُّ) تشديدا لا وجه له، ووصل ألف القطع في الأشهب،و هذا و إن كان له وجه من الصحة إلا أنه قبيح، حيث قال:"و لا أعلم أحدا من الفصحاء شددَّ الياء في البازي إلا البحتري و عليه اعتمدت، وعلى لفظ بيته ركنت في قوله ":

---

[1] المصدر السابق،ص55
[2] المصدر نفسه ،ص56
[3] المصدر نفسه،ص56
[4] المصدر نفسه،ص56
[5] المصدر نفسه،ص56.

"و بياضُ البازيِّ أحسنُ لـونـًا إنْ تأمَّلتَ منْ سوادِ الغُرابِ[1]

وقد ردَّ هذا على **"البحتري"** و خطئَّ في تشديده الياء.و المسموع في ذلك لغتان :إحداهما باز وبزاة كما تقول قاض وقضاة و رام و رماة كقول امرئ القيس :

على ظهر**بازٍ** في السَّماءِ مُحلِّقِ[2]

واللغة الثانية "بأز"بالهمز "وأبؤز"، كما تقول كلب و أكلب.ويجمع على" بئزان " ،جاء ذلك في الشعر الفصيح .

فقال:لم أقل هكذا، وإنما قلت البازي الاشهب بسكون الياء.[و هنا قال الحاتمي]:قد قطعت ألف الوصل في البازي الاشهب ووصلت ألف قطع فجمعت بين ضرورتين في بيت واحد.فقال:قد جاء مثل ذلك في الشعر.[فرد الحاتمي]:إنما جاء شاذا و ليس بسائغ لمحدث.فقال:قد قال **"الطرماح":**

ألا أيُّها اللَّيلُ الطَّويلُ ألا **أصبحِ**[3]

فوصل. فقلت:الطرماح قروي و الرواية الصحيحة :

ألا أيَّها اللَّيلُ الذي طالَ**أصبـح** ببَمٍّ وما الإصباحُ فيكَ بِـأرْوَحَ"[4]

مع أن **"الحاتمي"** قليلا ما يبين سبب انتقاده لبعض أبيات المتنبي، إلا أنه وفي هذا المثال بين المواقع التي أخطأ فيها المتنبي بل و أقنعه برأيه ،كما أتى بشواهد تؤكد رأيه و كلامه.

و هذا الكلام ينسحب أيضا على المثال التالي:

قال **"المتنبي" :**

و **أنْكَ** بالأمسِ كنتَ مُحْتَلِمًـــا شيخَ معدٍّ و أنتَ أمْرَدُهـــــــا[5]

---

[1]- المصدر السابق ص57.
[2]-المصدر نفسه،ص 57.
[3]-المصدر نفسه، ص 58.
[4]-المصدر نفسه، ص 58.
[5]-المصدر السابق،ص 58.

ووجه الانتقاد يكمن في لفظة"أنك"؛ لأنه أجرى المضمر في قوله "أنك"مجراه مع الظاهر، و هذا فيه قبح شديد.لأن ذلك يحسن مع الظاهر فقط،أي أنَك تصلح فقط في حالة الظاهر لا المضمر كما فعل المتنبي، و الدليل قول الشاعر :

و يوْمًا تُوافينا بوَجهٍ مُقسَّـــمٍ**كأنْ** ظبيةٌ تعطو إلى وارقِ السَّلْمِ[1]

و قول الأخر:

و صدرٍ مشرقِ النَّحـــــــرِ**كأنْ**ثَدْيَيْهِ حُقَّـــــــــــــــــانِ[2]

كما حاول **"المتنبي"** الدفاع عن وجهة نظره فقال:قد قال آخر:

فلو **أنْكِ**في يومِ الرّخاء سألتِني فراقكِ لم أبخَلْ و أنتِ صَديـــقُ[3]

فقال **"الحاتمي":**"هذا جائز على الضرورة، ووجه جوازه ضعيف جدا.وليس يحمل القياس على الشذوذ و الضرورات"[4]

كما أعاب عليه لفظة**"دفر"**في قوله:

و قتلنَ**دَفرًا** و الدُّهيمَ فما تُـــرَى أمُّ الدُّهيم و **أمُّ دَفْرٍ** هابِـــــــلُ[5]

و سأله عن قوله: (و قتلن دفرا والدهيم)؟فقال: "هما من أسماء الداهية،وقد تسمى الدنيا دفرا"فقال **"الحاتمي":** "هذا خطأ في الدفر لم يقله أحد، و لا رواه راو،و لا ادَّعاه على العرب مدَّع. فأمَّا الدفر فالنَّتن؛و الخبر عن عمر،رحمة الله عليه و"ادفراه"، و العرب تكني الدنيا أمَّ دفر من أجل المزابل التي فيها، و يقال :دفرته دفرا إذا دفعت في صدره. و قالوا للأمة: يا دفار لنتنها. ويقال: دفرا دفرا لما يجيء به فلان، إذا قبَّحت الأمر أو نتَّنته .و قال صاحب كتاب العين: الدّفر وقوع الدود في الطعام واللَّحم، و الدنيا دفرة أي منتنة. و نحو هذا ذكر **"ابن دريد"** في الجمهرة.هذا قول أهل العلم و مستودع كتب اللُّغة ولا يعلم

(1)-المصدر نفسه،ص 58.
(2)-المصدر نفسه،ص 58.
(3)-المصدر نفسه،ص 58.
(4)-المصدر نفسه،ص 59.
(5)-المصدر نفسه،ص 59.

أحد أنَّه ادَّعى أن الداهية تسمّى دفرا، ولا أن الدنيا تسمَّى دفرا.و أماَّ الدَّهيم فمن أسماء الدَّاهية؛والأصل في ذلك أن ناقة كانت لبعض الملوك تسمَّى الدُّهيم،فقتل قوما وبعث برؤوسهم عليها في غرارة،فلمَّا جاءت قالوا: عليها بيض نعام.فقال الرسول انظروا عمَّا يفرخ البيض.فلمَّا نظر إلى رؤوس اولاده قال:

و عندَ**الدُّهيْمِ**لو أُحِلَّ عِقالُهـــــا فتصعدَ لم تعْدَمْ منَ الجِنّ حادِيا[1]

يريد أن الجنَّ تعين على فعل المكروه.ثمَّ كثر تشاؤمهم بهذا الاسم حتى جعلوا الداهية دهيما.فقال:"إذا كانت الدنيا تكنى أمّ دفر،سمّيت أيضا بدفر من أجل أن كناهم لهذه الشياء كالأسماء.فقال الحاتمي: الأمر على خلاف ما تخيَّلته"[2]، فلو كان ذلك صحيحا لسميت الدنيا شملة لأن كنيتها أمَّ شملة، و الدليل على صحة قولنا ما قاله **"ابن الأعرابي"**يصف حال هاته الدنيا و تقلب أحوالها:

منْ**أمُّ شملة** ترْمينا بَوائِقُهـــــا غرَّارة ٍرُئيَتْ منها التّهاويـــــلُ[3]

و كذلك الحال بالنسبة للخمر التي تكنى بـ:أمّ الخل لكانوا سموها خلاً كما قال الشاعر:

رَميتُ**بأمِّ الخَلِّ** حبَّة قَلْبِـــــــه فلمْ يَستفِقْ منها ثلاثَ ليـــَالــي[4]

و لكانت هذه الدنيا تسمَّى حبينا،لتكنيتهم إيَّاها بأمّ حبين.و لكانت الحمى تسمى ملدما لتكنيتهم إيَّاها بأمّ ملدم،وما ادعاه **"المتنبي"** في بيته هذا لم يدعه أحد من العلماء،ذلك أن قوله:

أمُّ الدهيــم و أمُّ دَفــرٍ هابــلُ

لم يعجب الحاتمي وقد عبر عن ذلك بقوله:"لا انتظام لمعناه.و محصول المعنى أنَّ أمَّ النتن و أمَّ الداهية ثاكل. و هذا من المعاني الممقوتة التي تصم ناطقها، و تهين قدره، و تسم بميسم النقص شعره، لأنَّه قد جمع فساد المعنى،و الخطأ في اللّغة."[1].

---

[1]ـ المصدر السابق،ص60.

[2]ـالمصدر نفسه،ص60.

[3]ـالمصدر نفسه،ص60.

[4]ـالمصدر نفسه،ص60.

ومن الأشعار التي أقنع فيها الحاتمي المتنبي برأيه قوله:

ملكٌ زَهتْ بمكانِه أيَّـامُـــــهُ حتى افتَخَرْنَ به على الأيَّـــــام[2]

إذ أخبره أن الصواب هو: زهيت بمكانه.و كعادته لم يفوت الحاتمي هذه الفرصة ليقلل من قدرة المتنبي المعرفية فقال:"أتراك من فضلك و توسعك في أدبك لم تطالع كتاب "الفصيح" و ما تضمنه من قوله:"و قد زهيت علينا يا رجل، و أنت مزهوٌّ،و كذلك يقال: زهى الرجل، و زهيت المرأة، كما يقال: نخي الرجل، و نخيت المرأة من النَّخوة،فهما منخوَّان.

و قالت عائشة، رضي اللّه عنها:الحلي مستعار للعرائس تزهى أن تلبسه.و لا يقال زها إلاّ في النبت إذا اصفرّ، و ظهر زهوه أي: صفرته. ونهى رسول الله،صلى الله عليه و سلم و على آله ،عن بيع التمر حتى يزهو.

و بعض أصحابنا يقول حتى يزهى من أزهى.وذكر أن "يزهو"خطأ، و الزهو البسر إذا لوَّن. يقال: أزهى البسر، و الإزهاء،زعموا، في البسر أن يصفرّ و يحمرَّ.و **"الأصمعي"** يقول حتى يزهى البسر، بفتح الهاء،و يأبى ما سواه فالزهو البسر الأصفر،

و الزهو الكذب و أنشد:

عندَ ابنِ عِمرانَ زَهوٌ غيرُ ذي رُطـــبٍ و عندَه رُطَبٌ في النَّخلِ ممنـــوعُ[3]

و الزهو أيضا:أن تشرب الإبل ثمّ تمدّ في طلب المرعى ولا ترعى حول الماء. يقال: زهت الإبل تزهو زهوا.و الريح تزهى النَّبات إذا هزَّته، و السراب يزهى الرُّفقة كانَّما يرفعها، و الأمواج تزهى السفينة."[4]

أتُرى **"الحاتمي"** كان يحفظ كل هاته الأقاويل وبشكل تسلسلي، كما جاءت في كتاب الفصيح، أم أنها معروفة و مسلم بها، و **"المتنبي"** هو الوحيد الذي غفل عنها،وبذلك يكون

---

[1]ـالمصدر السابق،ص60.

[2]ـالمصدر نفسه،ص60.

[3]ـالمصدر السابق،ص64.

[4]ـالمصدر نفسه،ص64.

قد أتاح له الفرصة لانتقاده وتحقير عمله،أم أنه زادها زيادة عندما كان يؤلف الرسالة؟. فالعاقل لا يصدق بأن هناك شخصا ما يحفظ معجما كاملا يضم جميع كلمات اللُّغة العربية، حتى لو كان ذلك الشخص هو الحاتمي.

كما أعاب عليه قوله:

و ضاقتْ الأرضُ حتى صارَ هاربَهـم إذا رأى **غيرَ شيء** ظنَّه رجلًا[1]

لأن من غير المعقول أن يطلق اسم لا شيء على شيء مرئي،و ذلك أن الشائع أن كل الأشياء مرئية، وهنا سأله **"الحاتمي"** بنبرة مليئة بالسخرية:"أفتعرف مرئيًّا يتناوله النظر لا يقع عليه اسم شيء.و أحسبك نظرت فيه إلى قول **"جرير":**

ما زلتَ تَحسَبُ كلَّ شيء بعدَهـــــــم خيلاً تكرُّ عليكُمُ و رِجـــــالا[2]

وقوله من التَّخيُّل المليح،أما المتنبي فأحال المعنى عن وجهته،و عبر عنه بغير عبارته.

و من أخطاء **"المتنبي"** اللُّغوية أيضا قوله:

لأمـةٌ**فاضَـــةٌ**أضـــــــــــاةٌ دِلاصٌ أحكَمَـتْ نسجَهـا يَدا داودِ[3]

وسبب النقد كان في كلمة "فاضة" من أجل أنه لا يقال درع فاضة، إنما يقال :مفاضة، و جمعها مفاض.و يقال الدرع أيضا فضفاضة و فضافضة إذا كانت واسعة.و الدليل قول امرئ القيس أو أبو داود:

و أعـددتُ للحـربِ**فضْفـاضَـــــةً**تَضاءلُ في الطيّ كالمبـردِ[4]

و هنا توجه الحاتمي للمتنبي متحدثا:"فإن كنت اشتققت فاضة من قول امرئ القيس:

تفيـضُ علـى المـرءِ أرْدانُـهـــــا كفيضِ الأتيّ على الجُدْجُـدِ[1]

---

[1]ـالمصدر نفسه،ص64.

[2]ـالمصدر نفسه،ص60.

[3]ـ المصدر السابق،ص74

[4]ـالمصدر نفسه،ص74.

فالوجه أن يقال فائضة لا فاضة.ولم تأت هذه الكلمة في شعر عربي صريح،ولا في كلام مولَّد فصيح. ولا سمعنا بفاضة إلا في بيتك هذا،ومن بيت **"أبي الشيص":**

ومُنـازلٍ للقـرن يسحــبُ فاضـــةٌ علـقَ النَّجِيـعُ بثوبهـا الفضْفـاض[2]

و أبو الشيص مستعمل من هذه اللَّفظة ما لا أصل له،وليس يجوز في اللُّغة.و إنما اعتمد التجنيس فأسقط هذا الإسقاط ."[3]

وما قاله **"الحاتمي"** عن لفظة "فاضة "كرره عن لفظة "شائل"في قوله:

فلُقَيــــنَ كُــلَّ رُدَيْنِيَّـــــــــــةٍ و مَصبوحـَـةٍ لبَـنَ الشّائـــــــل[4]

و ذلك لأن الشائل من النوق هي التي شال لبنها،أي ارتفع و قلَّ، و من هنا طرح الحاتمي سؤاله:كيف خصصتها بلبن الشائل مع قلّته و ارتفاعه.و كان الأولى أن تجعلها غزيرة لا بكيئة،كما قال **"مطير بن الأشيم"** و كان وصافا للخيل :

قَصَـرتُ لهـا أربَعًا جِلْـــــــةً و أكتبتُ حافِـرَها أن يـَــرُودَا

و قلـــتُ لِقَـييِّـمِهـا رَوِّهـــــا صَويحًا و لا تَسْأمن أنْ تَزيــدا[5]

فلم يرضه أن يقصر عليها واحدة حتى ذكر أربعا لصنعها.و أنت لما اقتصرت بها على واحدة جعلتها شائلا.فقال[المتنبي]:إنما أردت تؤثر باللَّبن مع قلّته و ارتفاعه على العيال لعتقها و كرمها. فقلت:و أنت إذا أردت ذلك، و ذهبت إليه تخبر عن اللزبة و الشدّة و انقطاع الألبان،و هذا مقصر بالفرس مع إيثارها و ناقض من صنعها و مخلّ بقوّتها، و أحمد منه قول **"مطير"** و أدلّ على حسن الصنع.و يقال ناقة شائلة و شائل أيضا و جمعها شولو شائلة للتي شالت بذنبها، ليعلم أنّها لاقح و جمعها شوَّل،قال **"أبو النَّجم"** :

كأنَّ في أذنـابِـهـنَّ الشُـــــوَّل من عَبَسِ الصَّيفِ قُرونَ الأيَّل[1]

---

[1]ـالمصدر نفسه،ص74.
[2]ـالمصدر نفسه،ص74.
[3]ـالمصدر نفسه،ص75.
[4]ـالمصدر نفسه،ص75
[5]ـالمصدر السابق،ص75

و**"الحاتمي"** لم يبذل جهدا ولو بسيط أن يفهم قصد المتنبي ولا المعنى المراد من وراء قوله ذاك،مع أن موقف **"المتنبي"** كان واضحا خاصة بعد التبرير الذي أعطاه له.

ثم قال:و أخطأت في الكلمة التي أولها :

كَدعواكَ كلٌّ يدَّعي صِحَّة العقـل[2]

بأن قلت:

تُمِرّ الأنابيبُ الخَواطرُ بيننـــا و تذكُرُ إقبالَ الأميرِ فتَحلوْلي[3]

و سبب الخطأ أنّه أتى ببيت مردف في قصيدة غير مردفة، و هذا شاذّ في الشعر العربي،و رد **"المتنبي"** عن ذلك يوحي بانه كان يعرف أنَّه يقولا شاذًا و ذلك أنَّه قال: "هذا و إن كان شاذًا كما ذكرت،فإنَّه عذب على اللسان غير قلق في الإنشاد"،و دليله أن ذلك جاء مثله في كلام العرب:

و بالطَّوفِ نالا خيرَ ما نالَه الفتى و ما المرْءُ إلاَّ بالتَّقلُّبِ و الطَّوفِ

و:

فراقُ حبيبٍ و انتهاء عن الهـوَى فلا تَعذُليني قد بدا لكِ ما أُخفِي [4]

فقال **"الحاتمي":**"لعمري أنَّ قوما لا علم لهم لا يرون هذا شاذًا،و لا يرون الواو المفتوح ما قبلها ولا الياء شاذًا ردفا،يزعمون أنهما ليس بحرفي مدّ،لأن الصوت لا يمتدُّ بهما كامتداده بالياء و الواو المكسورة والمضموم ما قبلها.و ذلك غلط من قائله إذ كان فتح ما قبلهما لا يخرجهما عن جنسهما، إذ كان مخرجهما في الحالين من مكان واحد من الفم ،فصورتهما في اللَّفظ واحدة. و إنما الفتحة تنقلهما قليلا،فلا يمتدُّ الصوت بهما كلَّ الامتداد،و لكنه يمتدُّ امتدادا يستحقان به أن يسمَّيا حرفي مدّ.فإذا جاء للعرب بيت فيه ردف مع ما لا ردف فيه معا و اعتدَّ شاذًا ،كما جاء لهم الإقواء و الإكفاء و الإيطاء، فليس لمحدث أن يرتكب مثل

---

(1)ـالمصدر نفسه،ص76
(2)ـالمصدر نفسه،ص76
(3)ـالمصدر نفسه،ص76
(4)ـالمصدر السابق،ص76

ذلك،ولا يتسمَّح في قوافيه بشيء من المعائب،و إن كانت موجودة في أشعارهم على طريق الشوادّ"[1]وأردف هذا بمجموعة من الأبيات الشعرية لابن بيض ليدعّم به ما سبق.وبعدها أخبره المتنبي بأنه يقول الشعر على السليقة، و يجري فيه على طبعه،و يقول ما يسوّغه لسانه.

ثمَّ أقبل عليه و قال: "أنصف، فإن النصفة من شيمك،و أنعم النظر إنعام مثلك ممَّن تقدَّمت في العلم قدمه، ووقعت الإشارة إلى موضعه،ولا تسلّط الهوى على الرأيمن الذي تناسبت مباديه و مناهيه، و تشابهت أعجاز شعره و هواديه؟و من ذا الذي برئ من معاب؟ و ساء من يتبع ناظما كان أو ناثرا و أولا من الشعر كان أو آخرا.و ما أنا ببدع منهم. و إذا أنصفت من نفسك، وألقيت رداء الحميَّة على كاهلك، ألفيت نفسك في جميع ما عددته من سقطاتي ، و نعيته من أبياتي، محجوجا. لأن ما أحسن في الكثير،اغتفرتإساءته في القليل اليسير.هذا امرؤ القيس و هو إمام الشعراء،والفاتق لهم أكمام المعاني، ورب القصب والسبق إلى كلّ لفظ مهذب، ومعنى مخترع،و تشبيه مبتكر، قد أحسنمواضع، و توسَّط في مواضع.و أساء في حال."[2]،ثمَّ ذكر بعض الأبيات التي أساء فيها،و منه انتقل إلى زهير و مما جاء في قوله:

فأقسَمتُ جهدًا بالمحصَّبِ منْ مِنًى و ما سُحِفتْ فيه المقاديمُ و **القَمْلُ**[3]

و هذا في نظر **"المتنبي"** من أرذل و أوضع لفظ،أما بالنسبة للحاتمي فلفظة "القمل"هي اللفظة الوحيدة الجافية، و حتى لو لم يعجب البيت **"الحاتمي"** فإنه لن يعترف بذلك خاصة أمام المتنبي، وهذا بسبب الكره الشديد الذي يحمله له.

ولم يعجبه كذلك قوله:

تقيٌّ نقيٌّ لـم يكثِـر غنيمـــــةً بنكهـةِ ذي قرْبــى و لا **بحَقَلَّـدِ**[4]

---

[1] ـالمصدر نفسه،ص77.
[2] ـالمصدر السابق:ص78
[3] ـالمصدر نفسه:ص82
[4] ـالمصدر نفسه:ص82.

لأنه اعتبره لفظا جافيا و قلقا ولا يتناسب مع ما تقدم من قوله في هذه القصيدة،أما الحاتمي فبدأ بشرح كلمة "بحقلد" و معناها هو الضيّق السيئ الخلق،على لغته و لسانه". و ليس من أجل أنها لفظة غريبة وجب أن تنعى عليه و تنسب إلى مساويه" ذلك أن معنى البيت لطيف حتى و إن كانت هذه اللّفظة غريبة فإنها لم تفسد معناه العام،لأنه أراد أن يقول "أنه لا يظلم قريبا و لا وحيدا ولا ينتهك حقّه من غنيمة يشهدها معه استضعافا له و تسلُّطا عليه واستيلاء على نصيبه،تكثُّرا منه لمغنمه و توفيرا لمرباعه.فنفى عنه ما يسفُّ إليه غيره."[1]، ثمَّ التفت إليه **"الحاتمي"** و قال:و أخطأت أيضا في قولك:

الأديبُ المُهذَّبُ الأصيدُ الضَّرْ بُ الذَّكيُّ**الجَعدُ** الرَّئيسُ الهمامُ[2]

"و ما ظننت أحدا تجرَّأ على هذا اجتراءك عليه،فإن أحداث المتأدبين ممَّن يتعاطى نظم الشعر يترَّفع عن مثله."

ذلك أنه استعمل لفظ "الجعد"، والتي تدل على القصر في غير موضعها،يقال:فلان جعد الراحة إذا كان بخيلا،وجعد الخلق إذا كان ضيق الخلق،و جعد اليد إذا كان قصير الأصابع .و الذئب يكنى أبا جعدة،من أجل تقبُّضه .و شعر جعد من هذا أما كلمة "طماطمه"في قوله:

غضبتُ له لمّا رأيتُ صِفاتِهُ بلا واصفٍ و الشّعرُ تهذي **طَمَاطِمُهْ**[3]

فهي كلمة أعجمية و تعني الكلام الغير مفهوم، الأمر الذي جعل شعره واعتلاجه في صدره و دبيبه على لسانه بمنزلة كلام الهاذي، و لا خير في من هذه سبيله، في نظر الحاتمي. و الأمر الذي جعله يهجّن كلامه ويفسد معناه و يحول به عن الصّحة هو القافية.و اقترح عليه نموذجا لو اتبعه لأصاب وهو:"و الشعر يمور تيَّاره و يغطمط لجَّه،و يجيش بحره، و تتغاير قوافيه في مدحه."

ثمَّ استفهم **"المتنبي"** عن معنى "قرحان البين "من قول **"أبي تمام":**

أقولُ**لقُرْحانِ منَ البَينِ** لم يُضِفْ رسيسَ الهَوَى بينَ الحشَا والتَّرَائِبِ[1]

---

[1] ـالمصدر نفسه:ص83.
[2] ـالمصدر نفسه:ص88
[3] ـ ديوان أبي تمام،ص 165.

فأجابه **"الحاتمي":**"يريد رجلا لم يقطعه أحبابه و لم يبن عنه ألآفه و لا اعتاده هوى و لا تعبَّد صبره وجد.و الأصل في هذه الكلمة أن القرحان الذي لم يجدر و قال جرير:

و كُنتُ من زفراتِ الحبِّ**قُرْحانًا**

و لم يعقب **"المتنبي"** بعد أن عرف معنى كلمة قرحان.

ثانيا:المعيار البلاغي:كان للدراسات اللغوية و النحوية أثر كبير و هام في مدّ تيّار البلاغة بينابيع من دراستهم في اللغة و تراكيبها ، و بحثهم في الألفاظ و بيان ما يعتريها من ثقل وخفة ، و ما يطرأ عليها من تنافر و تلاؤم ، و قد ذكروا أسباب الخفّة و الثقل ، و عوامل التنافر و التلاؤم التي تفضي إلى فصاحة الألفاظ من حيث الحسن و القبح ، هو أساس فكرة البلاغة التي تصل بالتعبير إلى درجة خاصّة في أداء المعنى أداء متكاملا جميلا مشتملة على كلّ خصائصه و مميزاته .[2]و من ثمّ فإنّ علماء البلاغة أفادوا من الدراسات اللغوية فائدة كبيرة خاصة في مجال البديع الذي يعتبر فيه بؤرة الجمال "لفظة" أو مجموعة من الألفاظ مجتمعة ،لأنّ الكلام الفصيح هو الكلام الظاهر البيّن الذي تكون ألفاظه مفهومة و مألوفة الاستعمال بين أرباب النظم و النثر و دائرة في كلامهم لحسن موقعها .[3]

كما كان للألفة و كثرة الاستعمال دور مهم في الحكم على اللفظة من حيث قربها أو بعدها عن الفصاحة . و لعلّ هذا هو المنطلق الذي انطلق منه النقد القديم في الحكم على النصوص الشعرية سواء تعلّق الأمر بالنقد اللغوي و النقد البلاغي ،حيث انصرف النقاد إلى العناية

---

[1] ـ أبو علي الحاتمي:الرسالة الموضحة 102.

[2] ـعبد القادر حسين :أثر النحاة في البحث البلاغي ،دار نهضة مصر للطباعة و النشر ،الفجالة ،القاهرة ،ص 24

[3]ـ حنّا الفاخوري و آخرون :منتخبات الأدب العربي ،المطبعة البوليسية ،1955،ص 426.

بلغة الشعر من جهة فصاحة الألفاظ و براعة التراكيب و اختيار الكلمات التي تكون وسطا بين الغرابة و الابتذال ، كما ذهبوا إلى التسوية بين اللفظ والمعنى [1]، أو تفضيل أحدهما على الآخر .[2].

و معظم انتقادات الحاتمي في مجال البلاغة تدور حول محورين رئيسيين هما: التشبيه و الاستعارة ذلك لأنهماالأقرب إلى نفوس العرب قديما ،وبهما نحكم على الشّعر بالجودة و الرداءة ،فإن أحسن التشبيه و أجاد الاستعارة ،جعل أشعر الشّعراء ،و إن أساء استخدامها ،حكم على شعره بالرداءة،و قد صنفهما الحاتمي إلى أربع مجموعات هي:التشبيه الجيد والتشبيه الرديءو الاستعارة الجيدة و الاستعارة الرديئة،إضافة إلى بعض الكنايات ،كما لا تخلو الرسالة من انتقادات في بعض الصور البيانية كالطباق و الجناس إلا أنها قليلة إذا ما قورنت بالتشبيه و الاستعارة.

1-التشبيه:

التشبيه: الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه ناب منابه أو لم ينب وقد جاء في الشعر و سائر الكلام بغير أداة التشبيه و ذلك قولك :" زيد شديد كالأسد "فهذا القول الصواب في العرف، و داخل في محمود المبالغة ،و إن لم يكن زيد في شدّته كالأسد على الحقيقة .

و يصحّ تشبيه الشيء بالشيء جملة ، و إن شابهه من وجه واحد ، مثل قولك : وجهك مثل الشمس ، و مثل البدر ، و إن لم يكن مثلهما في ضيائهما و علوّهما و لا عظمتهما ، و إنّما شبهه بهما لمعنى يجمعهما و إياه و هو الحسن ، و على هذا قول الله عزّ وجلّ :" و له الجوار المنشئات في البحر كالأعلام ". إنّما شبّه المراكب بالجبال ، من جهة عظمها لا من

(1)-عبد الله بن مسلم بن قتيبة :الشعر و الشعراء ،تحقيق:مفيد قميحة،دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، ط3،2005،ص25

(2)- حسين عبد القادر : فن البلاغة ،دار نهضة مصر للطبع و النشر ،الفجالة القاهرة ،ص 45.

جهة صلابتها و رسوخها و رزانتها . و لو أشبه الشيء الشيء من جميع جهاته لكان هو هو ([1]).

أولا:التشبيه الجيّد:ومن التشبيهات الجيّدة في نظر الحاتمي هي:

قول النابغة:

كالأقْحُوانِ غداةَ غِبِّ سَمائِـــه جَفَّتْ أعاليهِ و أسْفَلُهُ نـَـدي([2])

وأكثر ما أعجب به الحاتمي في هذا التشبيه هو موضع عبارة "وأسفله ندى"إذ اعتبره موقعا عجيبا،و ذلك أن الأقحوان إذا وقع عليه القطر يكون مجتمعا غير منبسط.و هكذا كلُّ الأنوار.وفي هذه الحال كره أن يشبَّه الثغر به ،لذا شبَّهه بالأقحوان ،إذا أصابته الشمس؛فقال:"جفَّت أعاليه"أي انبسطت وزال تجعيدها ثمَّ قال:" وأسفله ندى"و بهذا يخبرنا بأنَّه لم يذبل ولم يجفّ.و هذا من التشبيهات التي نالت على إعجاب الحاتمي لما فيها من تصوير بارع و تشبيه رائع للثّغر و هو مبتسم.

أما عن تشبيه الراجز في قوله:

كأنَّها و الشَّرْكَ كالشِّنـــــان تَميسُ فـي حُلَّـةٍ أُرْجُـــــوان[3]

و "الشّنان"هي القرب اليابسة،و هذا تشبيه كما قال الحاتمي صحيح.ثمَّ التفت إلى المتنبي سائلا:ألا ترى إلى قول أبي النجم يصف إبلا-و هذا لأن المتنبي أتى بتشبيه لم يعجبه-:

تَمْشي من الرِّدَّةِ مَشْيَ الحُفَّل مَشْيَ الرَّوايا بالمزادِ المُثقَـل

فلم يقتصر على ذكر المزاد حتى وصف حاله بصفة أخرجت التشبيه عن هجنة الإفتراق.

ولم يعجب المتنبي قول جرير:

---

(1) ـ أبو هلال العسكري : الصناعتين ،الكتابة و الشعر،تحقيق:علي محمد البجاوي،المكتبة العصرية ،صيدا بيروت،1986.ص 158.

(2)ـ أبو علي الحاتمي:الرسالة الموضحة ،ص43.

(3)ـالمصدر السابق ص103.

ظَلِلْنا بمُسْتَنِّ الأراكِ كأنّمـا لدى فرَسٍ مُستَقْبِلِ الرّيحِ صائمِ

أغرَّ منَ البُلْقِ الجِيادِ يَشُقُّهُ أذى البَقّ إلاّ ما احتَمى بالقوائم[1]

فأخبره الحاتمي :"إنما أراد جرير أن خفوق الريح بالحاشية يشبه فرسا يرمح برجله إذا قرصه البقّ،و ذكر خباء مصنوعا من أثواب ألوان مختلفة من الثياب ،و لذلك شبَّهه بالفرس الأبلق ."[2]

و قال الطرماح:

يَبْدو و تُضْمِرُهُ البِلادُ كأنَّه سَيْف على شرَفٍ يَسَلُّ و يُغمَدُ[3]

و هذا البيت أخذه من قول النابغة يصف ثورا وحشيا :

مِنْوَحْشِ وَجرَةَ مَوْشِيٌّ أكارعُهُ طاوي المَصيرِ كسَيفِ الصَّقيلِ الفَرِدِ [4]

إلا أن الطرماح أخذه وزاد فأحسن الزيادة ،و صار من أجلها أحق بالمعنى منه،ذلك أنه شبه الثور الوحشي في حالي ظهوره و إخفائه بالسيف في حالي سلّه و إغماده،و هذا تشبيه جيّد استحق بفضله الطرماح أن يشتهر بيته، دون بيت النابغة.كما اشتهر قوله:

مُجتـابُ شَمْلَـةِ بُرْجُـدٍ لسَراتِـه وَزَرًا و أسلَمَ ما سواه البُرْجُدُ[5]

على حساب قول"المرار"يصف الظليم:ذو بُرْدَةٍ خُلّتْ على جُؤْشوشِه
سوداءَ جافيَـةٍ مـنَ الغَـــزْلِ[6]

---

(1) المصدر نفسه ص117.

(2) المصدر نفسهص117.

(3) المصدر السابق ص117.

(4) المصدر نفسه ص155.

(5) المصدر نفسه ص155.

(6) المصدر نفسه ص155.

و شَقيقَةٍ بَيضاء غَيرِ طويلَـــــةٍ عَن رُكْبَتَيْهِ قَليلَةٍ الفَضْـــــلِ

و هذا لا يعني أن "المرار"لم يحسن القول أو لم يجد التشبيه ،ذلك لأنه "شبَّه سواد أعاليه و صدره ببردة سوداء قد خلَّت عليه ،و شبَّه بياض أسافله وحتى ركبتيه بشقيقة بيضاء ،وهو ما شق بإثنين ،لأن ريشه إذا بلغ ركبتيه انقطع"[1].وهذا من جيّد التشبيه إلا

أن الطرماح زاد فأجاد فاشتهر بيته دون بيت المرار.

و من التشبيهات الجيّدة أيضا قول" الأسعر":

يَخرُجن منْ خلل الغُبارِ عوابسا كأصابِع المقرورِ أقْعى فاصْطَلى

ثانيا :التشبيه الرديء: و كل أمثلة هذا النموذج ،تقريبا للمتنبي، كقوله يصف كتيبة:و

مَلْمُومَـةٍ سَيْفـيَّـةٍ رَبْعـيَّـةٍ يصيحُ الحصَى فيها صِياح اللَّقالق[2]

إذ اعتبره الحاتمي من التشبيهات القبيحة،فقال المتنبي :"أما تشبه أصوات الحصى من تحت حوافر الخيل أصوات اللَّقالق؟فقال الحاتمي:"هبه أشبه فهل هو من محاسن التشبيه ؟ألا ترى أنَّهم هجَّنوا قول لبيد:

...و تَرْكاً كالبصلْ[3]

ولأن المتنبي لم يحسن التصوير و لا التمثيل، حصل على تشبيه قبيح،بعيد عن المعنى المطلوب.و هذا ينطبق عن قوله:

كَريمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لمَّا بلغتُـه كأنَّهُمُ ما جَفَّ من زادِ قـــــــادِمِ[4]

وقدعبَّر الحاتمي عن عدم إعجابه بهذا التشبيه بقوله:"تبًّا لهذا التشبيه ، و ضلة لهذا التمثيل ،و يا رحمتا للممدوح به و المواجه بإفساده".[1]

---

[1])المصدر نفسه، ص 155.

[2]المصدر السابق ص30.

[3]المصدر نفسه، ص31.

[4]المصدر نفسه ص32.

و من التشبيهات القبيحة أيضا قوله:

كأنّي دحوتُ الأرضَ منْخِبرَتي بها و كان بني الإسكندرُ السَّدَّ من عزْمي[2]

و لم يكتف الحاتمي بنقد المتنبي فيه بل تجاوزه إلى من أخذ منه وهو أبوتمَّام،وقد قال عنه بأنه تشبيه غير مستحسن ، وقد أخذه من قول أبي تمَّام على أنه لا خير فيه أيضا.

فطَحطَحتُ سدًّا سدُّ يأجوجَ دونَـــهُ منَ الهَمّ لم يُفرَعْ على زُبْرِهِ قَطـــــرُ[3]

فلا بيت المتنبي ،ولا بيت أبي تمَّام أعجبا الحاتمي،أما التشبيه ،فهو من التشبيهات القبيحة والتي لا تحب العرب سماعها

أما عن قوله:

أطعَنُها بالقَناةِ اضربُهَـــــــا بالسَّيفِجَحجاحُها مُسوَّدُهـــــــــا

أفْرَسُها فارِسًا وأطْوَلُهـــــــا باعًا و مِغوارُها و سَيّدُهـــــــــا

شمسُ ضحاها هِلالُ لَيلتِهـــــا دُرُّ تَقاصِيرها زَبَرْجَدُهـــــــــا [4]

فقال:"لم نسمع بأحد شبه الرجل بالزبرجد قبله.و هذا من معانيه الأبكار و ألفاظه الأحرار."و هذا الكلام ينسحب أيضا عن قوله:

إذا عَذَلوا فيها أجَبتُ بأنَّـــــــهُ حُبِّيبَتًا قَلبي فؤادا هيا جُمْـــــــــلُ[5]

و هذا من التشبيهات الجافية في نظر الحاتمي ،ثمَّ قال وأخطأ أيضا في قوله:

فإنْنِلتُ ما أمَّلتُ منكَ فرُبَّمـــــا شرِبْتُ بماءٍ يُعجِزُ الطَّيـــــرَ وِرْدُهُ[1]

---

[1]-المصدر نفسه،ص39.

[2]-المصدر نفسه،ص 39.
[3]-المصدر السابق،ص40
[4]-المصدر نفسه،ص40
[5]-المصدر نفسه،ص46

فتفاجأ المتنبي عندما أخبره الحاتمي بأنَّه أخطأ في قوله هذا فسأله:"و ما وجه الخطأ؟"فأجابه:"إنَّك جعلته بخيلا لا يوصل إلى شيء من جهته.و شبهت نفسك في وصولك إلى ما وصلت إليه منه بشربك من ماء يعجز الطير ورده ،لبعد مشربه و ترامي مطلبه ."و

من الأبيات التي سرقها فبتر معناها و أفسدها قوله:

مُبَرْقِعي خَيلِهمْ بالبِيضِ مُتّخِـذي هامِ الكُمـاةِ علـى أرماحهـم عَذَبـَـــا[2]

و السبب من أجل أنَّ الهام لا تشبَّه بالعذب في حال حملها على القنا ،إلا إذا كانت ذات لمم و ضفائر ، و إلاَّ فهي مشبَّهة بالتيجان ،ثمَّ التفت إليه و قال:"ألا ترى إلى قول أبي تمَّام:

من كُلّ ذى لمَّة غَطَّتْ ضَفائـرُهُ صَدرَ القناةِ فقد كادتْ تُرَى علَمـــا[3]

فالَّلمة بالعذبة واقعة التشبيه ،و الهامة مشبهة بالتاج حتى يصّح التمثيل.و قد قال مسلم بن الوليد في تشبيهها بالتيجان:

يكْسو السُّيوفَ نُفوسَ النَّاكثينَ بهِ و يَجعَلُ الهـامَ تيجـانَ القَنـا الذُّبُـــــل[4]

و ما كلُّ هامة بذات لمَّة ،وإن لم تكن ذات لمَّة أو ضفيرة فلا حظَّ لها في التشبيه بالعلم.

كما قال عن قوله:

كأنَّ بَنـاتِ نَعْشٍ فـي دُجـاهـــا خَرائِـدُ سافـراتٌ في حِـدادِ[5]

"و لا تعلَّق للخرائد من النساء دون غيرهن بهذا التشبيه ؛ إذ كانت الخريدة الحييَّة و الخرد الحياء .و ليست النجوم في الدجى أشبه مناسبة للخرائد في السواد، منها لمن لا حياء له من النساء .و إنَّما قلت "خرائد "، ليلتبس الوضع و يخفى الأخذ."[6]

---

[1] المصدر نفسه،ص75

[2] المصدر نفسه،ص79.

[3] ديوان أبو تمام،ص231

[4] أبو علي الحاتمي،الرسالة الموضحة،ص102.

[5] المصدر نفسه،ص102

[6] المصدر نفسه،ص103

كما أساء التشبيه في قوله:

جزَى اللهُ المَسيرَ إليهِ خَيـــــرًا و إنْ تَرَكَ المَطايا كالمَــزادِ[1]

و ذلك لأنَّه ذهب إلى أنَّ السير أنضى جرومها ،وتخوَّن نيَّها.و ذهب إلى تشبيهها بالمزاد المشنشنة فلم يستطع استيفاء التشبيه ،و قصرت به المادَّة ،فاقتصر على ذكر المزاد،ثمَّ إنَّه ليس كلَّ مزادة بالية ولا مشنشنة.

ولم يعجبه أيضا قول ذي الرمَّة:

و لَيْلٍ كجِلبابِ العَروس ادَّرَعْتُهُ بأرْبعَةٍ و الشَّخصُ في العين واحِدُ

أصمُّ عِلافيٌّ و أبيضُ صارمٌ و أعيَسُ مَهْرِيٌّ و أروَعُ ماجـدُ[2]

فقال بعض الحاضرين :"ما يشبَّه اللَّيل من جلباب العروس".ولم يتكلَّم الحاتمي،فقال له المهلَّبي :ما تقول؟ فقال له:"لا يشبَّه اللَّيل من جلباب العروس شيئا إلاَّ طوله و سبوغه."أي سواده.ثمَّ سأله المهلَّبي فما يريد بقوله :

بأربعةٍ و الشَّخصُ في العين واحدُ

فردَّ:"إنَّه يريد أنَّه نظر إلى هذه الجملة مجتمعة في ظلمة الليل ،فتخيَّلها شخصا واحدا ".

و بعد هذه الإنتقادات اللاذعة في حق المتنبي أخبر الجماعة بأنَّه ليس وحده من أخطأ و ساق مثالا عن أبي تمام في قوله:

رَقيقُ حَواشي الحِلمِ لوْ أنَّ حِلمَهُ بكَفَّيْكَ ما مارَيْتَ في أنَّهُ بُرْدُ[3]

ثمَّ علَّق عليه قائلا :فهل امتدح أحد قبله أحدا برقَّة الحلم ،ووصفه بالركانة و الثخانة أولى ،ألا ترى إلى قول عدي ابن الرقاع:

أبَتْ لكُمُ مَواطِنُ طَيِّبَـــــاتٌ و أحلامٌ لكُمْ تزِنُ الجبَـــــالا

---

[1] ـالمصدر نفسه،ص103

[2] ـالمصدر السابق،ص158

[3] ـالمصدر نفسه،ص159

وأضاف:ثمَّ إنَّه شبَّه الحلم في رقّته بالبرد ، و رقَّة البرد دالّ على هلهلة نسجه و ليس ذلك من أوصافه ولا ممادحه."و بهذا يكون المتنبي قد ردَّ الإعتبار لذاته و لو قليلا، وأتاح لنفسه الفرصة لكي يردَّ على انتقادات الحاتمي.

2-الاستعارة:

الاستعارة :نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض ، و ذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى و فضل الإبانة عنه ، أو تأكيده و المبالغة فيه ،أو الاشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه ، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة ، و لولا أنّ الاستعارة المصيبة تتضمّن ما لا تتضمّنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا ، و الشاهد على أنّ الاستعارة المصيبة في الموقع ما ليس للحقيقة أنّ قول الله تعالى :"يوم يكشف عن ساق "أبلغ و أحسن و أدخل مما قصد له من قوله لو قال : يوم يكشف عن شدّة الأمر ، و إن كان المعنيان واحدا ،ألا ترى أنّك تقول لمن تحتاج إلى الجدّ في أمره :" شمّر عن ساقك فيه ؛ و اشدد حيازيمك له ؛ فيكون هذا القول منك أوكد في نفسه من قولك :" جدّ أمرك " [1]

أولا :الاستعارة الجيّدة: و يعرفها الحاتمي بقوله:" هي التي موقعها في البيان فوق موقع الحقيقة كقول الله تعالى: ﴿إنّا لما طغا الماء ﴾[2] فحقيقة طغا علا . فلمَّا قال تعالى "طغا" برهن أنَّه علا علوا مفرطا، فصار لهذه الاستعارة حظٌ في البيان لم يكن للحقبقة.[3]

من الاستعارات الجيّدة قول محمد بن وهيب:

طَلَـلان طــالَ علَيهما الأبَــدُ دَثَـرا فلا عِلْـمٌ ولا قَصَـــــــــدُ[4]

حيث وصفها الحاتمي بالحلوة وقال:"لو شاء قائل قال إنَّها في هذا الموضع أحسن موقعا منها معها في قول الجعدي"[1]:

---

[1]- أبو هلال العسكري : الصناعتين ،ص 178.
[2]- الحاقة ،الآية 11.
[3]-أبو علي الحاتمي: الرسالة الموضحة، ص70.
[4]-المصدر نفسه،ص50.

لبستُ أُناسًا فأفنَيْتُهُـــــــمْ و أفنَيتُ بعدَ أُناسٍ أُناســـــا[2]

و من الاستعارة اللطيفة قول الآخر:

وَرَدنَ لتَغويرٍ وقد وَقَدَ الحَصى و ذابَ لُعَابُ الشَّمس فوق الجماجمِ[3]

لأنَّه استعار للحصى وقدة ،ليدل عن توقُّد الهاجرة؛كما استعار للشمس لعابا ليخبر عن شدَّة الحرّ.

و مثله قول الآخر:

رَأيتُ فَضيلـة القُرَشيِّ لمَّـــا رَأيتُ الخَيلَ تُسـرَجُ بالرّمـــاح[4]

لأنَّه استعار للرماح لفظة"تسرج"،أي مشعلة،ليدلَّ على شدَّة اقتراشها واحتكاكها،و شدَّة الطعن و استحراره ،فبدت كأنَّها ملتهبة لكثرة اصطكاكها .و هذا البيت يشبه كثيرا قول امرئ القيس:

إذا ركِبوا الخَيلَ و استَلأمُـوا يحَرَّقتِ الخَيلُ و اليَوْمَ قَـــــــرّ[5]

ومن الاستعارات الجيّدة قول حميد بن ثور الهلالي:

عجبتُ لها أنّى يكونُ غِناؤهَا فَصيحًا ولم تَفغَرْ بمَنطِقها فَمَـــا[6]

لأن الشاعر بوصفه للحمامة أراد أن يقول لم تفغر منقارا إلا أنّه قال:"لم تفغر فما" فأحسن وأجاد.و هذا التعبير يقال فقط عن الطير، ولا يصح أن نقول لم يفغر الإنسان منقارا. ومع هذا فإنّ الأصمعي قد ذكر أن الفم يستعمل في جميع الحيوان.و مثله قول الراجز يصف فرسا:

---

(1)ـالمصدر نفسه،ص50.
(2)ـالمصدر نفسه،ص50.
(3)ـالمصدر السابق،ص70.
(4)ـالمصدر نفسه،ص71.
(5)ـ ديوان امرئ القيس،ص 245.
(6)ـأبو علي الحاتمي الرسالة الموضحة،ص72.

كَفَّ الصّعيدِ قدمُهْ[1] وهاطِلِ الجَرْيِ أتيٍّ مقدَمُـــــــهْ ما لَثَمَتْ

لأنّه جعل مكان حافره قدما، وهذا أفضل من أن نجعل مكان القدم حافرا.

و بعد أخذ ورد بينهما قال المتنبي"وهذا النابغة الذبياني، وقد اعتده قوم أشعر من امرئ القيس،و اعتده آخرون تاليا له "[2]إلا أنّ في قوله هذا أساء و أبعد:

إذا ارْتَعَثَتْ خافَ الجَبانُ رِعائَهـا و مَن يَتَعَلّقْ حيثُ عُلّق يَفرَقِ[3]

و بعد قراءته لهذا البيت قال:"هذا دليل على إفراط طول العنق ".فردّ الحاتمي:"و أي دليل في البيت على إفراطه و خروجه عن حدّ الاعتدال المستحسن في مثله .وإنّما ذهب

إلى أنّها عيطاء جيداء،فقد جمعت إلى جيد العنق طول القامة فبعد مهوى قرطها من أجل تمام خلقها و طول عنقها .و ارتعثت بقرط فيخاف الجبان من أهلها و من يلي أمرها من والد ووالدة و حاضنة ضياع رعائها.فحذف، إذ كان فيما بقي من الكلام دلالة على ما حذف منه ."[4]أي أنّ هذه الاستعارة قبيحة في نظر المتنبي وجيّدة في نظر الحاتمي،و بما أنّ مؤلف الرسالة قد صنّفها ضمن الاستعارات الجيّدة ،فلا بدّ لدارس هذه الرسالة أن يضمّها إلى مجموعة الاستعارات الجيّدة.

" و كلّ استعارة لطيفة ،توجب بلاغة بيان بالحقيقة غير نائبة منابها،لأنّ الحقيقة لو قامت مقامها لكانت الحقيقة أولى بها من الاستعارة ".هكذا عرّف الحاتمي الاستعارة اللّطيفة و ساق لها نموذجا هو قول امرؤ القيس:

وقد أغتَدي و الطّيرُ في وُكُناتِهـا بمُنجَرِدٍ قَيدِ الأوابدِهَيكَـــــــل[5]

و موطن القوّة في هذه الاستعارة هو قوله:"قيد الأوابد"و ذلك أنّه أراد وصف الفرس

---

(1) ـالمصدر نفسه،ص 72.
(2) ـالمصدر نفسه،ص81.
(3) ـالمصدر نفسه،ص81.
(4) ـالمصدر نفسه،ص81.
(5) ـديوان امرؤ القيس،ص 123.

بالسرعة، و أنّه جواد إذا أرسلته على الصيد كان كالقيد لها ،و كانت كالمقيّدة له ،و حقيقة "قيد الأوابد"،مانع الأوابد و حابسها .وقيل أيضا "قيد المنين للأسير،و قيل في وصف الفرس قيد الرهان ،و قيل :النواظر قيد الخواطر و قيد العيون ،و كلّ ذلك تركيب على لفظ الفرس،مع التسليم بانّ "قيد الأوابد "أبلغ و أفضل ما قيل.

و هذا النوع من الاستعارة يسمّى "الإرداف": و هو أن يريد الشاعر الدلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الذي يدلّ على ذلك المعنى، بل بلفظ يدلّ على معنى هو ردفه و تابع له.فإن دلّ على التابع دلّ على المتبوع .[1]

و من بديع الاستعارات قول الهذلي :

و لوْ أنّني استَودَعتُهُ الشّمسَ لارْتَقَتْ إليهِ المَنايا عينُها و رسولُها[2]

و قول الأعشى :

فإنّ عِتاقَ الخيلِ سوْفَ تَزورُكـــمْ ثَناءٌ على أعجازِهنَّ مُعَلَّـــقَ

به تُنفَضُ الأحلاسُ في كلّ مَنــزلٍ و تُعقَدُ أطرافُ الحبالِ و تُطلَقُ[3]

و قول ابن هرمة، حيث قال و أحسن كلّ الإحسان:

فقُلتُ إمّا تَرَيْني قد تَخَوَّنَنـــــي دَهْرٌ أشَتَّتُ بهذا النّاسِ مَقلــوبُ

قد رَوّجَ الشّيب في رأس غَريبَتَهُ فما لهُ عن شواةِ الرّأسِ تَغريـبُ

فقد أُجِرَّ فُـؤادي فضْـلَ مِقْــوَدِهِ و تَتَّقي عَبرَتي البيضُ الرّعابيبُ[4]

و هذه كلها استعارات أُعجب بها الحاتمي ،مع أنّه لم يبرز مواطن الجمال فيها ،ولم يعلل وجهة نظره حول هذا الاعجاب.

---

(1)ـأبو علي الحاتمي: الرسالة الموضحة، ص92.
(2)ـالمصدر نفسه،ص 92
(3)ـ ديوان الأعشى،ص214
(4)ـ أبو علي الحاتمي: الرسالة الموضحة، ص93.

ثانيا:الاستعارة القبيحة :ويسميها الحاتمي المستهجنة؛ "و إنّما سميت مستهجنة لأنّهم استعاروا لما يعقل أسماء و ألفاظ ما لا يعقل"[1].كقول المتنبي مخاطبا كافور الإخشيدي:

يَفضَحُ الشّمسَ كلّما ذرّتِ الشّمْـــ سُ بشَمْسٍ مُنيرَةٍ سَـــــوْداءِ[2]

و سبب قبح هذه الاستعارة هو: كيف توصف الشمس و صبغها البياض و الضياء بالسواد؟وما وجه استعارة الشمس للأسود و إلى ما ذهب المتنبي في قوله هذا؟.فقال إنّما ذهبت إلى قول النابغة :

فإنّكَ شَمسٌ و الملوكُ كواكـــــبٌ إذا طَلَعْتَ لم يَبدُ منهنّ كَوْكَبُ[3]

فقال له الحاتمي:" إنّما ذهبت في هذا إلى أنّه في مجده و سؤدده و بإضافة الملوك إليه كالشّمس التي تستر النجوم عند طلوعها. وأنت لم ترد إلاّ أنّ هذا الممدوح في أوصافه يفضح الشّمس طالعة، و هو مع ذلك شمس سوداء، و الشمس لا تكون سوداء إلاّ في حال كسوفها. و لم تذهب في هذا إلاّ إلى سواد جلدته، و قد أنّبته في ظاهر الكلام بقولك "سوداء"تأنيبا عاد معه المدح هجاء، و لا فرق عندي بين قولك هذا في مدحه، و قولك في الكلمة الأخرى في ذمّه:

إنَّ امـرَأً مَـرأةٌ حُبـلى تُـدَبّـــــــرُهُ لمُستَضامٌ سَخينُ العيـنِ مَفئودُ[4]

---

[1]ـأبو علي الحاتمي: الرسالة الموضحة، ص 71.
[2]ـالمصدر نفسه،ص66.
[3]ـالمصدر نفسه،ص66.
[4]ـالمصدر نفسه،ص66.

وإن كانت حقا هذه نيّة المتنبي عندما خاطب "كافور الإخشيدي" فإنّه حقا شخص لئيم، وخاصة أن يعاير شخصا بسواد بشرته، كما أنّه لا يملك الحق في قوله هذا،و إن كان هذا

ومن الاستعارات القبيحة قوله:

أليسَ عَجيبًا أنّ وَصفَكَ مُعجـِـــزٌ وأنّ ظُنوني في مَعاليكَ تَظلَعُ[1]

لأنّه استعار الظلع للظّنون، و تعجّب في غير متعجّب منه،لأنّ من أعجز وصفه لم يستنكر قصور الظّنون و تحيّرها في معاليه،ثمّ أخبره الحاتمي بأنّه نقله من قول أبي تمّام فأفسده :

تَرَقّتْ مُناهُ طَوْدَ عزٍّ لوِ ارْتَقَـــتْ بهِ الرّيحُ فِترًا لانثنَتْ وهيَ ظالِعُ[2]

فردّ المتنبي:"إنّما جريت على عادة العرب في الاستعارة "و لم ينكر الحاتمي هذا إذ قال:"أجل إلاّ أنّها استعارة مستهجنة قلقة حلّت في غير محلّها،ووقعت في غير موقعها.و الاستعارة إذا لم يكن موقعها في البيان فوق موقع الحقيقة،لم تكن استعارة لطيفة.و حقيقة الاستعارة أنّها نقل كلمة من شيء قد جعلت له، إلى شيء لم تجعل له ."[3]

و الحاتمي لم تعجبه هذه الاستعارة كما لم يعجبه موقعها،لأن المتنبي أخطأ التقدير حول موضع هذه الاستعارة،كما أخطأ التعبير عنها،وهذا كما في قول أوس بن حجر:

تَرَى الأرضَ منّا بالفضاء مريضةً مُعضِّلةً منّا بجيشٍ عرَمْرَمِ[4]

فاستعارته للأرض معضلة تشبيها بالمرأة المعضّلة بالجنين.وذهب إلى أنّ الأرض ضيقة بهم غاصة.و قوله مريضة مبالغة في وصف كثرة عددهم، ووقع حوافر خيلهم. فكأن

الأرض حملت منهم ثقلا لا تنهض به، فكسبها ذلك مرضا. وحقيقة المرض النقصان، فكأنّ استطاعة الأرض عجزت، و قواها قصرت و تناقصت عن الاستقلال بما حمّلوها إيّاه.وهذا غير صحيح و لا يجوز التعبير عن الكمال بالنقصان.

---

(1)-المصدر نفسه،ص69.
(2)-المصدر السابق:ص69.
(3)-المصدر نفسه:ص69
(4)-المصدر نفسه:ص70

و من الاستعارات القبيحة قول الحطيئة:

فما بَرِحَ الولدانُ حتى رَأيْتَــــهُ على البَكرِ يَمريه بساقٍ و حافر(1)

وإنّما وصفت بالقبح لأنّه وصف رجلا أضيف و أكرم بقوله في الشطر الأوّل :فما برح الولدان و الإماء يكرمنه إلى أن ركب راحلته وانصرف شاكرا لهم،وإلى هنا كان المعنى تام ومفيد وحسن،إلّا أنّه أخطأ في الشطر الثاني منه بقوله:"يمريه بساق و حافر"لأنّه استعار للرجل موضع قدمه حافرا.وهذا من القبح وقد أشرنا إلى هذا في الجزء الخاص بالاستعارات الجيّدة.وهذا كما في المثال التالي و هو قول الحطيئة أيضا:

قَرَوْا جارَك العَيْمانَ لما جَفَوْتَه و قلّصَ عن بَرْدِ الشّرابِ مشافِرُهْ(2)

و العيب في قوله:"مشافره" حيث جعل له مشفرا في موضع الشّفة، كما جعل في المثال السابق مكان القدم حافرا.وهذا كما في قول الآخر:

سأمنَعُها أو سوْفَ أجعَلُ أمرَها إلى مَلِكٍ أظلافُه لـم تَشَقّــــــــق(3)

حيث جعل للملك أظلافا بدل الأظفار، و الأظلاف تقال للحيوانات فقط فإذا استعملت للإنسان عدّ ذلك قبحا،كما أنّ الأظافر تختلف عن الأظلاف . لأنّها تتصف بالنعومة إذا ما قورنت بالأظلاف.و من الاستعارات البعيدة قول المتنبي:

أسَدٌ دَمُ الأسدِ الهزَبرِ خِضابُـهُ مَوْتٌ، **فريصُ** الموْتِ منه يُرْعَدُ(4)

وقد وصفت بالبعيدة لأنّه جعل للموت فريصا وهي جمع فريصة ، والوجه أن تجمع فريصة على فرائص، و الفريصة لحمة تحت الكتف يقال إنّها مقتل. مع أنّه كان يقصد الجمع في فريص،إلاّ أنّ هذا لم يشفع له أمام الحاتمي. ومن أن أخسّ الاستعارات قول أوس بن حجر:

و ذاتُ هِدْمٍ عارٍ نَواشِرُهــــــا تُصمِتُ بالماء تَوْلَبًا جَدِعــــَــــا(1)

(1)ـالمصدر نفسه:ص71.
(2)ـالمصدر السابق،ص72.
(3)ـالمصدر نفسه:ص72
(4)ـالمصدر نفسه:ص73

وقد صنّفها الحاتمي ضمن الاستعارات الخسّة لأنّه جعل للمرأة تولبا،و التو لب ولد الحمار، كما اعتبرها من أبعد الاستعارات و أشدّها مباينة لمذاهب حذاق الشعراء.و هذا الحديث ينسحب على قوله:

ذي المَعالي فليَعلُوَنْ مَن تعالى هكذا هكذا و إلاّ فلا لا

شَرَفٌ يَنْطَحُ النّجوم بروَوْقَيـــْـ ـهِ و عِزٌّ يُقَلْقِــلُ الأجْبـــَالا[2]

حيث اعتبر الحاتمي قوله (فلا لا) ركيكة جدّا،كما اعتبر بيته فاسدا، فقال له المتنبي: و بأيّ شيء أفسدته؟فقال الحاتمي:"لأنّك جعلت لشرف الرجل قرنين. قال :وما يدريك؟ فردّ :ألم تقل ينطح النجوم بروقيه، و الروقان القرنان؟

قال:أجل إنّها استعارة.فقال الحاتمي:"لعمري إنّها و إن كانت استعارة ، ولكنّها استعارة خبيثة جارية في المعاظلة التي نفاها عمر بن الخطّاب ، رضوان الله عليه ،عن زهير وذكر

اجتنابه إيّاها ،فقال كان لا يعاظل بين الكلمتين ، أي يداخل الكلم في الكلمة ، إذا لم تكن إحداهما من جنس الأخرى ،ولا كانت مناسبة لها ولا مشتقّة منها . و يقال تعاظلت الجرادتان إذا ركبت إحداهما الأخرى و تداخلت فيها ." [3]

3- الكناية: وهو أن يُكنّى عن الشيء ، و يُعرّض به و لا يصرّح ،على حسب ما عملوا باللّحن و التورية عن الشيء ، كما فعل "العنبري" إذ بعث إلى قومه بصرّة شوك و صرّة رمل و حنظلة ، يريد جاءتكم بنو حنظلة في عدد كثير ككثرة الرمل و الشوك .

من الكنايات الجيّدة قول أحدهم:

آليـــتُ لا أدْفِـــنُ قَتـْلاكُـــــــمُ فَدخّنوا المرْءَ و سِرْبالَهُ[4]

و المعنى:أنّه إذا طعنه أحدث في سرجه، كنى عن ذلك بهذه الكناية البليغةالبديعة،و عبّر عنه بهذه العبارة الجزلة.

---

[1] المصدر نفسه:ص90.
[2] المصدر السابق:ص90.
[3] المصدر نفسه:ص90.
[4] أبو هلال العسكري: الصناعتين ،ص 248

4-الطباق:قدأجمعالناس أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء و ضدّه ،في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة ، مثل الجمع بين البياض و السواد...و خالفهم قدامة بن جعفر الكاتب فقال : "المطابقة ايراد لفظين متشابهين في البناء و الصيغة مختلفين في المعنى .[1]

ومن الطّباق الغثّ لدى المتنبي قوله

فَفي كلّ يومٍ ذا الدُّمُستقُ مُقـــــدِمٌ**قفاهُ**على الإقدام**للوَجهِ** لائـِمُ[2]

و لم يزد الحاتمي على وصفه بالغثّ.و الطباق هو بين لفظتي "قفاه"و الوجه" ولعل سبب ذلك يرجع إلى سوء استخدامهما .

5-الجناس:"أن يورد المتكلّم كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها على حسب ما ألّف الأصمعي كتاب الأجناس ، فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظا و اشتقاق معنى ، و منه ما يجانسه في تأليف الحروف دون المعنى"[3]و مثاله في قوله:

و قَبّل كُمّـًا قَبَّل الـتُّربَ قَبلَـــــــهُ وكُلُّ كَمِـيٍّ واقِفٌ مُتضَائـِــلُ[4]

والجناس في قوله"قبّل" و" قبله" و بين "كمّا"و "كميّ" و هذا ما أدى إلى عدم صفاء لفظه،وحاد عن سبيل الإحسان طبعه ، وانقطعت دون الإصابة مادته.

5- المبالغة:" أن تبلغ أقصى غاياته ، و أبعد نهاياته ،و لا تقتصر في العبارة عن أدنى منازله و أقرب مراتبه ، و مثاله من القرآن قول الله تعالى:"يوم تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت و تضع كلّ ذات حمل حملها و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى ."و لو قال تذهل كلّ امرأة عن ولدها لكان بيانا حسنا و بلاغة كاملة ، و إنّما خصّ المرضعة للمبالغة

---

(1) المصدر السابق،ص 205.
(2) أبو علي الحاتمي: الرسالة الموضّحة، ص35.
(3) أبو هلال العسكري :الصناعتين،ص215.
(4) أبو علي الحاتمي: الرسالة الموضّحة، ص74

لأنّ المرضعة أشفق على ولدها لمعرفتها بحاجته إليها ، و أشغف به لقربه منها و لزومها له، لا يفارقها ليلا و لا نهارا ، و على حسب القرب تكون المحبّة و الإلف".[1]

قال عنترة يصف فرسه:

فازْوَرَّ مِن وَقعِ القنَا بلَبانِـــــــــهِ و شَكا إليَّ بعبـْرَة و تحَمحُـــمِ[2]

فجعل اشتكاء الفرس إليه، إذ كان من الحيوان الذي لا ينطق ، بحمحمته و عبرته دون النطق و العبارة .فلم يخرجه عمّا هو له ، ثمّ كشف المعنى في البيت الأخير فقال:

لو كانَ يدِري ما المُحاوَرَةُ اشْتَكى ولَكانَ لوْ علِمَ الكلامَ مُكَلِّمـي[3]

و هذا مبالغة في الوصف من غير عدول عن الحقيقة، و نحوه قول ابن هرمة واصفا كلبا:

يكادُ إذا ما أبصرَ الضَّيفَ مُقبِلا يُكلِّمُهُ من حبِّهِ وهوَ أعجـمُ[4]

ولولا استعماله للفظة "يكاد" لكان غلو،فهذا الكلب لو كان يتكلم لأخبر زائره عن مدى حبّه له.

6- الغلو:"هو تجاوز حد المعنى و الارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها ،كقول الله تعالى :"و بلغت القلوب الحناجر ".وهذا غلو لأنّ القلوب لا تقارب البلوغ إلى الحناجر و أصحابها أحياء .و كقوله تعالى :"و إن كان مكرهم لتزول منه الجبال " بمعنى لتكاد تزول منه".[5]

قال ابن الرقاع:

وَهْنانَةٌ تَسْتَعِزّ القومَ أعيُنَهـــمْ حتى ترُدَّ إلى ذي النِيّقةِ النَّظرَا[6]

---

(1)-أبو هلال العسكري :الصناعتين،ص246.
(2)-أبو علي الحاتمي: الرسالة الموضّحة، ص94
(3)-المصدر نفسه ،ص 94.
(4)-المصدر نفسه،ص 95.
(5)-أبو هلال العسكري :الصناعتين،ص246.
(6)-أبو علي الحاتمي: الرسالة الموضّحة، ص94

فقال أبو الطيب:هذا كلّه إغراق و غلو وبعد عن الحقيقة ، وأراك[يقصد الحاتمي] علقا بهذا المذهب من الشعر ، دون ما سلمت ألفاظه ، و صحت عند التأمّل معانيه."وهذا المثقب العبدي يقول في هذا المعنى حاكيا عن ناقته ما يبعد كلّ البعد عن الحقيقة:

تقولُ إذا دَرَأتُ لها وَضِينـــي أهذا دينُـهُ أبـدًا و دينـــي

أكُلَّ الدّهرحِـلٌّ و اِرْتِحَـــالٌ أما يُبقي علـيَّ و لا يَـقـيـنـــي[1]

وهذا ما يسمّى بالغلو البعيد كلّ البعد عن الحقيقة. وإنّماذهب إلى أنّ النّاقة لو تكلّمت لأعربت عن شكواها بمثل هذا القول.

ثالثا: المعيار التداولي(الاجتماعي، النفسي، الدلالي)

و الحقيقة أنّ هذا المعيار من أهم المعايير التي نالت على استحواذ الرسالة لأن أكبر الانتقادات التي وجهها الحاتمي للمتنبي كانت تداولية إما اجتماعية أو نفسية أو دلالية، كما كان أول نقد له تداوليا أيضا حيث أخبره الحاتمي بأن هناك أشياء تختلج صدره و يريد مراجعته فيها، منها قوله:

خَفِ اللهَ و استُرْ ذا الجمالَ ببُرقُـــــعٍ فإن لُحْتَ حاضَتْ في الخُدورِ العواتِقُ[2]

حيث سأله أهكذا ينسب بالمحبّين؟فقال المتنبي:"أما هكذا في كتابكم ؟فقال أين؟ ردّ في قوله تعالى:﴿ فلمّا رأينه أكبرنه﴾[3] أي حضن شهوة له و استحسانا لصورته، و هذا يعني أنّ المتنبي لم يفهم معنى الآية الكريمة ولم يسأل عن تفسيرها وإلاّ ما كان أجاب هكذا،فاستغرب الحاتمي إجابته وقال"لم يقل هذا أحد من محصّلي أهل العلم ، و لا شهد به ثقة ، و إنّما روي بيت شاذّ لم ينسب إلى أحد:

نأتــي النّساءَ على أطهارهِـــنّ و لا نأتــي النّساءَ إذا أكبـرْنَ إكبــارا[4]

---

(1) ـالمصدر السابق ،ص95

(2) ـالمصدر السابق ،ص 13

(3)ـ سورة يوسف،الآية 31.

(4) ـأبو علي الحاتمي: الرسالة الموضّحة، ص13.

فقال المتنبي: فما معنى أكبرنه؟فردّ الحاتمي: أعظمنه، ولا يجوز أن يكون :حضنه، لأنّ تقدير الكلام يوجب ذلك، إن كان الإكبار الحيض.و دليل الحاتمي أن معنى أكبرنه هو أعظمنه قولهنّ:﴿ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم ﴾[1]

ثمّ سأله الحاتمي عن قوله في مرثيّة أمّ سيف الدّولة:

و لا مَـن فـي جنازتِهـا تِجـــــارٌ يكون وَداعُهـمْ نَفضَ النِّعـــــال[2]

بقوله أهكذا يؤبّن مثلها، و قد كانت بلقيس عصرها قدرا عظيما وملكا جسيما، وحديثا من مجدها و قديما .

لأنّ المتنبي لم يراع في مرثيته هذه مكانة أم سيف الدولة الاجتماعية والأولى كان أن يضع ذلك في حسبانه فأفسد بذلك قصيدته، كما أنه لم يختار الكلمات و الألفاظ التي تعبر عن قيمة هذه الشخصية . و هذا كقوله:

ما أبعَدَ العيبَ و النقصانَ من شِيَّمي أنا الثُّرَيّا و ذان الشَّيْبُ و الهرمُ[3]

حيث اعتبره الحاتمي كلام جار على غير مناسبة؛ لأنّ الثريا ليست من جنس الشيب و الهرم و لا هما من جنسهما. و في رأيه كان الأولى أن يقول:أنا الثريا سفورا وعلوا و ذان السّهى خفاء و خبوّا. كما قدّم له اقتراحا آخر هو أن يقول: أنا الشباب و ذان الشيب و الهرم[4].مع أنّ المتنبي يريد بقوله هذا التعظيم المفرط للمدعي و التحقير لما عداه .فقال أنا الثريا في العلو و الإنارة و اجتماع الأشياء التي حوت كلّ حسن. والعيب والنقصان في الشيب و الهرم.

كما حاد عن سبيل الإحسان في قوله يصف الغيث:

لِساحـــــيهِ على الأجْداثِ حَفْـشٌ كأيدي الخيلِ أبصرَتِ المَخـالي[5]

---

[1] سورة يوسف الآية31

[2] أبو علي الحاتمي: الرسالة الموضحة، ص21.

[3] المصدر السابق، ص23.

[4] المصدر نفسه، ص23

[5] المصدر نفسه، ص 41

حيث استغرب أن يستسقي مستسق للقبور غيثا يحفش تربها و ينبث ثراها،فهذا في رأيه لم يقله أحد، لأن الأولى أن يستسقى لديّار الأحبّة و لقبور الأعزّة لتكلئ تلك الأرض، و تعجب تلك البلاد فتنتجع، فيتذكّر أهلوها و يترحّم على من واراه الترب فيها. و ينتجع كلّ من نأى عنها ثمّ يحترسون في السّقيا من أن تدرس مغانيها و آثارها.

و قول الآخر خير من قولك:

سَقى اللهُ سُقيا رحْمةٍ أهلَ بلدةٍ[1]

فاحترس بقوله:"سقيا رحمة" احتراسا لطيفا. فأما أن يستسقي غيثا لها يعفّي الأثر

حتى وقعه كوقع أيدي الخيل تضرب الأرض، حتى يهدمها و يحفرها.لأنّ لا أحد يطلب

الغيث من أجل حفر القبور و إنما تطلب لينمو الزرع ويخضرّ الحشيش. و من خروجه المتكلّف المتعسّف الذي باين مذاهب المحدثين قوله:

أُحِبّـــــكِ أو يقولوا جَرّ نَمـــــــــلٌ ثَبيرِا و ابنُ إبراهيمَ ريعـَـــا[2]

وقد عبّر الحاتمي عن عدم إعجابه بنظم هذا البيت بقوله:"ما أبعد هذا الكلام من الإحسان، و أشدّ مباينته للبيان، و أدلّه على ضيق عطن قائله، و على فساد تخيّله ."أمّا عن قوله:

لوْ طابَ مولـِـدُ كلّ حيٍّ مِثلَـــــــهُ وَلدَ النّساءُ و ما لهُنّ قَوابـِـلُ[3]

فقال:"ما أراك أردت إلاّ أنّهنّ يتّسعن حتى لا تحسّ المرأة عند مخاضها بخروج

الجنين عنها. و إلاّ فما وجه سقوط حاجتها إلى القابلة عند ولادتها."[4]وهو بذلك أتى بما لم يأت به ذو مرّة سويّة، ولا قريحة ذكيّة.كما اعتبره مخطئا في قوله يمتدح رجلا:

كفى بك داءً أن ترى الموتَ شافيا و حَسْبُ المَنايا أنْ يَكُنّ أمانِيا[5]

---

[1]ـالمصدر نفسه، ص 41

[2]ـالمصدر السابق، ص44.

[3]ـ المصدر نفسه، ص61

[4]ـالمصدر نفسه، ص61

[5]ـالمصدر نفسه، ص66

وعبّر عن ذلك بقوله:"إنّك افتتحت المدح بما تفتتح به المراثي و احتسبته كان طعمة المنايا عن قليل من مواجهته بها." كما نصحه أن يتحرى حسن الابتداء في قصائده و بالطبع لا ينسى حسن الانتهاء عند بلوغ حاجته، وذلك بأن يجعل افتتاح كلامه أحسن ما يستطيع لفظا و معنى. و أن يبتدئ قصيدته بما شاكل المعنى الذي قصد له. لأن آخر ما يبقى في الذهن هو أول وآخر ما يقال، و بحسنهما يمكن التجاوز عن بعض الأخطاء المرتكبة في وسط القصيدة. و هذا الكلام ينسحب على قول البحتري:

لكَ الويْلُ من ليْلٍ تَطاولَ آخِـــرُهُ ووَشْكِ نَوى حيٍّ تُزَمُّ أباعِرُهُ[1]

فلو كان هاجيا لكان محسنا؛ لأنّ كلّ صنف من أصناف القول يقتضي نوعا من أنواع الابتداء و ضربا من ضروب الاستفتاح لا يصلح لغيره. وهذا مفاده أنّ لكلّ مقام مقال، وقد قال أبو سعيد لمّا أنشده:"لك الويل من ليل" بل لك الويل و الحرب. فينبغي للمادح أن يفتتح شعره بما يكون دالاً على غرضه و مشيرا إلى مراده. و ألاّ يشوبه بما يتطيّر منه، و يستجفى منه كلامه. كنعي الشباب، و تفرّق الأحباب، و ذمّ الزمان، و تقطع الأقران، و ذكر الموحش من الأطلال و الرسوم العافية البوالي.

و قد ذكر أنّ الأسود بن المنذر لمّا أنشده الأعشى قوله:

مـا بـكاءُ الكبيـــرِ بالأطـــــلالِ و سُؤالي فما يَرُدُّ سُـــــؤالي[2]

ذمّ هذا الافتتاح و كرهه. لأنّ لدى العرب أذن ذواقة فأول ما سمع قوله هذا ردّ مباشرة بعدم إعجابه به، لأنه صاغه بأسلوب ركيك. منذ بداية القصيدة فحتى لو أجاد فيما بعد فلن يؤثّر ذلك في القصيدة ولا يحكمون عليها بالجودة.و أنشد الجعدي بعض الملوك قصيدته التي يقول فيها:

---

[1]-المصدر السابق، ص67

[2]-المصدر نفسه، ص68

لَبِسْتُ أُناسًا فأفنَيْتُهـــــــــمْ و أفنَيتُ بعدَ أناسٍ أُناســـــا[1]

فردّ أحدهم عليه:"ذاك لفرط شؤمك".وقد حكم عليه بأنه شخص متشائم من خلال بيت واحد في قصيدة طويلة،ولم يعلل سبب إطلاقه لهذا الحكم.و لمّا أستنشد أبو دلف القاسم بن عيسى راشد بن إسحاق الكاتب بعض ما رثي به متاعه فأنشد:

ألا ذَهبَ الأيْرُ الذي كنتَ تعـــرفُ[2]

فغضب أبو دلف وقال:بل أمّك كانت تعرفه. ولمّا نتساءل عن سبب غضب أبو دلف نعرف أنّ ذلك الأسلوب الذي صاغ فيه المعنى وعدم اختياره للألفاظ المناسبة للمعنى الذي يريد أن يعبّر عنه.وهذا كقول عبد الملك لمّا أنشده الأخطل قوله:

خَفّ القطينُ فراحوا منكَ أو بَكرُوا[3]

فقد قال:بل منك، تطيّرا بذلك. و هذه كانت حال جرير معه لما أنشده:

أتصحُو بل فؤادُكَ غيرُ صـــــاحي[4]

فإنّه ردّ عليه بقوله: بل فؤادك.ومما يحسب على المتنبي في التقفية قوله:

أنا بالوشاةِ إذا ذكَرْتُكَ أشبـــــــــهُ تأتي النّدى و يُذاعُ عنكَ فتكّـــرَهُ

و إذا رأيتكَ دون عرْضٍ عارضـــا أيقنتُ أنّ اللهَ يبْغي نصـــــــــرَهُ[5]

فقد سأله الحاتمي عن حرف الروي في هذين البيتين فقال:الهاء ،فأخبره بأنّه لو جعلها حرف الروي فإنّ ذلك لم يجز، والسبب أنّ الهاء لا تكون حرف روي إلاّ إذا سكن ما قبلها.ثمّ قال: "فإن جعلت الراء حرف الرويّ والهاء صلة، و هو الوجه، فما تصنع بقولك:(إذا ذكرتك

(1)ـالمصدر نفسه، ص68
(2)ـ المصدر نفسه، ص68
(3)ـالمصدر السابق، ص68.
(4)ـالمصدر نفسه، ص69.
(5)ـالمصدر نفسه، ص77.

أشبه)اللّهم إلاّ أن تذهب إلى أنّه لم يصرّع. " فقال المتنبي"أنصف، فإنّ النصفة من شيّمك...."[1] فقال له الحاتمي:وأخطأت أيضا في قولك:

إبْعَدْ بَعِدتَبَياضًا لا بياضَ لـــــــهُ لأنتَ أسودُ في عيني منَ الظُّلَـــــمِ[2]

حيث اتهمه بسرقة هذه الألفاظ السليمة الكريمة، و أوردها في عبارة فاسدة غير مستقيمة.أي أنه بعد أن سرق هذه الألفاظ لم يحسن صياغتها في أسلوب جميل مفيد.كما أعاب عليه قوله:(لأنت أسود)، و اعتبر أن من أوَل قوله هذا ب: يا أسود في عيني من الظلم،تأوّل بعيد،إذ كيف يقول أسود و هو أبيض؟ووجه الكلام أن يقول: و أنت مع بياضك أسود كأنّك من سواد الظلم.ولو ذهب إلى ذلك و أفصح عنه بعبارة مقبولة يقع بها الإفهام و يزول معها اللّبس لكان الغرض صحيحا. لكنّه أبهمه و أسرّه. وممّا أخطأ أيضا في نعته و لفقتهقوله:

ضَيفٌ ألمَّ برأسي غيرَ مُحتشِـــــم السّيفُ أحسنُ فِعلاً منه باللّمَـــــم[3]

فأمّا التلفيق فقوله:(ضيف ألمّ برأسي)، و أما الخطأ فقوله:(غير محتشم) يريد غير منقبض. و هذا خلاف ما اتفق عليه أهل العلم؛ إذ كانت الحشمة في كلام العرب الغضب. و منه سمي حشم الرجل حشما،لأنهم يغضبون له.[4]

و من سخف عباراته-في رأي الحاتمي- قوله:

ذي المَعالي فلْيعْلونَ منْ تَعــالى هكــذا هكـذا و إلاّ فلا لا

شرَفٌ يَنطـــحُ النّجـومَ بِرَوْقَيـــــ ـهِ و عزٌ يُقلقِلُ الأجبـــــــالا[5]

[1]- المصدر نفسه، ص78.
[2]-المصدر نفسه، ص85.
[3]-المصدر السابق، ص86.
[4]-المصدر نفسه، ص87.
[5]-المصدر نفسه، ص90.

و المعيار الذي على أساسه حكم الحاتمي على المتنبي بعدم الجودةهو المعيار الاجتماعي و الذي يتعلّق بالمعايير الأخلاقية و المثل العليا لأن المعيار عند الحاتمي هو النموذج القديم أي أن يسير اللاحق على خطى السابق.ثمّ سأله عن قوله:

أُحادٌ أمْ سُداسٌ في أُحـــــــــــادِ لُيَـيْلَـتُـنَـا المَنُوطةُ بِالـتَّـنـــــادِ[1]

بقوله:ما أردت؟فأجاب: أردت أليلة واحدة أم ستّ ليال في ليلة، استطالة لها و استبعادا لمداها، و كما لا يخفى عن أحد أنّ العديد من الشعراء تغنوا بطول الليل إلاّ أنّ أحدا منهم لم يقل في صدر بيته ما يناقض عجزه ؛ وذلك أنّه قال: أليلة واحدة أم ست ليال في ليلة. ثمّ صغّر المعظّم كما تفعل العرب في قولها: "دويهيمة" و "عذيقها المرجّب، و جذيلها

المحكّك" ،[2] و هذا ما أفسد المعنى و أحاله إلى التناقض، وهو بذلك أتاح الفرصة للنقد. وهو ذاته لم يعجبه قول ابن المعتز:

كأنّ نجومَ الأفقِ في فحمةِ الدُّجـــى وجوهُ عَذارَى في ملاحِفَ سـُودِ[3]

فسأل:ما وجه اختصاص العذارى دون العون؟ فأجابه الحاتمي: لأنّ العذراء تتميّز

عن العوان بكثرة ماء الوجه و غضارته و رقّة ديباجته؛ و لذلك قالوا "درّة بكر"أي لم تثقب

، و"روضة بكر لم تزرع"، و "خمر بكر" لم تبزل. و لذلك سمّوا الخمر "عذراء".إلاّ أن البيت مفهوم و التشبيه بديع و مقبول و لا يحتاج إلى شرح. كما أنّه جميل و الغريب أنّه لم يعجب المتنبي.ومن سرقاته التي أفسد معناها قوله:

ها فانظُري أوْ فظُنّي بِي تَرَيْ حُرَقًا منْ لمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنها فَقدْ وَ ألا

علّ الأميرَ يَرَى دُلّي فَيشفعَ لـِـــي إلى التي تركَتني في الهوَى مَثَلا[4]

---

[1]ـالمصدر نفسه، ص98.
[2]ـالمصدر السابق، ص100.
[3]ـالمصدر نفسه، ص102
[4]ـالمصدر نفسه، ص110

ذلك أنّه عرّض الممدوح للقيادة، برجائه أن يكون شافعا له إلىمن يحب، وهذا اعتبره الحاتمي من أقبح الخروج و أسخف معنى تعاطاه شاعر في مخاطبة ممدوح.ولكي يستفزّه أخبره عن إعجابه بقول المجنون:

و إنّي إذا صلّيتُ وَجَّهتُ نحوَهـــا بوَجهي وإن كانَ المُصَلّى وَرائِيا[1]

ثمّ تدارك هذا وقال:

و ما بيَ إشراكٌ و لكنَّ حُبّـَـــها كعظمِ الشَّجا أعْيا الطّبيبَ المُداويا

أُصَلّي فما أدْري إذا ما ذكَرْتُهـا أثِنْتَيْنِ صَلّيتُ الضُّحى أمْ ثَمانِيَـــا[2]

فقال أبو الطيّب: في هذا معنى لطيف. و كأنّه لم ينتبه إلى قوله "أثنتين صليت أم ثمانيا" وهذا راجع إلى كثرة حبّه لها و شغفه بها. إلاّ أنّ الأسلوب الذي صاغ فيه المجنون هذا المعنى جميل جدّا، حيث تلاعب بالألفاظ كما يشاء وكانت النتيجة

أن حصل على بيت بديع المعنى نال على إعجاب الحاتمي.ثمّ استفهم منه الحاتمي عن قوله:

إذا مـا فارَقَتْني غَسّلتْنِـــــــــي كأنّـــا عاكِفـــــــان على حرَام[3]

لأن الحلال أولى بالغسل و أخصّ من الحرام، فكيف خصصت الحرام بوصف يشركه فيه غيره، وله به اختصاص فوق اختصاصه. فقال أبو الطيّب: أتيت بأحدهما فدلّ على الآخر وإن لم أذكره. وهذا كما في القرآن: ﴿سرابيل تقيكم الحرّ﴾[4]وهي تقي البرد أيضا، وقد ذكر الحرّ فدلّ على البرد كذلك.وهذا كقول الآخر:

فَلا تَعدِي مَواعِدَ كـاذِبـــــاتٍ تَهبُّ بها رياحُ الصيّفِ دونـــــي[5]

---

(1)ـالمصدر نفسه، ص123.
(2)ـالمصدر نفسه، ص123.
(3)ـالمصدر السابق، ص128.
(4)ـسورة النحل،الآية21.
(5)ـأبو علي الحاتمي،الرسالة الموضحة، ص128

يريد و رياح الشتاء. فلمّا خاف الحاتمي من أن يعتقدالوزير أبا محمد أن لا علم له بما ذكره المتنبي قال: لكنّ قولك يبعد بعض البعد عن هذا، و إن كنت تحذو حذوه. من أجل أنّ الحلال أشدّ اختصاصا بالغسل من الحرام ، و ليست السرابيل بأخص في وقاية الحرّ منها في وقاية البرد، و لا رياح الشتاء بأخصّ في هبوبها دون المواعد من رياح الصيف. إلاّ أنّ بعض الحاضرين قال بأنّه خصّ رياح الصيف، لأنّها أشدّ تعفية.[1]

و هذا كقول الآخر:

وما أدري إذا يَمَّمْتُ وجْهـــًـــا أريدُ الخيرَ أيُّهُما يَلينـــــــي[2]

وقد قال" أيهما"لأنّ بذكره دلّ على الثاني وهذا كما في قول أوس بن حجر:

و غَيّرَها عنْ وَصْلِنَا الشّيبُ إنّهُ شفيعٌ إلى البيضِ الحسانِ مجَرَّب[3]

وعلّق أبو العباس أحمد بن يحي ثعلب: الهاء في "إنّه"عائدة على الشباب ، و ذلك جائز وإن لم يذكره، و إنّما ذكر الشيب وهو دال عليه. وقال الأصمعي: يريد أنّه كبر فأنست النّساء به.[4]

ومن الأبيات التي تندرج ضمن المعيار الأسلوبي قول ذي الرمّة:

و دَوّيَةٍ قَفرٍ يَحارُ بها القَطَـــا أدِلاّء رُكّباها بَناتُ النّجـــائِـــبِ[5]

يُحايي بها الجَلْدُ الذي هو حازمٌ بضربةِ كفّيهِ المَلا نَفسَ راكـــــبِ

قطَعتُ بشُعْثٍ كالنِّصالِ فأصبَحوا مع الأهلِ جَذلى في مُتونِ السّباسبِ

أراد بقوله: "يحار بها القطا" لسعتها و اشتباهها، وقد خصّ القطا لأنّه أهدى طير، و قوله:

" ادلاّء ركباها بَناتُ النّجائِبِ"[1]

---

[1] المصدر نفسه، ص 129

[2] المصدر نفسه، ص 129

[3] المصدر السابق، ص 129.

[4] المصدر نفسه، ص 130.

[5] المصدر نفسه، ص 137.

مأخوذة من قول أبي الطيّب:

" فقَتلاهُمْ لعينيهِ منارُ"[2]

فبنات النجائب أولادها تساقطها في الطريق من جهد السير، يستدلون بها، و قوله"يحايي"من الحياة أي يستحيي بها،و قوله:" بضربة كفّيه الملا" يريد أنّه يتيمّم بالتراب و يستسقي الماء ليسقيه صاحبه و لا يتوضأ به. و النصال : نصال السهام ، شبّه الركب بها في ضمورهم و شحوبهم، و قوله:" فأصبحوا مع الأهل" يريد أنّهم عرسوا فناموا فحلموا بأهلهم في نومهم.وهذا كقول الآخر:

بِيَهْماءَ يَسْتافُ التّرابَ دَليلُها و لَيسَ بها إلاّ اليَمانيُّ مُخلِفُ

تجاوَزتُها وحْدي و لم أرْهبِ الرَّدى دليليَ نجمٌ أو حوارٌ مُخَلَّفُ[3]

و المعنى :أجهضت الإبل من شدّة السير فيها، فألفت أجنتها ، فصارت كالمنار لساكنها يستدلّ و يهتدي بها[4] ، وهذا معنى لطيف صيغ في أسلوب رائع ، جعل الحاضرين يثنون عليه.كما أثنوا على قول امرئ القيس:

كأنّ قلوبَ الطيرِ رطبًا و يابِسًا لدى وَكرِها العُنّابُ والحشفُ البالي[5]

و ذلك أنّ امرؤ القيس ذهب إلى أنّ العقاب مرزوقة و أنّ الصيد عندها ، وهذا أسلوب جميل راجع إلى حسن إختيار الألفاظ .على عكس الآخر الذي قال:

مُسْتَسلِمٌ للهِ سائِسُ أُمّةٍ لذَوي تجهضُمِها لهُ استِسلامُ[6]

والعيب في قوله:"تجهضمها" فهي لفظة قبيحة ولا تحب العرب سماعها،وهذا في رأي أبي الطيّب كما اعتبر أنّه لو قذف كبده كان أولى من قوله:"تجهضمها"فأخبره أنّ

---

(1)-المصدر نفسه، ص 138.
(2)-المصدر نفسه، ص 138.
(3)-المصدر السابق، ص 139.
(4)-المصدر نفسه، ص 139
(5)- المصدر نفسه، ص 153
(6)-المصدر نفسه، ص 165.

الرواية في هذا البيت "لذوي تكبّرها"و التجهضم معناه أخذ الشيء ببغي، و لذلك سمي الأسد جهضما. وهنا أعاب المتنبي قول أبي تمّام:

مَلأ المَلا عُصَبًا و كادَ بأنْ يُرَى لا خَلْفَفيهِ و لا لَهُ قُـــدّامُ[1]

والخطأ في قوله:"كاد بأن يرى"و حجته في ذلك أنّ العرب تقول " كاد يفعل" و هذا المسموع منها، و يجب ألا يحيد الشاعر عن القاموس اللغوي القديم إلاّ بما يفيد شعرهم.فقال الحاتمي: قد جاء لبعض الشعراء في وصف طريق:

" قدْ كادَ من طولِ البِلَى أن يَمصَحا"[2]

إلاّ أنّه لو جعل "كاد" بمعنى أراد حسن دخول "أن". كما لم يعجبه قول مسلم:

سُلّتْ و سُلّتْ ثمّ سُلَّ سَليلُهـــا فَغدا سَليلُ سَليلِهـــــا مَسْلـــُولا[3]

فضحك الحاتمي لمّا سمع هذا البيت وقال: إنّ مسلما و إن كررّ اللفظ ، فلبيته معنى لطيف أنا أورده، و أورده الباهلي في كتاب "المعاني"فزعم أنّه يريد هذه الخمرة سلّت من الكرم باقتطافه ، ثمّ سلّت من العنب باعتصاره، ثمّ سلّ العصير من الدّن ببزله.وقوله:

فغدا سَليلُ سليلِها مسْلولا[4]

يريد بول شاربها، وقد قال بعد هذا البيت:

لَطَفَ المِزاجُ لها فَزيّنَ كأسَهـــا بِقلادَةٍ جُعلَتْ لها إكْليـــــــلا[5]

(1)ـالمصدر نفسه، ص 165
(2)ـالمصدر السابق، ص 167
(3)ـالمصدر نفسه، ص 174
(4)ـالمصدر نفسه، ص 174
(5)ـالمصدر نفسه، ص 174

يريد أنّ المزاج رفعها فجعل القلادة و هي في العين إكليلا.

الفصل الثاني:
ملامح التجربة النقدية

أولا: النزعة التقويمية للأحكام النقدية:

إنّ الأحكام النقدية التي أطلقها الحاتمي في رسالته قليلة وتعدّ على الأصابع ، ضف إلى ذلك أنها بسيطة و ساذجة ولا تزيد عن قوله: أحسنت و أجدت و زيادة مقبولة و مثل هذه العبارات ،أما عن التعليل فإنّه يكاد يكون معدوما في كامل الرسالة.ومن الأحكام النقدية التي أطلقها الحاتمي قوله:

1- ما استهجن قوله:

قد **أوحشت** في قولك :

بلُيتُ بِلى الأطْلالِ إن لم أقِف بها[1]

وتعليله قوله:"و أسأت في العبارة عمّا أخذته فأتممت البيت به" [2]ثمّ التفت إليه وقال:"و من **تقصيرك** فيما سرقته قولك"

بانُـوا بخُرْعوبـةٍ لهـــــــــا كَفَلٌ يكـادُ عنـدَ القيـامِ يُقعِدُهـــــا[3]

و كأنّه يريد أن يقول له رغم أنّ البيت مسروق و معناه كان جاهزا لديك إلاّ أنّك سرقت فقصّرت و أفسدت على عكس صاحبه الذي قال فأجاد.ومن **تقصيره** في الأخذ أيضا قوله:

لا بِقوْمي شَرُفتُ بل شَرُفوا بـــي و بنفسي فخَرْتُ لا بجُدودي [4]الأصل أنّ العرب قديما تتشرف بأقوامها و قبائلها و تفتخر بأصلها و أجدادها.فخير القبائل قريش و أفضل الأصل العرب الأقحاح،والمتنبي خالف ما تعارفت عليه العرب. ومذهب الحاتمي هنا جار في إطار تصحيح السلوك بالاعتماد على العرف الاجتماعي.

و من التقصيرالشديد قوله:

---

(1)- أبوعلي الحاتمي :الرسالة الموضّحة،ص49.
(2)- المصدر نفسه،ص49.
(3)- المصدر نفسه،ص54.
(4)- المصدر نفسه،ص54.

أمِنَازدِيارَكِ في الدّجى الرّقبــاءُ إذ حيثُ كنتِ من الظّلامِ ضياءُ[1]

وتعليله أنّ هذا "تكلّف شديد، بعيد من اللّفظ السّديد" [2]و هو ما يعني أن هذا المذهب مستهجن في الذوق العام.ثمّ قال:و **أخطأت** في قولك:

وَصَلَتْ إليكَ يدٌ سواءٌ عندَها الــــ بازيٌّ الأشهبُ و الغرابُ الأبقعُ[3]

و خطؤه يكمن في تشديده الياء في(البازيّ) تشديدا لا وجه له،ووصل القطع في الأشهب.ثمّ قلت:**و أخطأت** أيضا في قولك:

هزَمتْ مكارمُه المكارمَ كلَّهـــــا حتى كأنَّ المَكرُمات قبائِـــلُ

و قتلنَ دَفرًا و الدُّهَيمَ فما تُـــرى أُمّ ُالدّهيمِ و أمُّ دَفرٍ هابـــــــلُ[4]

فتساءل المتنبي عن سبب الخطأ فقال:"هذا خطأ في الدفر لم يقله أحد، و لا رواه راو،و لا ادّعاه على العرب مدّع." [5]وقد تقبلّ المتنبي هذا النقد بصدر رحب كما تقبله من قبلكما اعتبره مخطئا من الناحية الصرفية في قوله:

مَلِكٌزَهَتْ بمكانِهِ أيّـَـامـُـــهُ حتى افْتَخَرْنَ به على الأيّـــام[6]

ذلك أنّ الصواب أن يقول:" زهيت بمكانه"، كما قال :و **"أخطأت "**أيضا في قولك:

و ضاقتِ الأرضُ حتى صارَ هاربُهـــــم إذا رأى غيـــــرَ شـيء ظنّـهُ رَجُلا[7]

إذ ليس من المعقول أن يطلق اسم "غير شيء "على شيء مرئي.و لعلّ الحاتمي هنا يريد الحشو الذي لا مبرّر له،و الذي أدّى إلى خطإ في التركيب.

وفي تقييمه لبيته الذي قال فيه مخاطبا كافور الإخشيدي:**"و أخطأت** في قولك":

---

[1]- المصدر السابق،ص55.
[2]- المصدر نفسه،ص55.
[3]- المصدر نفسه،ص56.
[4]- المصدر نفسه،ص59.
[5]- المصدر نفسه،ص:59.
[6]- المصدر نفسه،ص63.
[7]- المصدر نفسه،ص64.

يَفضَحُ الشّمسَ كلّما ذرّتِ الشّمـــــــــــــ سُ بشمسٍ منيـــــــــرةٍ سوْداءِ[1]

و تعليله لسبب إطلاقه لهذا الحكم قوله : "كيف توصف الشمس و صبغها البياض و الضياء بالسواد؟وما وجه استعارة الشمس للأسود إن كنت ذهبت في ذلك إلىالاستعارة."[2]ولعلّ الحاتمي كان سجين المباشرة بينما يتأسّس التركيب الشعري على مخالفة المنطق و قد قالوا:"أعذب الشعر أكذبه".كما اعتبره **مخطئا** في قوله في مقدمة قصيدة :

كفى بك داءً أن ترَى الموْتَ شافيـــــــا و حَسْبُ المَنايا أن يَكُنَّ أمانِيـــــــــــا[3]

و خطؤه يكمن في افتتاح مدحه بما يفتتح به المراثي، "و الأولى للشاعر أن يتحرّى لقصيدته أحسن ابتداء كما يتحرّى لها أحسن الانتهاء عند بلوغ حاجته، و أن يجعل افتتاح كلامه أحسن ما يستطيع لفظا و معنى" [4]،و يتعلّق الأمر هنا بالعرفو ليبيّن أنّه في معزل عن الإحسان، قال : و **أخطّأت** في قوله:

أليسَ عَجيبًا أنَّ وَصفَك مُعجِـــــــــــزٌ و أنّ ظُنوني في مَعاليكَ تَظلَـــــــــــعُ[5]

لأنّه استعار الظلع للظنون –وهي في نظر الحاتمي استعارة قبيحة- و تعجّب في غير متعجّب منه،و هو هنا يقيس على آداب الحديث و المعاملة .ثمّ قال :" **وأخطأت** أيضا في قولك":

فإنْ نِلتُ ما أمّلتُ منكَ فرُبّـــــــــــما شربتُ بماءٍ يُعجِزُ الطّيرَ وِرْدُهُ[6]

فقال المتنبي:"وما وجه الخطأ؟"فردّ الحاتمي:"إنّك جعلته بخيلا لا يوصل إلى شيء من جهته.و شبّهت نفسك في وصولك إلى ما وصلت إليه منه بشربك من ماء يعجز الطير

(1)- المصدر السابق ،ص66.
(2)- المصدر نفسه ، ص66.
(3)- المصدر نفسه ، ص66.
(4)- المصدر نفسه ، ص66-67.
(5)- المصدر نفسه ، ص69.
(6)- المصدر نفسه ، ص75.

ورده، لبعد مشربه و ترامي مطلبه" [1]و المتنبي هنا و بصورة خفيّة يقلّل من شأن الممدوح و يرفع من شأنه هو.و أعقب،**و أخطأت** في قولك مضلّلا:

فلْقّينَ كلَّ رُدَينِيّـــــــــــــــةٍو مَصبوحَـــــــةٍ لَبَنَ الشّائـــــــل[2]

ذلك لأنّ الشائل هي التي شال لبنها من النوق،و شال بمعنى :ارتفع،و كان الأولى أن تجعلها غزيرة لا بكيئة .ثمّ قال **و أخطأت** في الكلمة التي أوّلها:

كدَعواكَكلٌّ يَدّعي صِحّة العقل[3]

لأنه أتى ببيت مردف في قصيدة غير مردفة ، وهذا شاذّ.وممّا يتعلّق به عليه في التقفية قوله:

أنا بالوُشاةِ إذا ذكَرْتُكَ أشبَـــــــــــهُتأتي النّدى و يُذاعُ عنكَ فتَكْـــــــرَهُ

و إذا رأيتُكَ دونَ عِرْضٍعارِضـــــــًاأيقَنْتُ أنّ اللهَ يَبغي نَصـــــــــــــــرَهُ[4]

و سبب ذلك أنّ هاء الضمير لا تكون رويّا، إلاّ إذا سكن ما قبلها، و المتنبي خالف القاعدة و جعل الهاء رويا. نرى هنا تشديدا على تطبيق القاعدة النحوية .

وبعد حديث مطوّل و جدال حاد دار بينهما قال الحاتمي:ثمّ قلت فسقطت دونه سقوطا تشهد به :

خَطاطيفُ حُجـــنٌ في حبالٍ متينَةٍ تَمـــُـــدّ بهـا أيـــدٍ إليـــكَ نَوازِعُ[5]

و الشيء الذي جعل الحاتمي يعتبره سقوطا ،أنّه إنّما ذهب في هذا إلى أنّه في قدرته عليه كالذي في يده خطاطيف معوجة يجذب بها ما شاء جذبه...

وهذا النابغة مع كثرة ما شاع عنه وما اشتهر به من قوله الشعر إلاّ أنّ قال فأساء و أبعد:

---

[1]- المصدر السابق ، ص75.
[2]- المصدر نفسه، ص75.
[3]- المصدر نفسه ، ص76.
[4]- المصدر نفسه ، ص77.
[5]- المصدر نفسه ، ص80.

إذا ارْتَعَتْتْ خافَ الجبانُرعـــائـها ومَن يَتَعلّقْ حيثُ عُلّق يَفـــــرَق[1]

لأن هذا دليل على إفراط طول العنق.وهذا الأعشى صاحب أهجى بيت في غير فحش يقول :

فتًى لوْ يُنادي الشّمسَألقتْ قِناعَـها أوِ القَمَرَ السّاري لألقَى المَقالِـــدَا[2]

وقد علّق المتنبي بنبرة استهزاء:كأنّ هذا الكلم و قوله لم يجتمع في خاطرة واحدة و لا قذفت بهما فكرة.يريد من وراء ذلك استضعاف حجة الحاتمي و إبطالها.

و بعد جدال مطوّل بينهما حول بيت من أبيات المتنبي، التفت إليه الحاتمي قائلا: وقد **أخطأت** أيضا في قولك:

إبْعَدْ بَعِدتَ بَياضًا لا بياضَ لـــــــهُ لأنتَ أسوَدُ في عَينـــــي مِنَ الظُّلَمِ[3]

فقولك:(لأنت أسود) **خطأ** و إن كانوا قد أنشدوا:

جاريّـــَـةٌ في رَمَضـــــانِ الماضي أبيـَــــضُ من أُختِ بني إبـــَاض

تُقَطّعُ الحديـــثَبالإيـــــــماض[4]

و هذه شذوذ لا ير خّص لمحدث فيها.وبعد أخذ وردّ بينهما حول هذا البيت قال الحاتمي:و ممّا **أخطأت** أيضا في نعته و لفقته أيضا في موضعين قولك:

ضيفٌ ألَمَّ برأسي غيرَ مُحتَشِـــــم السّيفُ أحسنُ فِعلاً منه باللّمَـــــمِ[5]

و الخطأ الأوّلفي قوله:(ضيفٌ ألَمَّ برأسي) وهذا يسمّى التّلفيق.

---

(1)- المصدر السابق ، ص81.
(2)- المصدر نفسه، ص84.
(3)- المصدر نفسه ، ص85.
(4)- المصدر نفسه ، ص86.
(5)- المصدر نفسه ، ص86.

و الخطأ الثاني قوله:(غيرَ محتَشِم) يريد غير منقبض، و هذا خلاف ما عليه محصّلو أهل العلم؛ إذ كانت الحشمة في كلام العرب الغضب [1].ثمّ قال و ممّا أسقطت أيضا فيه و **أسأت** في أخذه :

الأديبُ المُهَذَّبُ الأصْيَدُ الضَّـــــرْبُ الذّكيُّ الجَعدُ الرّئيسُ الهُمـــــام[2]

ذلك أنّ الحاتمي لم يجد للجعد مذهبا في مدح المتنبي،ذلك أنّ الجعد هو القصير.و هذا لا ينسجم مع المعنى العام للبيت الذي يقصد به المدح.

ومن أبياته التي أخذها **فبتر معناها و أفسدها** قوله:

مُبَرْقِعي خَيلِهمْ بالبيضِ مُتّخِـــذي هامِ الكُماةِ على أرماحهم عَذَبَـــــا[3]

من أجل أنّ الهام لا تشبّه بالعذب في حال حملها على القنا، إلاّ إذا كانت ذات لمم و ضفائر، و إلاّ فهي مشبّهة بالتيجان[4].

ثمّ قال :" و**أخطأت** أيضا في قولك:

و أنْكَ بالأمسِ كنتَ مُحتلِمـــًـــا شيخَ معدٍّ و أنتَ أمْرَدُهـــــــــــا[5]

و **أخطأت** في قولك:

لأمَةٌ فاضـــــــةٌ أضاءُ دِلاصٌأحكَمَتْ نَسجَهـــــــا يـَــــــدا داودِ[6]

من أجل أنّه لا يقال درع فاضة ،إ نّما يقـــال:مفاضـــــة

ثمّ أضاف الحاتمي: و **أخطأت** أيضا في قولك :"مع ضعف لفظك و سخف عبارتك":

ذي المَعالـــي فليَعلُوَنْمَن تعالـــــى هكذا هكذا و إلاّ فلا لا

---

[1]- المصدرالسابق ، ص86.
[2]- المصدر نفسه،ص87.
[3]- المصدر نفسه ، ص89.
[4]- المصدر نفسه،ص89.
[5]- المصدر نفسه ، ص58.
[6]- المصدر نفسه ، ص73.

شَرَفٌ يَنطَحُ النّجومَ برَوْقَيْـــــــــــ ـهِ و عِزٌّ يُقَلقِلُالأجْـَـــــــالا[1]

فقولـــه" (فلا لا) ركيكة جدّا"[2]

كما **أساء أخذ المعنى** من ابن المعتز فقال:

جزَى اللهُ المَسيرَ إليـــهِ خَيـــــــرًا و إنْ تَرَكَالمَطايـــا كالمَـــزادِ[3]

وذلك أنّه ذهب إلى أنّ السير أنضى جرومها و تخوّن نيّها ...كما أخطأ في قوله :

غَضِبتُ لهُلمّا رَأيتُ صِفاتِـــــه بلا واصِفٍ و الشّعرُ تهذيطماطمُه[4]

من أجل أنّ الهذيان كلام المهتر و العليل، و من به طيف جنّة. و الهاذي و الهذاءةمن الأوصاف المذمومة عند العرب.و من المعاني المسروقة التي **أفسدها** المتنبي –في نظر الحاتميقوله:

ها فانظُري أو فظُنّي بي ترَيْ حُرَقًا مَن لم يذُقْ طرَقًا منهـــــا فقَدْ و ألاّ

علّ الأميرَ يَرَى دُلّي فيَشفَعَ لـــــي إلى التي ترَكَتني في الهوَى مَثَـــلا[5]

و ذلك أنّه عرّض الممدوح للقيادة، و رجائه إياه أن يكون شافعا له إلى من تحبّه وهذا من أقبح الخروج و أسخف معنى تعاطاه شاعر في مخاطبة ممدوح. وبعد تناول الحاتمي لبعض من أبيات المتنبي بالتحليل و النقاش و مقارنتها بشعر أبي نواس إلتفت إليه و قال : و من إنحائك علي أبي نواس و تقصيرك عنه قولك :

تَعرِفُ فـــي عَينِـــهِ حَقائِقَـــــــــهُ كأنّـــهُ بالدّكـــــاءِ مُكتَحِـــــــلُ[6]

كما أخذ "الراعي" قول "طرفـــــــة":

لعَمرُكَ إنّ الموتَ ما أخطأ الفَتـــَى لكَالطّوَلِالمُرْخى و ثِنياه باليـــــدِ[1]

---

[1]- المصدر السابق ، ص90.
[2]- المصدر نفسه ، ص90.
[3]- المصدر نفسه ،ص103.
[4]- المصدر نفسه ، ص102.
[5]- المصدر نفسه ، ص110.
[6]- المصدر نفسه ، ص111.

فقصّر كلّ التقصير فيه حيث قال :

و أعلَمُ أنّ الموتَ يا أمَّ عامِـــــــرٍ قَرِينٌ محيطٌ حَبلُـــــه من وَرائِـيا[2]

كما أخذ "عبد الله بن الحجاج الثّعلبي" قول "طرفة"

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلـــي فبعض منايا القوم أشرف من بعض[3]

فأساء كلّ الإساءة في أخذه :

فإنْ كنتُ مأكولاً فكُنْ أنتَ آكلـــي و إن كنتُ مَذبوحًا فكن أنتَ تذبـــحُ[4]

كما حاول "عبيد الله بن عبد الله بن طاهر"أخذ معنى أبي تمّام:

و الحادِثاتُ و إنْ أصابَكَ بُؤسُـها فهوَ الذي أنْباكَ كَيفَ نعيمُهـــــــا[5]

فقصّر عنه بقوله:

لا يُنسِيَنَّكَ حالٌ نِلتَ رِفْعَتَـــــها ما في عواقِبِها واذكــرْ تصَرُّفَـــها

إنّ الفتى يجهَلُالنّعما إذا اتّصلتْحتى يُلَدّعَ بالبَلْوَى فيَعرِفَهـــــــــا[6]

2-ما استحسن قوله :

و استهلّها بقوله : قال" القصافي " **و أحسن**:

ذَكرْتُكُمُ يوْمًا فَنَوَّرَ ذِكْرُكُـــــــــمْ دُجى اللّيل حتّى انجابَ عنّي دياجِرُهْ

فواللهِ ما أدري أضَوْءٌ مُسَجَّـــرٌ لذِكراكُمُ أمْ يَسجُرُ اللّيلَ ساجـــــرُهُ[1]

---

[1]- المصدر السابق ،ص 154.
[2]- المصدر نفسه ، ص 154.
[3]- المصدر نفسه ، ص 154.
[4]- المصدر نفسه ، ص 154.
[5]- ديوان أبو تمام، ص 233.
[6]- أبو علي الحاتمي:الرسالة الموضحة ، ص 184.

ولم يزد عن ذلك، ثمّ أضاف:و**الجيّد قول" الأسعر"**:

يَخرُجنَ من خَلَلِ الغُبارِعَوابِســًا كأصابعِ المَقرورِ أقعَى فاصطَلَـــــى[2]

وجودته تكمن في أنّها :خرجت متساوية كتساوي أصابع المصطلي عند اصطلائهفمقياس الجودة هو الاستحسان و هو الانسجام الحاصل في التركيب و الألفاظ .

و قال المتنبي :**و أحسن** "النامي" في كلمة امتدح بها سيف الدولة :

تُتعْتِعُ ألفاظَ الحَصَى بسَنابـــــكٍ إذا كَلَمَتْهُ عُجمُهـــــنّ تُجيـــــبُ[3]

وسبب **الحسن**أنّه شبّه أصوات الحصى من تحت حوافر الخيل بأصوات اللقالق.إلاّ أنّ هذا لم يعجب الحاتمي .

و أخذ أحدهم قول المتنبي(صغّرت كلّ مكبّر) من قوله :

صَغّرْتَ كلَّ مكَبَّرٍ و علَوْتَ عن لكَأنّهُ و بَلَغتَ سِنَّ غـُــــلامِ[4]

فأحســــــن بقولـــــــــــه:

لهُ هِمَــمٌ لا مُنتَهًى لكِبارِهــا و همّتــُـه الصُّغرَى أجلُّ من الدّهرِ[5]

ولم يعلّل الحاتمي سبب استحسانه لهذا البيت.ثمّ قال:" **وأحسن الآخر كلّ الإحسان بقوله"**[6]:

لِمنْ طَلَـلٌ وَقفتُ بهِ طريقَــا أُسائِلُ رَبْعَهُ الخَلِقَالسّحيـــــــــقَا

لِسَلمَى لا تَغيَّرَ رَبعُ سلمَـــــى و ألبَستِ الرّواعدَ و البُرُوقــَـا[1]

---

[1]- المصدر السابق ،ص 15.
[2]- المصدر نفسه، ص 31.
[3]- المصدر نفسه ، ص 31.
[4]- المصدر نفسه ، ص 32.
[5]- المصدر نفسه،ص 51
[6]- المصدر نفسه ، ص 51

و بعد أن استهجن الحاتمي بعضا من أبيات المتنبي قال **:" وما أحسن** ما قال "الكروّس بن زيد الطائي":

لئِنْ فَرِحتْ بي مَعقِلٌ عندَ شِدّتي لقد فرِحتْ بي عندَ أيدي القَوابِـــل[2]

.....

وأثناء حديثهما عن التخيّل أبدى الحاتمي **إعجابه** الكبير بقول أحدهم في تخيّل السكران:

وما زلتُ أُسقي الرّاحَ حتّى حَسبتُني أميرًا على مَن شِئتُ أنْ أتأمّـــــرَا

وحتّى حَسِبتُ اللّيلَ و الصّبح مُقْبِلاً حصانَين مُختالَينِجَوْنًا و أشْقَـــرَا[3]

إذ اعتبره من التّخيّل المليح ،وممّا **استحسنه** في هذا المعنى أيضا قول "ثابت قطنة":

تَنَشّيتُ حتى خِلتُ أنّ مَطِيّـــــتي لها سَبْعُ آذانٍ نَبَتْنَ لها بَعـــــــدي

و حتّى حَسبْتُ البرَّ بحراً وخِلْتُني أنوطُ النّجومَ الزُّهرَ في طرَفَيْ بُرْدي[4]

و من **مليح أبيات المعاني** قول أحدهم :

أخَـذوا قِسِيَّهُـمُ بأيْمُنِهِـــــــــــم يَتَعاظلونَتَعاظُـلَ النّمْـــــــــــلِ[5]

و المعنى :نفذ النبل وفنيت السهام و أخذوا القسيّ بأيمانهم يتضاربون بها و يتجالدون ، داخل بعضهم بعضا كتراكب النمل و تداخلها، لأنّ الرمي إنّما يكون باليسار.

و **أحسن "ابن هرمة" كلّ الإحسان** في قوله :

فقُلتُإمّا تَرَيْني قد تَخَوَّنَنـــــــي دَهْرٌ أشَتَّتُ بهـــــذا النّاسِ مَقلوبُ[1]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 52.
[2]- المصدر نفسه ، ص 61.
[3]- المصدر نفسه،ص 62.
[4]- المصدر نفسه ،ص 65.
[5]- المصدر نفسه ، ص 91.

كما أخذ "بشّار بن برد المعنى من قول "عنتره":

لو كان يدري ما المُحاوَرَةُاشتَكَىو لكانَ لوْ عَلِمَ الكَلامَ مُكَلّمـــــــــي[2]

فأحسن بقوله:

ولمّا توَلّى الحَرُّ و اعتَصرَ التّرَى لَظَى القَيظِ من نجمٍ تَوَقّـــــدَ لاهبُهُ[3]

و أحسن كلّ الاحسان بقوله:

خَليليّ ما بالُ الدّجَى لا تَزَحْزَح و ما بال ضَوْءِ الصّبح لا يتَوضَّحُ

أضَلّ النّهارُ المُستَنيرُ سَبيلـــــه أمِ الدّهرُ ليلٌ كلُّه ليسَيبـــــــرَحُ[4]

كما **أحسن** "خالد بن يزيد"كلّ الإحسان في وصفه للّيلبقوله :

تَباعَدَ الصّبحُ ما أؤمّلُـــــــــــهُ و ازدادَ هَمٌّ فما يُرْجى ترَحُّلُـــــهُ

و اللّيلُ وَقفٌ علّينا ما يُفارقُنـــــا كأنّما كلُّ وَقتٍ منهُ أوّلُـــــــــــهُ[5]

بل **و تفوّق** حتى على قول أحدهم ممن تقدّم زمانه:

ليـسَ للّيْـــــــلِ آخِـــــــــرٌ يَشتَـفي منـــــهُ عـــــاشـــــقُ

آخِـــــرُ اللّيـــــــلِ أوّلٌ لا يُـرَى فيـــــــهِ شـــــــارقُ[6]

و ذلك لأنّه جعل آخره أوّلا ، و خالد جعل كلّ وقت من أوقاته أوّلا،ونحو هذين البيتين قول "الحسن بن زياد الرصافي

رَقَدْتَ و لم تَرْثِ للسّـــــــــاهرِ و لَيـــلُ المُحبِّ بِلا آخِـــــــــرِ[7]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 93.
[2]- المصدر نفسه ، ص 94.
[3]- المصدر نفسه،ص 94.
[4]- المصدر نفسه ،ص 99.
[5]- المصدر نفسه ، ص101.
[6]- المصدر نفسه ، ص 101.
[7]- المصدر السابق ، ص102.

بديع جدّا ، متقدّم كثيرا عمّا قيل في طول اللّيل . و من **أحسن** ما قيل في وصف الذئب قول البحتري:

و أطْلَسَ مِلءِ العينِ يَقسِمُزَورَهُ و أضلاعَهُ من جانِبيهِ شوًى نَهْـدُ

طَواهُ الطّوَى حتى استَمرَّ مريرُهُ فما فيهِ إلاّ العظْمُ و الرّوحُ و الجِلدُ[1]

.....

و قرأ "ابن الرومي" قول "محمود":

أسرَعَ في نَقصِامرىءٍ تَمامُـهُ تُدْبِرُ في إقْبالِـــــــهِ أيّـــــــامُـهُ[2]

فأحسن التعبير عن هذا المعنى بقوله:

تُخالِسُهُ الأوْقاتُ و هيَ نَماؤهُ و تَغتالُهُ الأقواتُ و هيَ لهُ طُعْـــمُ

إذا ما رَأيتَ الشيء يُبلِيهِ عُمرُهُ ويَفسِدُ أن يَبْقَى ففي دائِه عُقْـــــمُ[3]

و في مقارنته ب"أبي نواس" اعترف الحاتمي **بإجادة** المتنبي في قوله:

مَلَكٌ إذا امتَلأتْ يَوْمًا خَزائِنُـــهُ أذاقَها طَعمَ ثَكْلِ الأمّ للـــوَلَـــــدِ[4]

على قول أبي نواس:

إلى فَتًى أُمُّمـــــالِهِ أبَـــــــدًا تَسعى بجيبٍ في النّـــاس مَشقوقِ[5]

وقال "عمر بن أبي ربيعة" في موضوع آخر و **أحسن** :

مُقْبِلاتٌ من أسْفَلِ الحِزْعِ بالرّيْـــ طِ اليَماني يَرْفَعْنَ ذيْلَ الرّبـــــابِ

بِأكُفٍّ كأنّها قِطَـــعُالثّـــلـــــــــ ج تَطـــاريـفُهـــا من العُنّـــابِ[1]

---

[1]- المصدر نفسه ،ص 102.
[2]- المصدر نفسه ، ص 109.
[3]- المصدر نفسه ، ص 109.
[4]- المصدر نفسه ، ص 110.
[5]- المصدر نفسه،ص 112.

و أحسنّ " المعلّي الطائي"كلّ الاحسان بقوله:

أهدَتْ سَلامًا إلى قَلبي مُخالِسَـــــــةً عينَ الرّقيبِ بِرَخْصِ المتنِ كالعَنَـــمِ

كأنّما شافَهَتْني في إشارَتِـــــــــها إليّ ، عُنّابةٌ أوْفتْ على قَلَـــــــــمِ[2]

ومنه استوحى "الناشىء المتكلّم" قوله و **أحسن كلّ الإحسان** فيه :

مُتعانِقانِ يُكاتِمانِ هَواهُـــــــــما قد نامَ بَينَهُما العِتابُ فطابـــــــــا

يَتَناقلانِ اللّحظَ من جَفنَيهِـــما فكأنّــما يَتَدارَســانِ كِتابـــــــــا[3]

.....

ثمّ قال للمتنبي:و أخذت قول أبي نواس:

تَرَى ضَوْءَها من ظاهرِ الكأسِ ظاهرًا عَليكَ و لَوْغَطّيتَهـــا بغِطـــــــاء[4]

إلاّ أنّأخذك طريف حيث نقلته إلى المدح فقلت:

إذا بَدا حَجَبَتْ عينَيـــكَ هَيبَتَـــهُ و ليسَ يَحجُبُهُ شيء إذا احتَجَبـــا[5]

وبعد أن جادله كثيرا حتى غضب المتنبي ،عاد وحاول تسكين جأشه بقوله **:" ما أحسن ما قال المجنون"** :

وَ إنّي إذا صَلّيتُ وَجّهتُنَحْوَهـــا بوَجهي و إنْ كانَ المُصَلّى ورائِيـــا[6]

ثمّ سأل أبو علي الأنباري الحاتمي عن قول المتنبي :

---

(1)- المصدر السابق ،ص 113.
(2)- المصدر نفسه ، ص 114.
(3)- المصدر نفسه ، ص 114.
(4)- المصدر نفسه ، ص 115.
(5)- المصدر نفسه،ص115.
(6)- المصدر السابق ،ص 123.

و خَصَرٌ تَثنُتُ الأبصـــــارُ فيـــهِ كأنّ علَيـه من حَدَقٍ نِطـــــــــاقـَا[1]

فقال:**"حسن"**، كما استحسنت الجماعة الصاغية ذلك.**كما استحسن قول "ابن الدّمينة"**

عِظامٌ بَراها الشّوْقُ حتّى كأنّهـــا مَحاجـنُ نَبعٍ ليسَ فيهـنّ مَنـزَعُ

فلا هنّ بالموتَى و لا يَنبَعِثنَ بي و لا طائرٌ ممّـــــا عليهـنّ يَشبَـــــعُ[2]

كما **استحسن** "الأنباري" قول أبي الطيب في سيف الدولة :

يَمشـــي الكِرامُ على آثـــارِ غيرِهـمِ و أنتَ تَخلُـقُ ما تأتـــي و تَبْتَـدِعُ

مَن كان فوْق محَلّ الشمسِ موْضِعُـه فلَيسَ يرْفعُه شيء و لا يَضَـــــعُ[3]

و أخذ "الحطيئة" قول" الأعشى" :

و ذَرْنَـــا و قَوْمـــًا إنْ همُ عَمَدوا لنـــــا أبا ثابتٍ واقعُدْ فإنّكَ طاعِـــــمُ[4]

فأحسن العبارة عنه ، و استوفى المعنى فيه ، فصار أحق به من "الأعشى" بقوله [5]:و يعود سبب استحسان الحاتمي لهذه الأبيات لأسباب ذوقية غير قابلة للتبرير ،و هذا لأنّ الأذواق لا تبرر .

دَعِ المَكـــارِمَ لا تَرْحَـلْ لبُغيَتِهـــــا و اقعُدْ فإنّكَ أنتَ الطّاعمُ الكاسِي[6]

كما أخذ " أبو حيّة النميري" قول النابغة الذبياني :

سقَطَ النّصيـــــفُ و لم تُرِدْ إسقاطَـــــــه فتَناوَلَتْـــــــهُ و اتقَتْنـــــا باليَـــدِ[7]

فأحسن كلّ الإحسان لزيادة لطيفة زادها في قولـــــــه:

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 124.
[2]- المصدر نفسه ، ص 127.
[3]- المصدر نفسه ، ص 142.
[4]- المصدر نفسه،ص 152.
[5]- المصدر نفسه ،ص 152.
[6]- المصدر نفسه ، ص 152.
[7]- المصدر السابق ، ص 153.

فألْقَتْ قِناعاً دونَهُ الشّمسُ وَ اتقـــــــتْ بأحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ : كَفٍّ و مِعصَمِ[1]

فوجبت له المساواة بهذه الزيادة ، و لم يعط الفضل إلى النابغة لتقدّمه في الاختراع لهذا المعنى .

كما أحسن الطرماح العبارة في قوله :

مُجْتَابُ شَمْلَـــةِ بُرْجُـدٍ لسَراتِـــــــه وَزَرًا و أسلَمَ ما سواه البُرْجُـــــدُ[2]

ثم أخذ قول النابغة :

مِنْ وَحشٍ وَ جرَةَ مَوْشِيٌّ أكارعُـــــــــــهُ طاوي المَصيرِ كسَيفِ الصَّقيلِ الفَرِدِ[3]

وزاد فيه أحسن زيادة ، حتى صار من أجلها أحقّ بالمعنى بقول :

يَبْدو و تُضْمِـرُهُ البِـــلادُ كأنّـــــــــه سَيفٌ على شرَفٍ يُسَلّ و يُغمَـــــــدُ[4]

و **أحسن** القائل كل الاحسان بابتدائه :

من سَجايا الطُّلُــولِ ألاّ تُجيبـــــــاَفصَوابٌ مِن مُقلَــةٍ أن تَصُوبـــــا[5]

و من **أحسن الابتداءات** أيضا قوله :

أيّهـــا البَرْقُ بِـــثبأعلى البِـراقِ و اغْـدُ فيهـــا بوابِـــــــــلٍ غَيـــداقِ

و تَعَلّـــــمْ بأنّـهُمـــــا لأنْـــــوا ئِكَ ما لم تُرَوّهـــــا مِن خَـــــــلاقِ[6]

.....

و **أحسن** أبو تمام بقوله :

---

(1)- المصدر نفسه ، ص 153.
(2)- المصدر نفسه،ص 155.
(3)- المصدر نفسه،ص 155.
(4)- المصدر نفسه ، ص 155.
(5)- المصدر نفسه ، ص 164.
(6)- المصدر السابق ، ص 173.

نجْمـانِ شــاء اللهُ ألاّ يَطلُعـــــــا إلاّ ارْتِـدادَ الطّرْفِ حتى يأفُـــــــلا[1]

.....

كما أخذ معنى قول الآخر :

رأيتُ المالَ يَكسِبُهُ رِجـالُمآفيـن إذا اختُبروا فـُوُلُ

فلا ذو المالِ يكسِبُـــهُبعَقْـــــلٍ و لا بالمـــالِ تُكتَسَبُالعُقـــولُ

كما تُكسَـــى سِباخُ الأرضِ ريّـاً و تُصْرَفُ عن كرَائِمِها السّيولُ[2]

و اختصره في بيت واحد فقال و **أحسن كلّ الإحسان** :

لا تُنكِري عَطَلَ الكريمِ من الغِنى فالسّيْلُحَرْبٌ للمكانِ العالـــي[3]

و **أحسن أبو تمام كلّ الاحسان** بقوله :

خُلِقْنا رِجالاً للتّجلّدِ و الأسَـى و تِلكَالغَواني للبُكـــا و المآتِـــم[4]

وأخذ قول "أبان اللاحقي":

و لنْ تعرِفَ النّفسُالنعيمَ وعِزَّهُ إذا جَهِلتْ حالَ المَذَلّةِ و الضُّـــــرِّ[5]

فأحسن صوغه و سبكه بقوله :

و الحادِثاتُ و إنْ أصابَكَ بُؤسُها فهوَ الذي أنباكَ كيفَ نَعيمُـــــــها[6]

و من **إحسان** أبي تمام في الأخذ قوله :

إذا ما أغارُوا فاحْتَوَوْا مالَ مَعشرٍ أغارَتْعَلَيهِمْ فاحتَوَتْهُ الصّنائِـــعُ[1]

---

[1]- ديوان أبو تمام،ص 385.
[2]- أبو علي الحاتمي، الرسالة الموضحة، ص 183.
[3]- ديوان أبو تمام ، ص 83.
[4]- المصدر نفسه ، ص 214.
[5]- أبو علي الحاتمي،الرسالة الموضحة ، ص 184.
[6]- المصدر السابق،ص 184.

و هذه عبارة تطرب و تعجب –كما قال الحاتمي- و تختدع و تخلب .

و قد **أعجب** " عليّ بن عيسى النحوي" بقول "بشّار":

كَحاوي المِسكِ دَلّ علَيهنَفـــــحُ[2]

وعبّر عن ذلك بقوله:"إن كان فعل ذلك فقد والله **أحسن كلّ الإحسان** ."

وفي مقارنة بين بيت" أبي تمام":

أحْلى الرّجال من النّساءِ مَواقِعاً مَن كانَ أشبَهَهُمْ بهـــنَّ خُدوداً[3]

و بيت "الأعشى" :

و أرَى الغَواني لا يُواصِلْنَ امْرَأً فقَدَ الشّبابَ و قد يَصِلْنَالأمـــرَدا[4]

فقال "أبو سعيد النحوي":"بيت أبي تمام إن أنصفته أشعر،وإن كان بيت الأعشى أسير".[5]

و **أحسن** "حبيب بن عيسى الكاتب" في قوله :

تُذَكّرُنِي رَيّـاكِ ريحٌ مَريضَةٌ جرَتْ بنَسيمِ الرّوْض في غَلَسِ الفَجـــرِ[6]

ومن **الاستعارات المستحسنة** لدى الحاتمي قول" الأعشى":

ولقد سَلَبتُ الكاعبَ الـــــــــــ حَسنـــــــاءَ حُسنَ شَبابِهـــــــــا[7]

و من **الاستعارات اللطيفة** أيضا قول الآخر:

وَرَدنَ لتغويرٍ وقد وَقَدَ الحَصـــى و ذابَ لُعابُ الشّمسِ فوق الجماجمِ[1]

---

[1]- ديوان أبو تمام ،ص 514.
[2]- أبو علي الحاتمي،الرسالة الموضحة ، ص 189.
[3]- ديوان أبو تمام ، ص 223.
[4]- ديوان الأعشى ، ص 51.
[5]- أبو علي الحاتمي ،الرسالة الموضحة،ص 190.
[6]- المصدر نفسه،ص 193

[7]- المصدر السابق ،ص 70.

وذلك أنّه استعار للحصى وقدة، إخبارا عن توقّد الهاجرة . و استعار للشّمس اللّعاب إخبارا عن شدّة الحرّ.وهذا ينسحب على قول الآخر:

عجبتُ لها أنّى يكونُ غِناؤهَـــــا فَصيحاً و لم تَفْغَرْ بمَنطِقها فَمَـــــا[2]

أراد هذا الشاعر في وصفه للحمامة "لم تفغر منقارا" فقال:" لم تفغر فما".و هذا كقول" الراجز"يصففرسا :

وهاطِلِ الجَرْيِ أتيٍّ مَقدَمُـــــــهْما لَثَمَتْ كَفَّ الصّعيدِ قدمُـــــــــا[3]

فجعل له مكان حافره قدما ؛ فكان **أحسن** من قول الآخر في موضع قدم الرجل حافره . و من بديع الاستعارة قول" الهذلي"

ولوْ أنّني استَوْدعتُه الشّمسَ لارْتقتْ إلَيْهِ المَنايا عَينُها وَ رَسولُهـــــــا[4]

ثانيا- الملمح المعرفي للحكم النقدي:

أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي(388هـ) ،كاتب شاعر وناقد شهد له مؤرّخو الأدب بوفرة الاطلاع و غزارة العلم ، و نقل عن كتبه عدد من النّقاد و المصنّفين نذكر منهم :"ابن رشيق" (456هـ) في "العمدة"،" ابن سنان الخفاجي"(466هـ) في "سر الفصاحة" ، و ابن أبي الأصبع (654هـ) في "بديع القرآن" و "تحرير التحبير"[5].....

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 70.
[2]- المصدر نفسه ، ص 72.
[3]- المصدر نفسه ، ص 72.
[4]- المصدر نفسه،ص 93.
[5]- أبو علي الحاتمي :حلية المحاضرة ،ص02.

لقد استمدّ الحاتمي معرفته من تصفّحه للعديد من الكتب التي قرأها ، وقد عبّر عن ذلك بقوله :" وقد تصفّحت صحف البلاغة و استقريت أساليب البيان و الفصاحة ..."؛ و قد تأثّر أيما تأثّر بالبلاغة فكتب في حليته :"ووجدت البلاغة منقسمة قسمين: منظوما و منثورا..."و أبدى إعجابه بالقسم الأول منها –أي المنظوم- إذ اعتبره "أرشق في الأسماع ، و أعلق بالطباع ، و أبقى مياسم ، و أذكى مناسم و أخلد عمرا..." [1] ؛كما كان من المولعين بدرس الشّعر و نقده و له في ذلك عدة مؤلفات ، وقد خدم "سيف الدولة" مدة كان فيها مع " أبي علي الفارسي" و "ابن خالويه" و "أبي الطيب اللّغوي" و أمثال هؤلاء ممن كانو في بساط" سيف الدولة"، و كان معاصرا للمتنبي ، و ذا صلة بالوزير "المهلّبي" ، و كلاهما يضمر للمتنبي أشدّ العداء فتربصا به ، و ألّبا عليه العامة.[2]

كما لم يهمل دور المنثور إذ قال:"و المنثور مطلق من عقال القوافي، فإذا صفا جوهره، و طاب عنصره، و لطفت استعارته، و رشقت عبارته كاد يساوي المنظوم."([3])وزاد أحمد مطلوب عن ذلك بأن قال:" و له في النقد كتب كثيرة، لم يصل إلينامعظمها ، و له في هذه الكتب آراء طريفة، و لو وصلت لأظهرت قيمة هذا الناقد، و لكن ما بأيدينا يعطي صورة قد يعوزها الجلاء و الوضوح ."

و يبدو أنّ الحاتمي أثناء تأليفه للرّسالة الموضّحة لم يكن موضوعيا بسبب تلك العداوة التي كان يكنّها للمتنبي، وقد أتيحت له الفرصة للانتقام منه،واستعان على ذلك بتحالفه مع الوزير المهلّبي الذي ساعده على تنفيذ فكرته ، وكذا آخرون ممّن يحملون له العداء وقد ذكر "طه إبراهيم " في كتابه تاريخ النقد الأدبي عند العرب" تحامل الحاتمي و صاحبه" أبي الحسن بن لنكك البصري"على المتنبي بقوله:"وآخرون كثيرون ... من المتحاملين المتعصّبين الذين لا يريدون إلاّ أن يتبعوا العثار، و يطفئوا النار، و يهتكوا الأستار و يقلّموا الأظفار، و يشفوا نفوسهم مما بها من الإحن و الأضغان ."[4]

فألّف في نقد المتنبي رسالتين هما :

---

[1]- المصدر نفسه :ص 03.
[2]- يوسف البديعي : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي،ص128.
[3]- أبو علي الحاتمي : حلية المحاضرة ،ص06.
[4]- طه إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،ص142.

1-الرسالة الموضحة: ألفت بعد أن حلّ الشاعر ببغداد، أين ترفّع عن مدح الوزير المهلّبي ،عندما زاره في دار"علي بن حمزة البصري اللّغوي"،أمّا الحاتمي فقد كان يحمل له غلاّ قديما من أيّام إقامته في بلاط سيف الدولة و قد ذكر ذلك بقوله :" و قد خدمت سيف الدولة ، تجاوز الله عن فرطاته ، و أنا ابن تسع عشرة سنة ، تميل بي سنة الصبا ، و تنقاد لي أريحيّة الشباب ، بهذا العلم، و كان كلفا به علقا علاقة المغرم بأهله منقّبا عن أسراره . ووزنت في مجلسه تكرمة و إدناء و تسوية في الرتبة، و لم يسفر خدّاي عن عذاريهما، بأبي علي الفارسيّ، و هو فارس العربية و حائز على قصب السبق فيها منذ أربعين سنة. و بأبي عبد الله ابن خالوويه و كان له السهم الفائز في علم العربية تصرّفا في أنواعه و توسّعا في معرفة قواعده و أوضاعه. و بأبي الطيّب اللغوي،و كان كما قيل، حتف الكلمة الشّرود حفظا و تيقظا."وهذا يعني أنّ الحاتمي التقى بأبي الطيب، وأقام معه في بلاط سيف الدولة مدة عامين، و لابد أن يكون قد لاقى بعض الأذى من المتنبي، الذي كانيتمتع بالجاه والحظوةلدى سيف الدولة، مما أثارغيرة كل من كان هناك و الحاتمي واحد منهم ، خاصة أنّه كان يحسد أهل الفضل و يحقد عليهم. الأمر الذي جعله يناظره في أوّل فرصة أتيحت له،و بذلك كانت الرسالة الموضحة، وما دار فيها من مجالس عقدت لمناقشة المتنبي و نقده، وكان الهدف الأوّل منها تحطيم المتنبي و الإساءة إليه، لا نقد شعره .ثمّ إنّ هذه النخبة من اللّغويين التي عاشرها الحاتمي و أخذ عنها علوم العربية ،تمثّل الإطار المعرفي الذي يؤسّس عليه أحكامه النقدية.

وأكد "محمد يوسف نجم" هذا فقال:"و يبدو لي، بعد دراسة الموضحة و تتبع مجالسها و ما دار فيها من مناظرة و جدل،أنّ الحاتمي ردد فيها النظر مرات عدة قبل أن تستقر على هذه الصورة التي ننشرها بها، و أنّه لم يكتف بتدوين ما دار في تلك المجالس إن كان ثمّة مجالس كما ذكر،بل عاد إلى كتبه و استعان بهؤلاء العلماء الذين ذكرهم "كالسيرافي و الرماني وابن المنجم و استدرك أشياء فاتته أثناء المناظرات و ذكر أشياء قد تكون وقعت بالفعل ،و أشار إلى شخصيات قد لا تكون حضرت مجالسه تلك .وقد اعترف هو نفسه ببعض ذلك حين قال إنّه نقّحها و أضاف عليها ."

وما قاله محمد نجم يؤكد المزاعم التي تقول بأن الحاتمي أثناء تأليفه لهده الرسالة لم ينطلق من أي أساس معرفي محدّد،بل أراد أن يصوّر نفسه في صورة الناقد الناجح ، وعندما لم تتح له هذه الفرصة أثناء المناظرة ،عاد وهذب ألفاظها وحسن معانيها بكل ما أضافه لها في البيت .وسوء هذا التخريج يتجلى في نقد هندام المتنبي بدل شعره إذ يقول :"و إذا به لابس سبعة أقبية كلّ قباء منها لون ،و كنّا في وغرة القيظ، و جمرة الصيف ،وفي يوم تكاد ودائع الهامات تسيل فيه ..."فهل يعقل أنا أبا الطيب لم يحس بكل تلك الحرارة حتى يلبس سبعة أقبية، أو أنّه مجنون لأن المجنون فقط هو من يلبس ملابس كثيرة فوق بعضها ولا يحس بالحر.ولنفرض أنّ ما قاله الحاتمي صحيح،فالمتنبي حر فيما يلبس أو يأكل أو يشرب ، وهو حرّ في كلّ شيء ،إلاّ إذا حرمه الحاتمي هذا الحق، ثمّ إنّ العرب تقول "إنّ ما يقيكم البرد يقيكم الحرّ"و لعلّ المتنبي أخذ بهذه المقولة ،فهل نعيّره بأنّه لابس سبعة أقبية ومن طرف من؟ من طرف ناقد كبير كالحاتمي ؟.

و قد قسّم محمد مندور المناظرة إلى قسمين:

في القسم الأول منها يذكر كيف التحف المتنبي رداء الكبر و العظمة و كيف و ضع الحاتمي يده في يد الوزير المهلبي و كل من يكن العداء للمتنبي للانتقام منه ،و فيه صوّر لنا الحاتمي في مناظرته لأبي الطيب كيف عابه و حطّمن قيمته ، وقيمة شعره.

و مع أنّ المتنبي كان يستطيع أن يرد في كثير من الأحيان عن تلك الانتقادات ،و بأي وجه أراد، إلاّ أنه فضّل الصمت في كثير منها ،ماعدا ما استثني من أبياته التي يعتز بها، و كأنّه –يقول محمد مندور-"يسوقها شفاعة لما انتقد خصمه ، و في هذا معنى التسليم ، مما يرجح تحريف الحاتمي لحقيقة ما حدث"[1].

وهذا يؤكد حقيقة ما قلناه سابقا، و قاله العديد من النقاد ،عن أنّ الحاتمي قد قام بتحريف ما جاء في هذه الرسالة و تزييفه،و أنّه قام بتنقيحها لتخدم مصالحه الشخصية ،وليصوّر نفسه في صورة الناقد المتمكن ،والمتنبي في صورة الشاعر الفاشل، و الحمد لله فكلّ العرب –إن لم نقل جلّ-العرب تعرف المتنبي وتعرف مكانته ،وتقدّر موهبته الشعرية التي تفرّد بها عن

[1]- محمد مندور: النقد المنهجي ، ص 195.

باقي شعراء عصره،والدليل أنّها تحفظ أشعاره.ثمّ يضيف" محمد مندور":"و أعجب من ذلك أنّ ننظر في الأبيات التي ساقها المتنبي فلا نراها من خير ما قال،وهذا سبب آخر يسوقنا إلى الشكّ في صدق الحاتمي، اللهم إلاّ أن نفسر هذا الاختيار بذوق المتنبي نفسه، و عمق تأثره بأبي تمّام في التماس المعاني البعيدة التي تقرب من الإحالة و تبلغ في الإسراف حدّا يكاد ينقلها عما قصد منها ."[1]

فهل يعقل لعاقل وهو في مناظرة ويعلم جيّدا نوايا المناظر أن يحتج بأبيات غامضة تزيد الفهم صعوبة،و هذا العاقل هو المتنبي.

وعن رأي" الخالديان"في مناظرة الحاتمي ،قال:"كان أبو الطيب المتنبي كثير الرواية جيّد النقد ولقد حكى بعض من كان يحسده أنه كان يضع من الشعراء المحدثين و بعض البلغاء المفلّقين، و ربما قال أنشدوني لأبي تمامكم شيئا حتى أعرف منزلته من الشعر، فتذاكرنا ليلة في مجلس سيف الدولة بميا فارقين، وهو معنا فأنشد أحدنا لمولانا أيّده الله شعرا له قد ألمّ فيه بمعنى لأبي تمام، استحسنه مولانا أدام الله تأييده فاستجاده و استعاده ، فقال أبو الطيب هذا يشبه قول أبي تمام، و أتى بالبيت المأخوذ عنه المعنى فقلنا:قد سررنا لأبي تمام إذ عرفت شعره، فقال أو يجوز للأديب ألاّ يعرف أبي تمام ، وهو أستاذ كلّ من قال الشعر ؟فقلنا قد قيل إنّك تقول كيت و كيت، فأنكر ذلك، و ما زال بعد ذلك إذا التقينا ينشدنا بدائع أبي تمام ، و كان يروي جميع شعره.[2]

الحقيقةـإذاـ هي أنّ المتنبي يعرف أبا تمام حقّ المعرفة، بل و يحفظ شعره ،ولا ينكره كما قال الحاتمي إنّما اعتبره أستاذ لكلّ من قال الشعر –و هو واحد منهم –وهذه تهمة اتهمهبها، وحيلة مدبرة من لدن أعدائه ،ظنّا منهم أن الحقيقة لن تعرف.وكما ظهرت حقيقة معرفته لأبي تمام ،سوف تظهر حقيقة تحريف الحاتمي لهذه الرسالة.أو سيبرهن على أنّها محرّفة.

وسيبرهن "الخالديان"أيضا على أنّ المتنبي لم يكن جاهلا باللّغة و علومها ، و هذا من خلال الحوار الذي دار بينه وبين" أبي علي الفارسي":"و كان من المكثرين في نقل اللغة و

[1]- المرجع نفسه ،ص195.

[2]- المرجع السابق ،ص 198

المطلعين في غريبها ، ولا يسأل عن شيء إلاّ استشهد بكلام العرب النظم و النثر ، حتى قيل إنّ الشيخ أبا علي الفارسي قال له يوما :"كم لنا في الجموع على وزن فعلى،فقالفي الحال "حجلى و ظربى"."قال الشيخ أبو علي الفارسي فطالعت كتب اللّغة ثلاث ليال ،على أن أجد ثالثا فلم أجد، وحسبك منه يقول مثل أبي علي في حقّه ذلك."

لقد كان "محمد مندور"محقا عندما عقب هذا القول بقوله:"إنّ المتنبي إن لم يكن فوق علم الحاتمي،فإنّه على الأقل لم يكن دونه. ونحن نؤيده كلّ التأييد فيما قال

فأن يشهد أبو علي الفارسي –و هو عالم اللغة الأول-هذه الشهادة في حق المتنبي فهذا شيء عظيم ،بحيث يضيف إلى شاعريته و شخصه الكثير .

ومما يزيد الشكّ في أنّ في هذه المناظرة مكيدة حيكت ضدّ المتنبي ،هو ردّ "معزّ الدولة " لما جاءه رسول المهلّبي يخبره عما جرى بين المتنبي و الحاتمي ،حيث قال :"نعم : قد شفا منه صدورنا".[1]

و أما عن قيمة المناظرة في النقد فيعتبرها "محمد مندور " محدودة،لأنّ الخصمين لم يناقشا جمال الأبيات أو قبحها،فإذا عاب الحاتمي بيتا من أبيات المتنبي ،نجد الأخير لا يدافع عنه أو يبرز مواطن الجمال فيه ،إنّما يقوم بإسماعه أبيات جيّدة لتشفع له عما عابه في باقي الأبيات ،وهذا الذي لم نعهده لدى المتنبي،وهنا يتّهمه الحاتمي بسرقة هذه الأبيات الجيّدة،والغريب أنّ المتنبي لا يحرك ساكنا ليدحض عن نفسه هذه الاتهامات، وتنتهي المناظرة بتلك الامتحانات السخيفة كما يصفها "محمد مندور"، في السرقات و رواية الشعر و معرفة مفردات اللغة.

2- **الرسالة الحاتمية** : أو فيما وافق شعره أرسطو طاليس في الحكمة ، فقد اتّهم المتنبي بأنّه سرق بعض شعره من أرسطو طاليس خاصة تلك الأبيات التي فيها حكمة ، وقد انقسم النقاد إزاء هذه المسألة فريقين ،فريق مؤيّد لما قاله الحاتمي عن سرقة المتنبي من أرسطو طاليس ، و فريق معارض أن يكون المتنبي قد سرق من أرسطو طاليس،وقد فضّلنا عرض أهم الآراء النقاد الذين تحدّثوا عن هذه المسألة فاقتصرنا على:

[1]- المرجع نفسه ،ص 198-199.

1- **أحمد أمين** : الذي يقول:"يخطئ من يظنّ أنّ لأبي الطيّب فلسفة تشمل العالم، و تحلّ مشاكل الكون فتلك بالفيلسوف أشبه ...إنّما لأبي الطيّب خطرات في الحياة ، من هنا و من هناك لا تجمعها جامعة إلاّ نفس أبي الطيب ،و المحيط الذي يسبح و يتشرّب منه ... و كذلك يخطئ من ظنّ أنّ أبا الطيّب عمد إلى ما أثر من الحكم عن أفلاطون و أرسطو و أبيقور و أمثالهم من فلاسفة اليونان فأخذها و نظمها ،ولم يكن له في ذلك إلاّ أن حوّل النثر شعرا ، كما رأى ذلك من تتبعوا سرقات المتنبي و أفرطوا في اتهامه ،فأخذوا يبحثون عن كلّ حكمة نطق بها و يردونها إلى قائلها من هؤلاء الفلاسفة ،فلسنا نرى هذا الرأي."[1]

و عليه فإن "أحمد أمين" يعارض أن يكون المتنبي قد سرق من حكم اليونان عموما ، و حكم "أرسطو طاليس"خصوصا ،لأنّ-حسب رأيه- الحكمة ليست مقصورة على الفلاسفة ،و إنّما كلّ من تبحّر في بحر العلوم يمكنه أن يقول شعرا فيه حكمة، و المتنبي واحد من هؤلاء الذين تأثروا ببعض المواقف في الحياة فنطق بالحكمة ، مع أنّه تأثر كثيرا "بأبي العتاهية" المعروف بفلسفته.

2-**طه حسين:** هو كالقدماء فيما لاحظوه من صدور المتنبي عن الفلسفة كما يدلنا بوضوح مدى تأثير تلك الإلمامات الفلسفية التي أتت في شعره بفلسفة "أبي العلاء "المتشائمة.

و أكّد من جهته أنّ لدى المتنبي ثقافة فلسفية ، وهذه الثقافة ملموسة في حكمته.[2]

و رأي "طه حسين"أن ألمتنبي متأثر كثيرا بفلسفة "أبي العلاء"المتشائمة ،وذلك بعدتحليله للعديد من الأبيات التي قالها الشاعر،وجد فيها الناقد أنّ المتنبي يميل إلى فلسفة مظلمة ، حزينة،و يائسة،و هذا ما عرف به "أبي العلاء".

ومما سبق يتّضح أنّ المتنبي لم يتأثر لا" بأرسطو طاليس"، و لا بغيره من فلاسفة اليونان، إنّما تأثره ـ في رأي طه حسين ـ عربي خالص .

3-محمد مندور: لا يستبعد أن يكون المتنبي قد تأثر بأرسطو ،و يميل إلى الاعتقاد بأنّ الأمر لم يكن أمر سرقة ، بل أمر **استيحاء** ، وهذا يعني أنّ المتنبي لم يأخذ حكمة بذاتها

---

[1]- المرجع السابق ،ص200.
[2]- المرجع السابق ،ص 207.

ليصوغها بيت شعر ،و إنّما بقيت في نفسه من قراءة لا يستطيع أن يخصّصها بمكان معيّن أو زمن معيّن، و عادت إليه بعض الحكم على شكل ذكريات ممحوّة المعالم فصاغها شعرا ، في وعي أحيانا ، و في غير وعي في غالب الأحيان

و أورد أمثلة كثيرة ليدعم ما قال،واخترنا منها ،قول أرسطو:"إذا كانت الشّهوة فوق القدرة ،كان هلاك الجسم دون بلوغ الشّهوة."[1]

و قال المتنبي:

وإذا كانت النفوس كبـــــــارا تعبت في مرادها الأجســـــام[2]

و في شرح هذا المثال يقول :إنّ المتنبي لم يكن في حاجة إلى أن يعرف جملة أرسطو طاليس ليقول بيته ، كما أنّ بين المعنيين فرقا كبيرا فأرسطو يورد حكما عاما ، و أما المتنبي فيتألّم مما يقاسي من جرّاء طموحه هو.

و الرأي الغالب عند النقاد المحدثين هو أنّ أبا الطيّب لم يكن فيلسوفا و أنّه لم يأخذ حكمته عن أحد وإنّما أملتها عليه الحياة .

و نحن نوافق "محمد مندور"رأيه الذي يقول فيه أنّ معاني الحكم التي قالها المتنبي شعرا، قرأها منذ مدة طويلة ،لأنّه معروف بكثرة المطالعة ، و نسيّها ، فأصبحت تأتيه على شكل ذكريات، أو شبه أحلام وقد استغلها أحسن استغلال لإثراء شعره بأبيات في الحكمة .أضف إلى ذلك أنّها خلاصة تجارب حياتية كثيرة و قاسية ،متصلة بالواقع الأمر الذي أعطاها هذاالعمق في التفكير و الدلالة.

أما الحاتمي فحتى لو أراد أن يسيء للمتنبي في هذه الرسالة فهو و إن لم يكن يدري ،قد خدمت المتنبي و أضافت إلى مجده الكثير فقد لفتت النظر إلى ما في شعره من آراء فلسفية رائعة، رأتها الأجيال المتعاقبة ميزة خاصة للمتنبي .

ثالثا: بنية المعيار النقدي:قبل معرفة بنية المعيار النقدي لابد أولا من معرفة البنية.

---

[1]- المرجع نفسه،ص211.
[2]- المرجع نفسه،ص211.

1-البنية: من أهم الانجازات التي حققتها الدراسات الأدبية هي إعادة تأكيد المنظور اللغوي للظاهرة الأدبية ،بعد أن اضمحلّت و زال الحديث عنها من قبل، ذلك لأنّ القيمة في العمل الأدبي هي:"مستوى من مستويات البنية، يتولّد من خلال التأثير المتبادل بين طبقات عديدة من الأداء ، و بقدر ما تنهض احدى هذه الطبقات الأدائية بوظيفتها كدالة للأخرى ، تقوم هذه الأخيرة بنفس الوظيفة بالنسبة لطبقة ثالثة ، وهكذا تكون دلالة العمل عطاء متجددا لا يكتمل إلاّ باكتمال آخر لمسة فيه ،بل لا يفني تجدّد عطائها حتى مع وهم الاكتمال ،لأنّ كلّ قراءة للعمل تمنح المزيد من فرص الكشف عمّا يحكم نسيجه من علاقات ، وعمّا تقوم به هذه العلاقات من وظائف و ما تنتجه من دلالات يتمخّض بعضها عن بعض، و تنداح صغراها في كبراها انديا‌ح الأمواج في نهر لا ينضب له معين."[1]

هذا يعني أنّ تعدد القراءات للنص الواحد سوف يفتح أبوابا كثيرة للكشف عن خباياه و أسراره ، و كلّ قراءة تفتح بابا من أبواب النقد.

2- تعريف البنية الشعرية :

تتناول بعض الدراسات الحديثة مفهوم البنية الشعرية في ضوء ما تطرحه هذه البنية ويفترض هذا النوع من الدراسات أن العمل من دلالة إعلامية و تصويريةالشعري مركب إبداعي يبدأ من نواة دلالية ذات طبيعة إعلامية مباشرة بها تتحددهوية الموضوع ، ونوع المعلومة التي يقدمها إلى المتلقي ،ولكن هذه الدلالة المباشرة تظل بعيد ة عن إحداث الأثر الفني المنشود ما لم تكتمل بدلالة أخرى إضافية دلالة ذات طابع وجداني محض، و تلك هي الدلالة التصويرية و حين تنمو الدلالة الأولى، و تتعقد مكوناتها ، وتنداح في تلك الأخيرة ، نكون قد حصلنا على المركب الإبداعي.[2]

ما يمكن فهمه من هذا التعريف ، أنّ البنية الشعرية هي تركيب إبداعي يتمثّل في الموضوع و ما يمكن إعطاؤه للمتلقي من فائدة من قراءة لهذا الموضوع ،و هنا تكون الدلالة إعلامية مباشرة ،أي أنّك تخبر المتلقي بمعلومة ضمن موضوع معيّن . غير أنّها غير كافية لإحداث الأثر الفني المنشود لأنّها بحاجة إلى دلالة تصويرية للمركّب الإبداعي، و بدون الدلالتين

[1]- محمد فتوح أحمد: شعر المتنبي ،قراءة أخرى،كلية دار العلوم ،جامعة القاهرة،ط2: 1988،ص55.
[2]- محمد فتوح أحمد: شعر المتنبي قراءة أخرى ، ص 73.

الإعلامية و التصويرية لا يمكن إنشاء مركب إبداعي، و هذا يعني أنهما وجهان لعملة واحدة ، حتى و لو اعتبرنا الدلالة التصويرية إضافية ـإلاّ أنّها جزء قار و مهم للمركب الابداعي ـ و هذا يتضح من خلال المثال التالي :

هذا الذي أبصرت منه حاضـــرا مثل الذي أبصرت منه غائبـــا

أي أن المقام أصبح مهيئا لتجسيد التسوية عبر طريقة فنية أكثر إقناعا، و أقوى احتجاجا ، تلجأ إلى البرهنة بالمحسوس على ما حاولت سابقتها أن تقوله بالمباشرة و التقرير، و من ثم ينفسح المجال أمام تدفّق تشبيهي تتعاقب صوره أمام بصيرة المتلقي، بما يغذي فكرة التسوية أو عموم الفضل الذي لعب منذ البداية دور المثير الأصلي .

ـ و لا تخلو بعض المركبات الإبداعية من مستويات هي:

_ **المستوى الأوّل** :يتمثّل في التقاء أوجه التناظر ـأو التشابه ـ بين المثير الأصلي، و المستثار الإضافي كقول المتنبي:

من الجآذر(*) في زيّ الأعاريـب حمر الحلي و المطايا و الجلابيب

و يتجلّى هذا المستوى بوضوح في كلمة"الأعاريب" و ما تستدعيه من وحش البادية و حيواناتها ،باعتبار ما يربط بين هؤلاء و أولئك من وحدة المجال .

المستوى الثاني:مستوى المفارقة الصريحة ، كالحضارة و البداوة ،فإن اجتلاب الحسن و اصطناع المجال، و تكلّف الزينة لوازم دلالية للحضارة ،و من ثمّ تصبح المقارنة بين الطرفين متوقعة في نتائجها مثلما كانت مقنعة و محسوبة في مقدماتها و هذا يتضح بقول المتنبي :

ما أوجه الحضر المستحسنـات به كأوجـــه البدويّـــات الرعابيب

فكلّما ثبتت صفة لأحد الطرفين (حضر أو بدو) . أثبت نقيضها للطرف الآخر،صراحة أو إيحاء.

(*)- الجآذر: ولد البقرة الوحشية.

ثانيا:المعيار النقدي:لمعرفة المعيار النقدي لابد أولا من معرفة

1 الموازنة بين الشعراء:

الموازنة آليةمن الآليات الموضوعية في البحث وأداة من أدواته، يتوسل بها الدارسون لمعرفة أوجه التشابه و الاختلاف بين الأشياء والظواهر، أو هي قياس الأشباهبالنظائر لمعرفة خواصها ومميزاتها وصولا إلى ترجيح أحد الأطراف . كما أن الموازنة الأدبية هي: " دراسة علاقات والمشابه وأوجه الخلف بين نصين من النصوص، أو أديبين من الأدباء، أو عصرين من العصور، دراسة تستهدف بيان أصالة كل منهما، وخصائصه الفنية وميزاته الجمالية، طبقا لمقاييس النقد وأسسه وترمي في غاياتها البعيدة إلى معرفة ميزة أحدهما وسبقه الآخر لما يختص به من سمات الجمال، ولما فاق به سواه من اعتبارات الحسن، ولما تحقق من ورائه من لذة و إثارة ومنفعة أكثر مما تحقق من سواه "[1]

تقوم الموازنة عادة على تحليل النصوص، ومقابلة بعضها ببعض مقابلة تكشف عن خصائصها، وما يتميز كل منها على الآخر وصولا إلى حكم جمالي يرجح نصا على آخر أو أديب على آخر. فإذا التزمت الموازنة بهذه الأسس الإجرائية حازت على نسبة كبيرة من الموضوعية المطلوبة، خاصة وأن الموازنة تحقق للمتلقي إمكانية مراقبة إجراءاتها باعتبارها تقوم على وقائع مادية ، وتقوم أيضا على التحليل الذي يفيد التعليل والتبرير. غير أن الموضوعية في الدراسة الأدبية ، وإن كانت تحد من هوى النفس وميولاتها، إلا أن هذا الحد يبقى نسبيا لأن الذاتية من السهل تسربها إلى التطبيق والتحليل والترجيح.وهو أمر طبيعي في الدراسة الأدبية التي تترك لذوق مجالا للمناورة

أ- **عمود الشعر** : لقد ركزت الموازنة بين الشعراء على معيار عمود الشعر، وعمود الشعر هو ما عبر عنه بطريقة العرب ، أو تقاليدهم في نظم الشعر، وهو بهذا عبارة عن مجموعة من المبادئ الشعرية التي تلخص جماليات الشعر العربي القديم ،وبالتالي يشكل عمود الشعر معيارا جماليا يقوم على أساسه شعر المحدثين وقد جمعها "القاضي الجرجاني" في وساطته - بعدما كانت متفرقة - فينص واحد جاء فيه " وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في

[1]- عبد الرحمن شعيب . النقد الأدبي . مطبعة دار التأليف القاهرة 1967. ص303.

الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته، وجزالت اللفظ واستقامته وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ،وشبه فقارب ، وبده فأغزر ،ولمن كثرة سوائر أمثاله وشوارد أبياته ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ولا تحفل بالإبداع والإستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض " [1].

ب ـ الطبع والتكلف:

قضية الطبع والتكلف من أهم القضايا النقدية التي أثارتها الموازنة خاصة الموازنة بين الطائيين حيث إتخذها أنصار البحتري معيارا لتفضيل شاعرهم على خصمه أبي تمام فقالوا عن شعر الأول مطبوع وعن شعر الثاني متكلف

ومصطلحي الطبع والتكلف من المصطلحات النقدية، فإن كان مصطلح الطبع يدل على صفة محمودة في الشاعر وشعره فإن التكلف لا يدل دائما على صفة مذمومة في الشاعر وشعره،حيث يقول الجاحظ فيهما :" وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إحالة فكرة ، ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى رجز يوم الخطام ... فتأتيه المعاني أسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا " [2]، الجاحظ في هذا النص يعلي من قيمة الإلهام أو الطبع ويراه مزية في الشاعر العربي، ويعد إعمال الفكر وبذل الجهد في تحسين الشعر منقصة في الشاعر،على الرغم من أنّه اعترف في مكان آخر من كتابه بأهمية التنقيح في تجويد الشعر .

أما "ابن قتيبة" الذي يعتبر الشعر صناعة فيقول في تحديد المصطلحين :"و المطبوع من الشعراء من سمح بالشعر و اقتدر على القوافي و أراك في صدر بيته عجزه و في فاتحته قافيته ، و تبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة و إذا امتحن لم يتلعثم و لم يتزحر ...و أما الشعر الذي يظهر عليه أثر التعمل و التكلف لنقص المهارات الفنية كالأشعار التي أثرت عن العلماء ليس فيها شيء جاء عن أسماح و سهولة كشعر الأصمعي ،و شعر ابن المقفع و شعر الخليل،خلا خلف الأحمر فإنّه كان أجودهم طبعا و أكثرهم شعرا."[3]

---

[1]- القاضي الجرجاني ،الوساطة بين المتنبي وخصومه ،ص 31.

[2]- الجاحظ :البيان والتبيين ،ص405،404.

[3]- ابن قتيبة :الشعر و الشعراء،تحقيق أحمد شاكر ،دار المعارف ،القاهرة،1967.ص90

و خلاصة القول:أنّ الشعر صناعة فنية قوامها طبع مصقول بالرواية و الدربة ،و أنّ صناعة الشعر قد تكون جيدة ، و قد تكون رديئة ،شأنها شأن كلّ صناعة ،تكون جيّدة إذا لم يظهر عليها أثر التثقيف و التجويد ،أما إذا ظهر عليه أثر التجويد المتولّد عن حشد المحسنات اللفظية و المعنوية ، و كثرة الضرورات التي تحول دون جيشان الفكرة ،و تدفق الأحاسيس و المشاعر ، و استرسال الأسلوب ،ففي هذه الحال تكون الصنعة رديئة.

و يعد "القاضي الجرجاني " من أكثر نقاد القرن الرابع الهجري إدراكا للعلاقة الجدلية بين الطبع و الصنعة ،حتى إنّه يصف قصيدة "الحمى" لأبي الطيب المتنبي بأنّها جاءت "مطبوعة مصنوعة"[1].و هنا التقى المصطلحان وصفا لنص واحد.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّأن نقول كما قال"مجدي أحمد توفيق":"إنّ العلاقة بين الطبع و الصنعة علاقة جدلية ،فالطبع بوصفه الملكة أو القدرة هو الموضوع ، و الصنعة بوصفها فعلا أو سلوكا هي المحمول عليه." [2] و هذا يعني أنّ مصطلح الصنعة أكثر دلالة من مصطلح الطبع على معاناة الشاعر في عملية الابداع ،و أكثر علمية في التقويم النقدي.

جـ ـاللفظ و المعنى: ظهرت هذه القضية مع بداية القرن الثاني للهجرة،أي مع بداية مرحلة التدوين ،و قد اختلف النقاد المعاصرون حول أصل القضية ،فبعضهم رأى أنّ أصل المشكلة عقدية لها مصدرها في الاختلاف حول القرآن الكريم،هل هو مخلوق بلفظه أم بمعناه؟.و هل هو معجز بلفظه أم بمعناه؟.و أصل المشكلة وفق هؤلاء ممتد في علم الكلام.[3]

و ذهب "الدكتورعبد الواحد علام"إلى أنّ قضية خلق القرآن قد بنيت على أساس من اللفظ و المعنى.[4] كما اعتبر "الدكتور زغلول عبد السلام"أنّ نشأة القضية لغوية ،لأن نظم الألفاظ

---

[1]- القاضي الجرجاني:الوساطة بين المتنبي و خصومه،ص112.

[2]- مجدي أحمد توفيق:مفهوم الابداع الفني في النقد العربي القديم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ،1992،ص 294.

[3]- محمد زكي العشماوي :قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث،ص:262.و ينظرجابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي،ص348.وانظر مصطفى هدارة :مشكلة السرقات في النقد العربي دراسة تحليلية مقارنة .الأنجلو مصرية.القاهرة،1958،ص167.

[4]- عبد الواحد علام :قضايا و مواقف في التراث النقدي،مكتبة الشباب القاهرة،1991،ص35.

في العبارة هو ما يغير المعنى ،و إن بقيت الألفاظ على حالها أو بالعكس قد يمكن التعبير عن المعنى بصورة أو بأخرى من اللفظ ...و من هنا نشأت القضية."[1]

فإذا كانت اللغة وسيلة لنقل المعنى و توضيحه و تزيينه، و إذا كان المعنى منوط باللفظ الذي يحمله ،يَحسُن بحسنه،و يَهجُن بهجنته،فإنّ عناية المتكلم لاشك باللفظ أشدّ و أهمّ،لأنّ بحسن اللفظ يحسن الكلام جميعا ،كما أنّ قبح اللفظ ينسحب على الكلام جميعا أيضا،كما قال "ابن جني":"فاللفظ للمعنى وعاء،و إصلاح الوعاء و تحصينه و تزكيته و تقديسه،و إنما المبغى بذلك منه الاحتياط للموعى عليه و جواره بما يعطّر بَشَرو لا يعرّ جوهره".[2]

و هذا يعني:"أنّ الألفاظ خدم للمعاني و المخدوم لا شك أشرف من الخادم."[3]

و مع هذا فإن "ابن جني" لا ينفي كون العرب اهتمت في كلامها بألفاظها ،لكنه يرى أنّ في ذلك اهتمام بمعانيها التي تحملها.و قد اهتم البلاغيين و النحاة بطبيعة العلاقة بين اللفظ و المعنى ،فقد مال "ابن طباطبا"مثلا إلى المعاني و رأى فيها المزية،أما الألفاظ فهي:"كالمعرض للجارية الحسناء التي تزداد في بعض المعارض دون بعض." [4]غير أنه سرعان ما نراه في نص آخر من كتابه يولي اهتماما بالصياغة،و يرى أنّ جمال التعبير في الشعر يكمن في قدرة الشاعر و مهاراته في انتقاء الألفاظ و اختيار الصور و التراكيب الملائمة للبناء الشعري.

أما "قدامة" و على الرغم من أنّه عقد فصلين لنعوت اللفظ و عيوبه،ومثلهما للمعنى ،و مثلهما أيضا لأتلافهما ،إلا أننا لم نراه يفضل أحدهما عن الآخر،في حين أنّ "أبا هلال العسكري" يرى الفضيلة في اللفظ ،متكئا في ذلك على عبارة الجاحظ التي يقول فيها:"و ليس الشأن في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي و العجمي و القروي و البدوي ،و إنما هو في جودة اللفظ و صفاته ،و حسنه و بهائه ..." [5] و بالاعتماد على رأي" بدوي

[1]- محمد زغلول سلام:تاريخ النقد العربي إلى القرن الرابع الهجري،دار المعرفة الجامعية،الاسكندرية،1993،ص 67.
[2] - ابن جني:الخصائص،ج1،تحقيق محمد علي النجار،عالم الكتب،بيروت،ص 217.

[3]- المصدر السابق:ص220.
[4]- ابن طباطبا :عيار الشعر،ص 8.
[5]- أبو هلال العسكري:كتابالصناعتين:ص 63،64.

طبانة"فإن أبا هلال العسكري من مدرسةالجاحظ التي تتشيع للصياغة و تتعصب للفظ ،كما أنه غالى في تقدير قيمة اللفظ . [1]و هكذا ظلت قضية اللفظ و المعنى من القضايا الشائكة ،التي اختلف حولها النقاد و البلاغيين بين مؤيد لأحد طرفيها و معارض له،و كل يبدي رأيه حسب موقفه منها.

2- السرقات الشعرية:

إن الكشف عن السرقات الشعرية ،مبحث نقدي له ارتباط وثيق بموضوع الموازنة بين الشعراء ،لأنه يعد نوعا من أنواع الموازنة بين المعاني الشعرية ،كما أنّ الموازنة تقتضي وجود معنى أصيل ينطلق منه الشاعر ،ساعيا نحو منافسة الشاعر الأول في صياغته لهذا المعنى، و إخراجه في صورة أجمل و أكمل ،و لذلك فإنّ الموازنة في مبحث السرقات،أول ما تلحظه هو المشترك بين السابق و المسبوق ،ثم تنظر إلى الأول باعتباره العنصر الأصيل ،و تبحث فيما طرأ عليه من تعديل و تحويل في الثاني ،و تنتهي الموازنة بالحكم لأحدهما بالتفوق على الآخر أو بالمساواة بينهما.

أ- عوامل اهتمام النقاد بالكشف عن سرقات الشعراء:

يعود سر اهتمام النقاد بسرقات الشعراء ،و خاصة في القرنين الثالث و الرابع،إلى عوامل و أسباب كثيرة منها:

1- إحساس المشتغلين بالأدب شعراء و نقاد ،بأنّ القدماء سبقوا إلى كلّ المعاني،دفع بالشعراء إلى مشاركة القدماء ما ابتكروه،و منافستهم فيما ابتدعوا من ألفاظ ،و ما سلكوا من أساليب.و حرصا منهم على إبعاد شبهة السرقة ،أظهروا براعة في إخفاء مصادر أخذهم ،حتى بدت و كأنّها لهم .فكان هذا بمثابة مسرح للنقاد لإظهار قدراتهم في كشف المخفي من المعاني المسروقة، و تتبع روافدها في الزمن وصولا إلى أصلها و"هذا العمل يغذي في نفس الناقد الشعور الذي يجده الشرطي المحنك حين يتغلب على مداورات الجاني و حيله و ألاعيبه."[2]

---

[1]- بدوي طبانة :أبو هلال العسكري و مقاييسه النقدية و البلاغية ،المكتبة الأنجلو مصرية1960،ص127

[2]- مصطفى ناصف :نظرية المعنى في النقد العربي ،دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع،بيروت لبنان،ص101.

2- "أنّ الموازنة بين المعاني تتصل بظاهرة خاصة في عقلية المسلمين ،و هي عقلية تهتم بإسناد الأشياء إلى أصحابها ،فالإسناد عمل جوهري،المحدثون يهتمون بنسبة الحديث إلى صاحبه،و اللغويون يعنون بنسبة المادة اللغوية إلى صاحبها...

و الاعتقاد بأن معنى الكلام أو قيمته ليست في ذاته وحدها،بل هناك قيمة تنشأ عن الارتباط بشخص معين تقدم أو تأخر،هذه الملاحظة تفسر لنا اهتمام النقد العربي بالربط بين المعاني."[1]

3- التعصب للشعراء و التحامل عليهم:انقسم الناس حول الشعراء إلى فريقين وادعى كلّ فريق لشاعره الفضيلة و المزية، و رمى شاعر الفريق الخصم بالعيوب كلّها،الخفية و الظاهرة،حقيقة و زورا،و كانت تهمة سرقة الشعر من أهم مواضيع الموازنة بين الشعراء .

4- الغيرة و الحقد على الشعراء المبرزين ،و بخاصة ما اتصل بأبي الطيب المتنبي و ما كتب في سرقاته،نتيجة ما حازه هذا الشاعر من صيت بين العامة ، و ما ناله من حظوة عند الخاصة،و نتيجة أيضا للعداوات التي جلبها إلى نفسه ،نتيجة تكبره و مبالغته في الاعتداد بنفسه.

ثالثا : تعليل المعيار النقدي:

لم يكن عمل "الحاتمي" في رسالته ـ الموضحة ـ نقدا موضوعيا ،ذلك لأنّه اقتصر فيها على الجمع و العرض، حيث يعرض لأبيات المتنبي التي اتّهمه بسرقتها ، مع بعض التعليقات الخفيفة ،التي تفتقر إلى التعليل ،والغريب في الأمر أنّ المتنبي ظهر بصورة المتقبّل لكلّ تلك الاتهامات و الانتقاد ، فهو لا يناقش الحاتمي ، ولا يردّ عليه ، وإن ردّ كان ردّه ضعيفا ، وهذا معاكس لما غرف عليه المتنبي، فهو من المدافعين المستميتين عن أشعارهم، و ظهر بصورة الضعيف الذي يطلب الشفاعة منه حيث يستعطفه بقوله :"إنّها عثرة من عثرات الخاطر"و قوله :"أما يلهيك إحساني عن إساءتي في تلك؟ " فيردّ عليه الحاتمي بكلّ غرور :" ما أعرف لك إحسانا في جميع ما ذكرته ، إنّما أنت سارق متبع و

[1]- المرجع السابق،ص99.

آخذ مقصّر، و فيما تقدّم من هذه المعاني ، التي ابتكرها أصحابها ، مندوحة عن التشاغل بقولك ."[1]

و لا يخفى على كلّ متأمّل للرسالة تحامل الحاتمي الواضح على المتنبي وشعره ،حيث أفرغ الرسالة من أيّة موضوعية، و هذا مناقض لما قاله في مقدمتها من أنّه سيتحرى فيها كلّ الموضوعية ،ذلك أنه جعلها مسرحا للكشف عن آرائه اللّغوية ، ومهاراته في شرح و توضيح الألفاظ ،أكثر من كونها معرضا لآرائه النقدية في سرقات المتنبي.فقد اتسمت معظم أحكامه بأنّها أحكام جزئية ،لأنّها لا تتعدى اللفظة و معناها و الخطأ اللّغوي أو العروضي في بعض الأحيان .

لقد عرض"الحاتمي" في رسالته لبعض المصطلحات النقدية المتعلقة بالسرقة ،كالسرق ، و الأخذ و الاحتذاء ،و الاقتفاء ،إلاّ أنّه لم يقدّم أيّ شرح أو توضيح لها،إنّما يأتي على ذكرها فقط أثناء تناوله لأبيات المتنبي ، فهو بدل أن يقف عليها وقفة متأنية بالشرح و التوضيح و التعريف ،ولو حتى بإشارة سريعة، يذكرها ثمّ يمرّ بها دون شرح ولا توضيح .

و عموما يمكن القول بأن النقد السائد في الرسالة هو النقد اللّغوي ،ذلك أنّ "الحاتمي" اشتهر باللغة أكثر مما اشتهر بغيرها ،و لهذا كان الحاتمي يردّ عليه قائلا :"يا هذا مسلّمة إليك اللغة...و لكنّك من الشعر بعيد ." [2]، وفي هذا المعنى قال" ابن رشيق":"و أهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء ، بآلته من نحو ، وغريب ، و نقل و خبر ،و ما أشبه ذلك . ولو كانوا دونهم درجات ،و كيف و إن قاربوهم أو كانوا منهم بسبب ؟ و قد كان أبو عمرو بن العلاء و أصحابه لا يجرؤون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة ، أعني النقد ، و لا يشقون له غبارا لنفاذه فيها ، و حذقه بها و إجادته لها ."[3]

---

[1]- أبو علي الحاتمي: الرسالة الموضحة ،ص 108-109

[2]- أبو علي الحاتمي : حلية المحاضرة ،ج1،ص 59.

[3]- ابن رشيق: العمدة،في صناعة الشعر و نقده ، ج1.دار الكتب العلمية،لبنان ط1983،1،ص117.

وهذا يعني أن العلماء و اللغويين لا حظّ لهم في النقد ،أمام الأدباء و الرواة (رواة الشعر) ،و هذا لعدم مقدرتهم على استشفاف و استخراج ما في النصوص من حسن و جمال فني، وهذا الكلام ينسحب أيضا على الحاتمي الذي اكتفى بالتعليقات المجوفة والشروح اللغوية.

أما "زكي مباركّ فذهب إلى أنّ هذه الرسالة :"تمثّل طريقة الحاتمي في الكتابة و مذهبه في النقد ."[1]

و نحن لا نوافقه فيما ذهب إليه ،لأن بصيرةالحاتمي في نقده لشعر المتنبي، حجبت بعصابة التحامل و التعصّب ،لأننا نراه يحسن تناول أشعار الآخرين (خاصة أبا تمام و البحتري)، وفي أيّ موضع كانت ، كما نراه يحسن اختيار المصطلح النقدي وما يطابقه من شعر أولئك،و إذا تعلّق الأمر بالمتنبي بادر بعدم حسنه وعدم جودته و عمد إلى المغالطة و التناقض.و كون الحاتمي لغويا كان سببا في عدم التعرّض لمعظمما أورده من شعر المتنبي بالتحليل و الشرح ،الأمر الذي جعله يقابلها بالاستهزاء والسخرية،وعدماختيارالجيّد من شعره. إنّ فضل الحاتمي في هذه الرسالة ،هو كونها أول مؤلف نقدي ،وضع أبيات المتنبي الساقطة كما يصفها الحاتمي ، و المسروقة ، أمام أنظار النقاد ، وهنا تجدر الاشارة إلى أنّ في الرسالة حقا أبيات ضعيفة للمتنبي ، ولكن لا تستحق كلّ ذلك التضخيم و التفخيم واستعراض من قبل الحاتمي ،و إلى هذا ذهب الدكتور محمد زغلول سلام حيث يقول :"...ولكن الحاتمي مع تحامله على المتنبي ذلك التحامل ، فهو لم يكن في كل نقده خارجا عن الطريق السوي ، أو مغفلا للحق ، بل نجده محقا في بعض المواطن التي تناول فيها ما لم يحالف التوفيق فيها الشاعر فيما يتصل بالصياغة ، كاستخدامه لبعض ألفاظ غير جديرة بمعناه الذي أراده و في بعض ما أخذه من سابقيه ..."[2].

وعلى العموم يمكن القول أن الرسالة تخلو من الجانب التعليلي ،باستثناء بعض

---

[1]- محي الدين صبحي :نظرية النقد العربي و تطوّرها ،ص 46.

[2]- محمد زغلول سلام :تاريخ النقد الأدبي و البلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري،ج1،منشأة المعارف ،الإسكندرية ،ص 250

الإشارات الخفيفة و الشروح البسيطة لبعض المفردات اللغوية ، و ربما السبب يعود كما ذكرنا آنفا إلى كون الحاتمي لغويا أكثر منه أديبا و ناقدا .

الفصل الثالث:
أبعاد التجربة النقدية

يمكن إرجاع الأبعاد الثلاثة الأولى وما تحمله من طابع اجتماعي و نفسيوأخلاقي ،إلى ما حدث في بساط سيف الدولة حيث"قصده الحاتمي في صباه ، والتقى أبا علي الفارسي هناك .ونحن نعلم أنّ أبا علي قدم حلب سنة إحدى و أربعين و ثلاثمائة ، و أنّ أبا الطيّب أقام في بلاط سيف الدولة من سنة سبع و ثلاثين حتى سنة خمس و أربعين . و معنى ذلك أنّ الحاتمي عرف أبا الطيّب هناك و لابدّ من أن يكون قد ناله بعض أذاه ، فلقد كان لأبي الطيّب الجاه و الحظوة ، ممّا أثار حفيظة العلماء و الشعراء الذين أحاطوا بالأمير . و قد يكون منهم الحاتمي الذي كان يحسد أهل الفضل و يحقد عليهم ويذهب به غروره و تنفّجهإلى أن يقرن نفسه بهم ، و تدفعه عنجهيته إلى أن يطوّح بنفسه في المهالك . و لعلّه احتقب كلّ هذا لأبي الطيّب ، حتى كان لقاؤهما في بغداد، و كان الجو مناسبا و الفرصة متاحة ، فمعز الدولة ووزيره المهلّبي ناقمان على الشاعر المترفع ، و علماء بغداد يتعلقون بأذيال سادتهم و أمرائهم، و لعلهم لم يكونوا بحاجة إلى من يغريهم بأبي الطيّب، فقد كان له من شهرته و أنفته و تكبّره ما يثير أمثالهم." [1] إنّ المكانة التي كان يتمتع بها المتنبي في بلاط سيف الدولة رفيعة جدا جعلت الجميع يحسده عليها ،خاصة أنه كان ينشد الشعر في حضرة سيف الدولة وهو جالس و هو أمر لم يتجرأ أحد قبله ولا بعده على طلبه ،ومن بين الذين أسّروا الحقد في أنفسهم الحاتمي و الوزير المهلبي الذي ترفع المتنبي عن مدحه ، لأنّه لا يمدح غير الملوك ، فاجتمعت هذه العوامل و الأسباب كلّها في نفس الحاتمي ، فأوردت زناده ،و أخرج هذه الرسالة التي بثّ فيها كلّ حقده و حقد معاصريه من أهل بغداد على الشاعر العظيم . وقد كان له من غزارة العلم ووفرة المحفوظ ، ما يسّر له ذلك .

يمكن القول أن البعد الاجتماعي: هو ذلك المحيط الذي عاش فيه الحاتمي في صباه (بلاط سيف الدولة)، وما كان يحس به اتجاه المتنبي هو الذي جعله يتصرّف معه بهذه

[1]- أبو علي الحاتمي: الرسالة الموضحة ،ص،ك

الطريقة ،أما عن تلك المشاعر الخبيثة التي كان يكنّها للمتنبي والتي كانت مدسوسة في نفسه فهذا ما نطلق عليه البعد النفسي ،أما البعد الأخلاقي فهو تلك التصرّفات التي كان يمارسها الحاتمي في حق المتنبي أثناء مناظرته إيّاه ، والتي تتمثل خصوصا في السخرية و عدم الاحترام ، والحطّ من قيمته و قيمة شعره .

لقد تظافرت هذه الأسباب في نفس الحاتمي و جعلته يقيم مناظرة مع المتنبي في أوّل فرصة أتيحت له ،و ذلك لينتقم منه على أشياء فعلها كالتكبر و عدم المبالاة بالذين أقلّ قيمة منه ، و على أشياء لا ذنب له فيها كالشهرة و الحضوة و المكانة المرموقة و حب سيف الدولة له و احترامه ، وقد انتقم الحاتمي فيها من المتنبي أيّما انتقام له و لكل الذين يحملون له العداء، خاصة الوزير المهلّبي الذي أغرى شعراء العراق حتى ينالوا منه و من عرضه ، فتباروا في هجائه ،و لما لم يجبهم و لم يفكر فيهم ، سئل عن ذلك فقال :"إنّي فرغت من اجابتهم بقولي لمن هو أرفع طبقة في الشّعر منهم ."[1].

أولا:البعد الاجتماعي : ارتبط الأدب ممارسة و قراءة ،و لفترة طويلة ، بفن الكتابة ،و حصرا بالبلاغة والعروض ، و بمسألة المحاكاة و الأصالة ،و أيضا بمسألة اللغة التي نكتب بها ،و إجمالا بمسألة النماذج.

و ترى **"مدام دوستايل"** أنّ الأدب يتغيّر بتغيّر المجتمعات و حسب تطوّر الحريّة ، فهي تتماشى و تتطور العلم و الفكر و القوى الاجتماعية ،و الأدب دوما نقد و دعوة إلى غاية ما في آن واحد ، فيما اعتبر **"بونالد"** الأدب "تعبير عن المجتمع"، وهذه العبارة توحي أنّ الإنسان بطبعه اجتماعي ،ولقد تطوّر مفهوم الأدب كتعبير عن المجتمع وفق ثلاثة محاور:

1ـالاعتراف بكلّ المجتمعات ،يعني الاعتراف بكل الآداب.

2ـتفسير كل أدب بحسب محدداته و حاجاته الخاصة .

3ـولادة علم اجتماع الظاهرة الأدبية باعتبارها ظاهرة اجتماعية.

[1]ـيوسف البديعي : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ،ص ،145

و يمكن القول أنّ النصّ يحمل في طيّاته أشياء غامضة، لم يستطع ،أو لم يشأ أحد أن يراها ،لأنّه أيضا لغز يحدثنا عن الجانب الاجتماعي و التاريخي من خلال ما قد يبدو عنصرا جماليا أو روحيا أو أخلاقيا .أما معرفة إلى أي مدى يتعمّد المؤلف ذلك أم لا فأمر ثانوي لأنّ المهم في الجانب الاجتماعي هو النص وحده.ومن هنا يمكننا التساؤل عن معنى البعد الاجتماعي؟

1- مفهوم البعد الاجتماعي:

يستعمل مصطلح "البعد الاجتماعي " بسبب ملاءمته على الرغم من أنّه يدلّ منذ سنين عديدة على إجراء آخر غير مجرّد" التأويل التاريخي و الاجتماعي" للنصوص باعتبارها مجموعات أو نتاجات خاصة :فبين علم اجتماع الظاهرة الأدبية الذي يتعلّق بالبدايات (شروط انتاج المكتوب) و علم اجتماع التلقي و الاستهلاك الذي يتعلّق بالنهايات (القراءات و الانتشار، التأويلات والمصير الثقافي ...).[1]

إذن البعد الاجتماعي هو التزام في البحث عن نقاط الالتقاء و عن التناقضات و لهذا السبب لا يضع النقد الاجتماعي إطلاقا نقطة النهاية التي تجعل من النص نتاجا نهائيا ، و لما كان النص نتيجة ،فهو أيضا نقطة انطلاق ، و شيء ما لم يكن يوجد من قبل : فكل نص محدد دوما ، وهو دائما أيضا محدد جديد ، و إذا ما كان للقراءة النقدية الاجتماعية على الدوام بعد سياسي ، فلها على الدوام أيضا بعد وجودي، فالطفل ليس وحده الذي "يحيا العالمي بصورة الخاص" كما قال "سارتر" بل هو كل إنسان بعقله و ببواعثه ، و أيضا بوعيه و بنفسيته ، و بالتالي بلغته و بلغاته [2]

2- مبدأالتأويل والقراءة النقدية ـ الاجتماعية:

لا يمكن للقراءة النقدية ـ الاجتماعية أن تكون تطبيقا لبعض المبادئ على النصوص ، و لا تطبيقا لوصفات جاهزة في متون نظرية توصّلت إلى كلّ ما يمكن قوله عن المجتمعات ، و بالتالي عن النشاطات و النّتاجات الثقافية و بصورة خاصة الأدبية منها لثلاث أسباب:

[1]- رضوان ظاظا :مدخل إلى مناهج النقد ،ترجمة:رضوان ظاظا، عالم المعرفة ،الكويت1997:ص135 .
[2]- المرجع نفسه،ص137.

ـ لأنّ المتون النظرية أصبحت اليوم قديمة و لا تحتوي على كلّ مفاتيح واقع يبدو لنا أغنى و أشدّ تعقيدا . إذ لم يقل "مونتيسكيو" و لا "ماركس " كلّ ما يمكن أن يقال عن المجتمعات و عن تاريخها ، و إن قالا أكثر بكثير مما قيل قبلهما .

ـ لأنّه قد تشكّل في النصوص ذاتها، و في التأملات التي ولدتها هذه النصوص ، نقد اجتماعي وليد و موجود بالقوّة .

ـ لأنّ كلّ قراءة هي ابتكار و بحث ، و لأنها عند مستواها الخاص ، تساهم في إثراء وتقدم الوعي بالظاهرة الاجتماعية ـ التاريخية ، فالتأويل مثل الكتابة و الإبداع يساهم و لو بطريقة غير ثابتة دوما ، في تشكيل و استعادة وعينا بالواقع بأشكاله المتعددة ، و إن اعتمد هذا التأويل على بعض المكتسبات النظرية ، إذ يتشكل باستمرار على مستوى التأويل ، كما على مستوى الكتابة و الإبداع ، تركيب جديد بين البُنى التّحتية و البُنى الفوقية ،بين الوعي و عدم الوعي ، بين الفردي و العالمي ، بين النص و المرجع ، بين الأشياء و الأحداث و التعبير، و بين الأشكال القديمة و المتوارثة و الأشكال الحديثة و المبتكرة .[1]

و هكذا تكون القراءة النقدية ـ الاجتماعية حركة لا تتم فقط انطلاقا من نصوص مؤسسة و قديمة ، بل من بحث و جهد متلمس الأشياء و كاشف عنها يبتدع لغة جديدة ، و يظهر مشكلات جديدة ، و يطرح أسئلة جديدة ، و يحرك القراءة النقدية ـ الاجتماعية و الاجتماعية ـ التاريخية (علم الاجتماع و علم التاريخ) ، و في ذات الوقت تعدّهما علمين و طريقتين في الوعي جاهزين و مسجلين ، لذلك لا يمكن للقراءة النقدية ـ الاجتماعية أن تكون وصفة توصل إلى معنى نهائي ، و تشكّل مرجعا أخيرا ، و حكما مختزلا ،فهي تتنبّه إلى كلّ جديد يظهر، و تسهم في إظهاره للتاريخ .

و يمكن إظهار ذلك من خلال الرسالة الموضّحة كما يلي :

بدأت المناظرة بين المتنبي و الحاتمي بسؤال الأخير :"ها هنا أشياء تختلج في صدري ،

---

[1]- المرجع السابق ،ص 137

الوعي النقدي : هو إدراك للاختلاف بين المواقف و إدراك الحقيقة التي مفادها أنّ لا نظام أو نظرية يمكن أن يستنفد الموقف الذي منه انبثقت أو إليه انتقلت ، و علاوة على ذلك كله ، فإنّ الوعي النقدي هو إدراك مقاومة النظرية ، و إدراك ردود الفعل التي تثيرها النظرية في التجارب و التأويلات الملموسة التي تعد في حالة صراع معها .

أحببت مراجعتك القول فيها ، فقال: وما هي ؟ فردّ:" أخبرني عن قولك ":

خَفِ اللهَ و استُرْ ذا الجمالَ ببُرْقُعٍ فإن لُحْتَ حاضَتْ في الخُدورِ العواتِقُ[1]

أهكذا ينسب بالمحبّين ؟ فقال : أما هكذا في كتابكم ؟ فكفر ، لعنه الله ، فقلت : أين ؟ فقال في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾[2]

أي حضن شهوة له ، و استحسانا لصورته ، فقلت : لم يقل هذا أحد من محصّلي أهل العلم ، و لا شهد به ثقة و إنّما روي بيت شاذ لم ينسب إلى أحد :

نأتي النّساءَ على أطهارهنّ و لا نأتي النّساءَ إذا أكبرْنَ إكْبارا[3]

قال : فما معنى أكبرنه ؟فقلت :أعظمنه ، و لا يجوز أن يكون أن يكون : حضنه ، لأنّ تقدير الكلام يوجب ذلك ، إن كان الإكبار الحيض .

قلت و الدليل على أنّ معناه أعظمنه قولهن :" ما هذا بشر إن هذا إلاّ ملَكَ كريم "[4]

في هذا المثال :نجد أنّ المتعارف عليه في المجتمع و بين محصّلي أهل العلم هو :أنّ معنى "أكبرنه ":"أعظمنه "، و ليس كما قال المتنبي" حضن"،و ذلك لأن المعنى الذي قال عنه المتنبي بعيد عن الدلالة المقصودة و المرجوة من المؤلف .والدليل على أن معنى" أكبرنه ":"أعظمنه " كما قال الحاتمي هو تتمة قوله تعالى ﴿ما هَذا بَشَرٌ إِنْ هَذا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.[5] هذا تفسير لما جاء في الرسالة الموضّحة ، أما عند التأكد من البيت في ديوان المتنبي نجد بدل لفظة "حاضت " لفظة " ذابت " ، وهذه اللّفظة هي موضع نقد الحاتمي ، فكيف نفسّر هذا الاستبدال ؟ هل استبدلها الحاتمي ب "حاضت" ليجرح المتنبي في المناظرة ، و لنفرض أنّ هذا صحيحا ،فلابدّ من أن يكون المتنبي قد أشار إلى أنّ اللفظة "

---

[1]- أبو علي الحاتمي : الرسالة الموضّحة ، ص 13
[2]- سورة يوسف،الآية:31
[3]- أبو علي الحاتمي،الرسالة الموضحة،ص13
[4]- سورة يوسف،الآية: 31
[5]- سورة يوسف،الآية 31

ذابت" لا "حاضت"، و من يدري ربما قال ذلك و لكن الحاتمي لم يدوّن ذلك ، أم كانت

في الأصل "حاضت " فلمّا انتقده الحاتمي غيّرها ب "ذابت " ، لأنّ المتنبي سبق وغيّر العديد من الألفاظ بعد أن يُنتقد كاستبداله "لدنه" ب "بابه" و "القنوع" ب "القناعة " .كما أنّ الحاتمي رجل يمكن أن يُظنّ به هذا التحيّف ، خاصة أن الرسالة وصلت إلينا بلسانه هو ،و ليس لدينا ما نستطيع أن نناقش به صحّة نصّها .

و يمكن إدراج هذا المثال ضمن البعد الديني العقدي :إذا سلّمنا بأن معنى اللفظة "أكبرن" "حاضت" ذلك لأن أمور الحيض من أمور الدين ، وهي من الأمور التي لا يرغب المجتمع في الحديث عنها علنا ، كما أنّها من الأمور التي تثير الحرج لدى النّساء ، و إن كان لا حرج في الدّين .

ونجد الحاتمي من جديد لا يترك الفرصة تضيع منه ليظهر نفسه في أحلى صورة خاصة أمام الوزير المهلّبي و كل الحاضرين ، و يحاول ما استطاع أن يجعل المتنبي في أسوء حالاته ، و ذلك باستعراض لقدراته المعرفية ، و التي و إن كانت كبيرة ، فإنها لا

تفوق قدرات المتنبي ، الذي مازال لحدّ الآن يدرس في جميع الجامعات العربية و الأجنبية لا لشيء إلاّ لأنه يمتلك قدرة شعرية نادرا ما نجد موهبة مثلها .

ثمّ سأله الحاتمي عن أشياء تخصّ جوانب أخرى و بعدها قال :"أخبرني عن قولك في

كريم ". هذا تفسير لما جاء في الرسالة الموضّحة ،أما عند التأكد من البيت في ديوان مرثيّة أمّ سيف الدولة "

و لا مَن في جَنازَتهـا تِجـارٌ يكـون وَداعُهـمْ نَفضَ النِّعـــــال[1]

أهكذا يؤبّن مثلها ، و قد كانت بلقيس عصرها قدرا عظيما و ملكا جسيما ، و حديثا من مجدها و قديما ، فقال : ألست القائل في هذه الكلمة :

مَشَـى الأمـراءُ حَوْلَيْهـا حُفـــاةً كأنّ الـمَرْوَ مــن زفِّ الرّئـــــال

[1]-أبو علي الحاتمي : الرسالة الموضّحة ، ص 21

و أبرَزَتِ الخُـدورُ مُخبّـــــــآتٍ يَضَعـنَ النِّقسَ أمكنـــةالغَـــــوَالي

أتَتْهُـــنّ المُصيبَـــةُ غافـــــلاتٍ فدَمْـــــعُ الحــُزْنِفي دمـــع الدّلال[1])

و أنشد أبياتا من محاسن هذه القصيدة .فأجابه الحاتمي بعد أن أشار إلى المسروق منها :" و على ذلك فمن الواجب ألاّ تدفع عن إحسان انتظمه شعرك ، و لا عن معنى نكد طوّح به في البلاد فكرك . و لكنّك تحسن في البيت من القصيدة و الأبيات إحسانا لا يجهله نقّاد الكلام و أرباب البيان ، إيجازا في عبارته، و إبداعا في نظمه ، و صوابا في معناه ،

و سلامة في لفظه . ثمّ تشفع ذلك بالأبيات السخيفة لفظا و معنى ، و بالأبيات التي تغير على معانيها و بعض ألفاظها إغارة الذّئاب المُعط على سرح النّقد ؛ فتأتي القصيدة بالشّعر على غير مشاكلة و لا مشاكهة. و من أفحش المعايب ألاّ تقع اللّفظة مصاحبة أختها ، و لا مزاوجة ما جاورها ".[2]

و قد أدرجنا هذا المثال ضمن الأبعاد الاجتماعية و ذلك للمكانة الاجتماعية المرموقة التي كانت تتمتّع بها أمّ سيف الدولة ، على الرغم من أنّ هذا لم يشفع لها عند المتنبي ـ في نظر الحاتمي ـ فقد قال فيها شعرا لا يليق بمكانتها الاجتماعية خاصّة أنّها أمّ سيف الدولة ، فكان الأولى به أن يؤبنها بطريقة تليق بالملوك .و بالمكانة التي يتمتعون بها .لأنّها كما وصفها الحاتمي كانت بلقيس عصرها .وهذا تماشيا مع المبدأ البلاغي القائل:" لكلّ مقام مقال".

و تجدر الاشارة هنا إلى اختلاف الروايات ، حيث نجد العديد من المصادر تذكر أن الميتة هي أخت سيف الدولة لا أمّه . لأنّ الحاتمي قال :" أهكذا تؤبّن أخوات الملوك " ، بدل من " أهكذا يؤبّن مثلها ".

و في تعليقه على الأبيات قال " والله لو كان هذا في أدنى عبيدها لكان قبيحا ." [3].

و أيًا كانت المؤبّنة أخت سيف الدولة أم أمّه : فهي ليست من أدنى القوم لكي يسير في جنازتها التجار إلى أن توارى التراب ، فينفضون غبار نعالهم ، و يعودون أدراجهم ، و قد

---

[1]-المصدر السابق ، ص 21

[2]-المصدر نفسه ، ص 21-22

[3]- المصدر نفسه :ص22.

اعتبر الحاتمي قول المتنبي " قول مبتذل لا نبل فيه بل و لا تخصيص ، كما أنّه لا يعدو تقرير أمر معروف ."[1] و كأنّ الذين يشيعون جنازة الأشراف ليسو من العامة سواء كانوا تجارا أو أيّ مهنة امتهنوا ، فليس لهم الحقّ في نفض نعالهم من الغبار و التراب الذي علق بهم .لا لشيء لأنّ الميّت من الملوك ، فيجب أن يتصرّفوا على هذا الأساس .

وهذا يعني أنّ الحاتمي لا يعرف أنّ عند الله الناس سواسية ، ولا فضل لبعضهم على بعض إلاّ بالعمل الصالح ، و لعلّ المتنبي قد أحسن صنعا بلزومه الصمت هنا .

و من الأمثلة التي يمكن اعتبارها ضمن البعد الاجتماعي قول المتنبي :

يا مَـن نَلودُ مـن الزّمـــانِ بظِلّـــهِ أبـداً و نَطـرُدُ باسمِـهِ إبْليســـَا

خيرُ الطيورِ على القُصورِ و شرُّها يأوي الخرابَ و يسكنُ النّاوُوسا[2]

"وفي هذه الكلمة يقول (خير الطيور على القصور) فمن الطيّور التي تألف القصور المبنية :اللّقالق و الهام وهي ليست من خير الطيور"[3].

هناك أمور كانت العرب قديما ،والمجتمعات حديثا ـ و إن قلّت ـ تتشاءم منها ، كالطيور مثلا ، ومن الطيور التي لا تتفاءل بها العرب الهام واللّقالق ، والهام هي "البوم" .وهي عادة لا تسكن البيوت و لا تبني أعشاشها فيها ، بل تتخذ من خراب البيوت مساكن لها ، و إن كانت الهام اليوم تربى في الأقفاص و تباع بأغلى الأثمان ، و كما أنّ هناك طيوراً تتشاءم منها ، هناك طيور تتفاءل بها ، وهي الطيور التي تتخذ من أسقف البيوت أماكن لتبني أعشاشها فيها ، كالخطاطيف و غيرها .و مع أنّ الإسلام قد نهى على مثل هذه الأمور والتي وصفها ب"التطير" إلاّ أن العرب مازالت لحد اليوم تمارس بعض الطقوس التي نهى عنها الإسلام كالتشاؤم من الطيور .

ومن قول المتنبي الذي اعتبره الحاتمي الغلق المستغلق قوله:

أرضٌ بها شَـرَفٌ سِواهـا مثلُهـــا لو كانَ مثلُكَ في سواها يُوجَـــــدُ[1]

---

[1]- المصدر السابق:ص22.
[2]-المصدر نفسه:ص 37.
[3]-المصدر نفسه:ص38.

والمعنى :أنّ لهذه الأرض التي حللتها شرفا بحلولك إيّاها ، ولو ألقي مثلك في أرض أخرى غيرها لكانت مثل هذه [2] .أي أنّ لهذه الأرض شرفًا عظيماً بتشريفك إيّاها ، وذلك لأنّك شريف وذو مكانة ، ولو ألقي شخص مثلك و بقدرك و بمكانتك أنت في أرض أخرى غير هذه الأرض سوف تتشرّف به كما تشرّفت بك أنت هذه الأرض . وهذا حقا كلام يصعب تفسيره وفهم الغاية منه والمقصود من ورائه بسهولة ، لذا لا نتعجب من أن يصفه الحاتمي بهذا الوصف .

ثمّ انتقل إلى قوله :

أنّــى يكــونُ أبــا البَريّـــــةِ آدَمٌ و أبوكَ و الثّـقَلانِ أنتَ مُحمّدُ[3]

تقدير الكلام : كيف يكون آدم أبا البريّة و أبوك محمد و أنت الثقلان .

و ربّما يريد أنت الإنس و الجنّ ، و آدم واحد من الإنس ، و أبوك محمّد ، فكيف يكون آدم أبا البريّة ؟ و قد فصل بين المبتدإ الذي هو (أبوك) و بين الخبر الذي هو (محمد) بالجملة التي هي قوله (و الثقلان أنت) و هذا تعسّف شديد ، و مذهب عن الفصاحة بعيد .[4].

و المراد من هذا المعنى أنّ آدم هو أبو البرية فكيف يكون في نفس الوقت أبو سيّدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، و هو أيضا أبو الثقلان ،أي أنّه أب للإنس و الجنّ ،مع أنّه واحد من الإنس ، و ذلك ربّما لأنّه أوّل مخلوقات الله .

وهذا يدخل أيضا ضمن البعد العقدي ، وقد أُدرج ضمن البعد الاجتماعي لتداخل البعدين وارتباطهما الوثيق ببعضهما .

كما انتقد قوله :

---

[1]-المصدر السابق،ص 46.
[2]- المصدر نفسه ،ص 46.
[3]- المصدر نفسه ، ص 47.
[4]- المصدر نفسه ، ص 47.

اخترتُدَهمـاءَ تَين يا مَطَـــــرُ و مَنْ له في الفواضِـــــلِ الخِيَرُ[1]

يريد : اخترت الدهماء من هاتين الفرسين يا رجلا يجري في جوده مجرى المطر .

والمعنى أنّ هذا الرجل مشهور بين الناس بالكرم و الجود ،لدرجة أنّه منح فرسه الدهماء من فرسين كانا له .

ثمّ سأله عن معنى "كلواذ" في قوله :

طلَبَ الإمارَةَ في الثُّغورِو نشـؤُهُ ما بيــنَكَرْخايــا إلى كَلــوَاذَا[2]

قال :" من أين لك هذه اللّغة في (كلواذا) ؟ ما أحسبك أخذتها إلاّ عن الملاّحين

قال: وكيف ؟قلت : و إنّك أخطأت فيها خطأ تعثّرتَ فيه ضالاً عن وجه الصواب .قال: و لم ؟ قلت : لأنّ الصواب كلواذ بكسر الكاف و إسكان اللاّم و إسقاط الياء . قال: و ما الكلواذ ؟ قلت : تابوت التوراة بها سُميّت المدينة . قال : وما الدليل على هذا :قلت :قول الراجز:

كأنّ أصواتَ الغبيــطِالشّــاذي زَبْــرُ مَهاريــقٍ على كِلْــــواذِ[3]

و الكلواذ : تابوت توراة موسى . و حكي في بعض الروايات ،أنّه كان مدفونا بهذا الموضع ، فمن أجله سميت كلواذ . و أطرق لا يحير جوابا ثم قال : لم يسبق إليّ علم هذا ، و قولك مقبول و الفائدة غير مكفورة .[4]

والحقيقة أنّ المتنبي استخدم هذا المصطلح ظنّا منه بأنّ كَلوَاذَا اسم مكان ـ و إن لم يكن مشهورا ـ أو ربّما اعتمد في ذلك على قول الراجز كما قال الحاتمي ، أو أنّ القافية اضطرته إلى وضع هذا المصطلح و بهذا الشكل ، وهو و إن كان يعلم بأنّ هناك مكاناًاسمه كلواذ ،و أصل هذه التسمية هو تابوت توراة موسى ،الذي كان مستودعا أرض كلواذ، و مدفونا بها ،فهو لا يعلم شكل هذا المصطلح ـ في نظر الحاتمي ـ و بما أنّ الرسالة وصلت إلينا بقلم الحاتمي فلا ضير من أنّه غيّر الكثير فيها و ربما كلواذ تكون من بين هذه

[1]- المصدر السابق ، ص48.
[2]- المصدر نفسه،ص56
[3]- المصدر نفسه،ص56.
[4]- المصدر نفسه،ص56.

التغييرات ، و أراد فقط أن يعرض قدراته المعرفية في معرفة الأماكن و أصل تسميتها ، وبما أنّ المتنبي استخدمه في القصيدة فلا بد من أن يكون يعرف شكله، أو أنّ أثناء الإلقاء أخطأ في الشكل ، فمسكها عليه الحاتمي ،و أخذ يبيّن أصلها و فصلها ، فما كان من المتنبي إلاّ أن يصمت و يستمع ، و هو أمر غير معهود لدى المتنبي .

وما قيل عن "كلواذ" ينسحب على "البازيّ" في قوله :

وَصَلتْ إليكَ يـدٌ سـواءٌ عندَهـــــا ال بازيُّ الاشهـبُ و الغرابُ الأبقـــــعُ[1]

قال الحاتمي "فإنّك شدّدت الياء في (البازيّ) تشديدا لا وجه له ، ووصلت ألف القطع في الأشهب . و لا أعلم أحدا من الفصحاء شدّد الياء في البازي إلاّ البحتري ، و عليه اعتمدت و على لفظ بيته ركنت في قوله :

و بياضُ البـــازيِّ أحســـنُلوْنـــــــاإن تأمّلْـــتَ مِـــنْ ســـوادِ الغُـــــرابِ[2]

و قد رُدّ هذا على البحتري و خطّئ في تشديده الياء . و المسموع في ذلك لغتان :إحداهما:باز و بزاة كما تقول :قاض و قضاة ، رام و رماة ...

و اللغة الثانية :"بأز" بالهمز "وأبؤز"، كما تقول كلب و أكلُبُ ...[3]

إنّ الشائع و المتعارف عليه لدى العرب هو عدم تشديد الياء في البازي ، لأنه لا توجد قاعدة نحوية تجيز ذلك ، و ربما المتنبي اعتمد في ذلك على قول البحتري ، وهو لا يعلم أنّه قد ردّ عليه .و كان الأولى بالحاتمي أن يبيّن الخطأ دون أن يضطرّ إلى فعل كلّ ذلك، كما وصل ألف القطع في الأشهب ، وهو أمر لم يفعله أحد قبله ، وفي نفس الوقت أمر لم يغفره له الحاتمي ،وإن كان سهوا ، أو أنّ الذي يملل عليه المتنبي ـ و إن كان المتنبي نفسه ـ نسي سهوا وضع همزة القطع.

كما اعتبره الحاتمي مخطئا في قوله :

---

[1]- المصدر السابق ، ص 56.
[2]- المصدرنفسه،ص57.
[3]- المصدر نفسه ، ص57.

و أنْــكَ بالأمـــس كنــتَ مُحتَلِمـــــاً شيخَ معدٍّ و أنتَ أمْرَدُهـــــــــا[1]

حيث قال :"فإنّك أجريت المضمر في قولك "أنْكَ "مجراه مع الظاهر ، و فيه قبح شديد .و إنّما يحسن "أنْك " بمعنى أنّك مع الظاهر ، كقول الشاعر:

و يوْمــاً تُوافينــا بوَجْــهٍ مُقَسَّـــــمٍ كأنْ ظبيةٌتعطو إلى وارِقِ السَّلَمِ[2]

فقال المتنبي محتجا:" قد قال الآخر" :

فلوْ أنْكِ في يوْمِ الرّخاء سألْتِنـــــــي فراقكِ لم أبخَلْ و أنتِ صَديـــقُ[3]

فردّ الحاتمي :" هذا جائز على الضرورة ، ووجه جوازه ضعيف جدّا . و ليس يحمل القياس على الشذوذ و الضرورات ."[4].

إنّ المتعارف عليه لدى لغويي العرب و نحاتها أنّ" أنّك "تكون بفتح النون مع التشديد ، و قد أخطأ المتنبي لمّا استعملها بتسكين النون "أنْكَ" مع المضمر ،و لو استخدمها مع الظاهر لأصاب ، مع أنّ الحاتمي لمّا احتجّ عليه المتنبي بقول أحدهم أعتبر ذلك جائز على الضرورة ، مع أنّ وجه جوازه ضعيف ، فلماذا لم يعتبر قول المتنبي أيضا جائز على الضرورة ؟ .

و هذا كما في قوله :

هزَمتْ مكارمُــه المكــارِمَ كُلَّهـــا حتى كــأنّ المَكرُمــاتِ قبائِــلُ

و قتلنَ دَفراً و الدُّهَيم فما تُـــــرَى أُمُّ الدّهيمِو أمُّ دَفرٍ هـــابِـــلُ[5]

فقالالمتنبي:"و ما وجه الخطأ ؟ ردّ الحاتمي : ما أردت بقولك (و قتلن دفرا و الدّهيم)؟ فقال: هما من أسماء الداهية ، و قد تسمّى الدنيا دفرا . فأخبره الحاتمي : هذا خطأ في الدفر

---

[1]- المصدر السابق،ص58

[2]- المصدر نفسه،ص58.

[3]- المصدر نفسه،ص58

[4]- المصدر نفسه : ص 59.

[5]- المصدر نفسه: ص 59.

لم يقله أحد ، و لا رواه راو ، و لا ادّعاه على العرب مدّع . فأمّا الدفر فالنتن ؛ و الخبر عن عمر ، رحمة الله عليه و "ادفراه " و العرب تكني الدنيا أمّ دَفْر من أجل المزابل التي فيها و يقال : دفرته دفرا إذا دفعت في صدره . و قالوا للأمة يا دفار لنتنها . و يقال دفرا دفرا لما يجيء به فلان ، إذا قبّحت الأمر و نتّنْتَه . و قال صاحب كتاب العين : الدّفر وقوع الدود في الطعام و اللّحم ، و الدنيا دفرة أي منتنة ، و نحو هذا ذكر "ابن دريد " في الجمهرة . هذا قول أهل العلم و مستودع كتب اللّغة و لا يُعلم أحدٌ أنّه ادّعى أنّ الداهية تسمّى دفرا ، و

لا أنّ الدنيا تسمّى دفرا . و أمّا الدّهيم فمن أسماء الداهية ؛ و اشتقاقها من قولهم : دهمهم الأمر إذا فاجأهم ، وأتاهم بغتة ؛ و الأصل في ذلك أنّ ناقة كانت لبعض الملوك تسمّى الدّهيم ، فقتل قوما و بعث برؤوسهم عليها في غرارة ، فلمّا جاءت قالوا : عليها بعض نعام . فقال الرسول : انظروا عمّا يفرخ البيض ." [1]

اعتبر الحاتمي المتنبي مخطئا في قوله دفرا لأنّه وضعه في غير موضعه ، وغير معناه ، وقد شرح له بالتفصيل ما تعنيه لفظة " دفر " و لفظة " أمّ الدفر " كما عرّج على اشتقاقهما و حتى أصل تسميتهما .

و ما قيل عن " الدفر "يقال عن " الدّهيم " في قوله :

و عندَ الدُّهيمِ لوْ أُحِـلَّ عِقالُهـــــا فتَصْعدَ لم تعدَمْ من الجِنّ حاديا[2]

يريدُ أنّ الجنّ تعين على فعل المكروه . ثمّ كثر تشاؤمهم بهذا الاسم حتى جعلوا الداهية دُهَيْمًا . و هنا قال المتنبي : " إذا كانت الدنيا تكنّى أمّ دَفْر، سمّيت أيضا ب "دفر" من أجل أنّ كُناهم لهذه الأشياء كالأسماء . فقال الحاتمي : " الأمر على خلاف ما تخيّلته ، و لو كان الأمر كذلك لسمّيت الدنيا "شملة" ، لأنّهم قد كنّوها" أمّ شملة ".[3]

---

[1]- المصدر السابق : ص 60.
[2]- المصدر نفسه : ص 60.
[3]-المصدرنفسه : ص 60.

إنّ تشاؤم العرب من بعض الأسماء جعلها تغيّرها لأسماء أخرى ، و هذا ما حدث مع " الداهية " فبسبب كثرة تشاؤم العرب بهذا الاسم غيّرته إلى " دُهَيْم "، و يمكن إدراج هذا المثال ضمن البعد العقدي لأنّ فيه حديث عن الجنّ وهو من الأمور العقدية الغيبية ،و كذا حديث عن التشاؤم الذي كان سائدا و معروفا كثيرا لدى العرب قديما ،إلى أن جاء الإسلام و حرّمه .

قال الحطيئة :

فما بَرِحَ الولدانُ حتــى رَأَيْتَـــهُ على البَكرِ يَمريه بساقٍ و حافر[1]

و المعنى أنّ :هذا الشاعر إنّما وصف رجلا أضيف و أكرم فقال : ما برح الإماء و الولدان يكرمنه حتى رأيته قد ركب راحلته و انصرف شاكرا عنهم . فالمعنى في نهاية الحسن ، إلاّ أنّه في آخر البيت (يمريه بساق و حافر)قبح لأنّه استعار للرجل موضع قدمه حافرا .[2].

لقد اشتهرت العرب قديما بالجود والكرم دون سواها من الأمم ، وهذا ما استقبل به رجل قصد إحدى بيوت العرب حيث أكرم و أضيف و عني بمعاملة خاصة إلى أن ركب راحلته وانصرف وهو شاكر لهم.

و من الحطيئة عاد الحاتمي من جديد إلى نقد المتنبي في قوله :

ضيفٌ ألَمّ برأسي غيرَ مُحتَشَـم السّيفُ أحسنُ فِعلاً منه باللّمَـــمِ[3]

و موضع النقد في قوله :"غيرَ مُحتشَم" و هو يريد "غير منقبض"، و هذا ـ يقول الحاتمي ـ خلاف ما عليه محصّلو أهل العلم ؛ إذا كانت الحشمة في كلام العرب " الغضب ".و سمي "حشمُ الرجل" حشما ، لأنّهم يغضبون له .

[1]ـ المصدر نفسه :ص 71.
[2]ـ المصدر نفسه : ص 71.
[3]ـ المصدر نفسه : ص 76.

لم يكتف الحاتمي في رسالته بنقد المتنبي ، بل تعدّاه إلى غيره من الشعراء و "أوس بن حجر " واحد منهم ، إذ عاب عليه قوله :

و ذاتُ هِدْمٍ عــارٍ نَواشِرُهـــــا تُصْمِتُ بالماء تَوْلَبـــــــا جَدِعا[1]

لأنّه جعل للمرأة تولبا، و التّوْلب و لد الحمار . وهذا من أبعد الاستعارات و أشدّها مباينة لمذاهب حذّاق الشعراء [2]. وقد أصاب الحاتمي لمّا أعاب عليه قوله ،لأنّه لا يجوز أن يجعل للمرأة وهي أرقى الكائنات الحيّة ، ولدا من حيوان ، وأيّ حيوان ؟ حيوان أنكر الله صوته . وهو قد وظّفها طلبا للاستعارة ،إلاّ أنه بَعُدَ عنها وعلى ما تعارفت عليه العرب كلّ البُعد .

كما اعتبر المتنبي مخطئا في قوله :

غَضِبتُ لهُ لمّـــا رَأيتُ صِفاتِـه بلا واصِفٍ و الشّعرُ تهذي طَمَاطمُه[3]

من أجل أنّ الهذيان كلام المهتَر و العليل ، و من به طيف جنّة . و الهاذي و الهذاءةُ من الأوصاف المذمومة . والطّمطمة كلام الأعجمي الذي لا يفهم ، يقال : أعجمي طمطم و طمطماني، إذا كان كلامه غير مُفهم [4].وكان الأولى به أن يقول :" والشّعر يمور تيّاره ، و يغطمط لُجّه ، و يجيش بحره ، و تتغاير قوافيه و بحره .

وقد استحسن الحاتمي قول " بشار بن برد":

و مُكَـــــــــلّلاتِبالعيـــو ن طَرَقْننا و خرجْـنَ هَـــــمْسا

فأصَبْنَ منْ طُرَف الحَديـــــــ ث لذاذةً و رَجَعْـــــنَ مُلســـــــا

حـــُورٌ يَرُقْـــنَ إذا حَلِيـــــــ نَ و إنْ عَطِـــــلْنَ خشينَ نفســـــا[5]

---

[1]- المصدر السابق ، ص 91

[2]- المصدر نفسه ، ص 91.

[3]- المصدر نفسه ، ص 106.

[4]- المصدر نفسه ، ص 107.

[5]- المصدر نفسه ، ص 124

فقوله :"مكللات بالعيون " هو البيت ، و ذلك المعنى . يقول : إذا برزن صرف الناظرون أعينهم إليهن لحسنهن ، فكأنّهن كُلّلن بالعيون .و " رجعن ملسا " ، أي لم يأتين ريبة . و قوله : " إذا حلين " أي لبسن الحلي ، لا يلبسنه ليُحسّنهن ، و إنّما يلبسنه عُوّذاً ، لأنّهن مستغنيات عن الزينة بجمالهن [1]. فتلك النّساء جميلات و هنّ لسن بحاجة لمن يخبرهن بذلك ، لأنهن عندما يخرجن من بيوتهن نجد جميع الأنظار تلتفت نحوهن، وعلى الرّغم من أنّهن يلبسن الحلي إلاّ أنّها لا تضاهي جمالهن . لأنهن يلبسنها فقط ليدفعن العين (النفس) بها . وهذا ما كانت العرب قديما تفعله فهي ترتدي الحلي التي ترسم بها يد أو تكون على شكل يد ، و أشكال أخرى، ظنّا منهم أنّها تدفع العين عنهم .وهذا كان من المعتقدات السائدة لدى العرب التي حرّمها الإسلام بمجيئه ،لأنّ الله وحده هو الحامي والحافظ من كلّ مكروه

و مما يمكن إدراجه ضمن البعد العقدي قول المتنبي :

إذا ما فارَقْتُنـــــي غَسَّـــلْتُنـــي كأنّا عاكِفـــان على حَرام[2]

فقال له الحاتمي:و الحلال أولى بالغسل و أخصّ من الحرام ، فكيف خصصت الحرام بوصف يشركه فيه غيره ، و له به اختصاص فوق اختصاصه .

فقال أبو الطيّب: " أتيت بأحدهما فدلّ على الآخر و إن لم أذكره . و في القرآن ﴿ سَرابيلَ تَقِيكُمُ الحَرَّ ﴾[3]و هي تقي البردكذلك ، و قد قال الشاعر :

فَلا تَعِدي مَواعِـــــدَ كاذِبـــاتٍ تَهُبّ بها رِياحُ الصّيفِ دوني[4]

يريد و رياح الشتاء . فلمّا صدع بالحجة صدع الصباح رداء الظلام، ولمّا خاف الحاتمي أن يُوهم الوزير "أبا محمد " و بعض صاغيته أنهّ لا علم له بما ذكره، نازعه الكلام فقال :" أجل لكنّ قولك يبعد بعض البعد عن هذا ، و إن كنت تحذو حذوه . من أجل أنّ الحلال أشدّ اختصاصا بالغسل من الحرام ، وليست السرابيل بأخصّ في وقاية الحرّ منها في وقاية البرد

---

[1]-المصدر السابق ، ص124

[2]- المصدر نفسه ، ص 128.

[3]- سورة النحل،الآية71.

[4]- أبو علي الحاتمي : الرسالة الموضّحة ،ص128.

، و لا رياح الشتاء بأخصّ في هبوبها دون المواعد من رياح الصيف . و على أنّ بعض أصحابنا ذكر أنّه خصّ رياح الصيف،لأنّها أشدّ تعفية.فأعجب المهلّبي هذا الاعتراض. [1].و كأن الحاتمي قال ما قال إلاّ ليثير إعجاب الوزير المهلّبي من جهة ، و يُخطئ المتنبي فيما قال من جهة ثانية ،حتى وإن كان مصيبا فيما قال، و ليبرهن على قدراته المعرفية من جهة أخرى.

ومن الأبعاد الاجتماعية قول الآخر :

بيَهْماءَيسْتافُ التّـــــــراب دليلُها و ليس بها إلاّ اليَمانيُّ مُخْلِفُ

تجاوزتها وحدي و لم أرْهبِ الرَّدى دَليليَ نجمٌ أو حُوارٌ مُخَلَّـــفٌ[2]

يقول :"أجهضت الإبل من شدّة السير فيها ، فألقت أجنّتها فصارت كالمنار لساكنها يستدلّ و يهتدي بها ."[3].

فهذه الإبل التي كانت حاملا ،قد أجهضت من شدة السير ، وكان الأولى بصاحبها أن يراعي ظرفها ولا يجعلها تسير لمسافات طويلة ، لأن الله أوصى على الرفق بالحيوان ، خاصة إن كانت أنثى و هي حامل .

[1]- المصدر السابق،ص128.
[2]- المصدر نفسه،ص139
[3]- المصدر نفسه :ص 139.

ثانيا : البعد النفسي :

إنّ الممارسة التحليلية النفسية هي في جوهرها اختبار مبتكر للكلام و الخطاب ، فلقد كان الأدب (الشفهي أو المكتوب) ـ و قبل التحليل النفسي بكثير ـ ممارسة لغوية قادرة على ابتداع حيّز مميّز على هامش المتطلبات الاعتيادية للتواصل .

لقد أعطت دراسة النصوص الأدبية للتحليل النفسي الوليد فرصة تجاوز الحقل الطبي المحض ، ليجعل من نفسه نظرية عامة للنفسية و الصيرورة الإنسانية ، كما غيّر التحليل النفسي للأدب المشهد النقدي ، لكن تبقى هناك بعض الأسئلة المهمّة : ما المكان الذي يشغله هذا النقد في مجال الفكر الثقافي ؟ ما هيّ نتائجه؟ ماذا يغيّر في قراءتنا للنصوص ذاتها و في كيفية رؤيتنا لماهية الممارسة الفنّية ؟.

1ـ القراءة التحليلية ـ النفسية :

التحليل النفسي : تحليل النفس ، كقولنا : تحليل النص ، و سنرى ظهور مصطلحات جديدة ، تحدّد خصوصية هذا الإجراء مثل : " نقد نفسي " ، " تحليل نفسي سيميائي" ،" تحليل نفسي نصي " ، " قراءة نفسية ". ..الخ .

إنّ التركيب يرسم صورة غير مرئية و لا إرادية ، صورة مخفية داخل تلاقي الخيوط هي سر العمل الأدبي ، (بالنسبة إلى المؤلف و قرائه) . إنّ هذه الصورة بمنزلة فخ للتأويل لأنّها موجودة في كلّ مكان و في لا مكان : إذ يوجد في الحقيقة العديد من الصورة الممكنة ، و النص المكتمل ظاهرا . يكون عند القراءة موضع تحولات لا نهائية .كما تخطر ببالنا اللوحات التي تعتمد خداع البصر، و التي تعتبر أفخاخا حقيقية للنظر، كلّ هذه الأشياء تحرّض على التخيّل والكلام، و على نشاط القارئ أو المشاهد.

أـ النقد التحليلي ـ النفسي :

"هو ممارسة محددة للتأويل، و هو بذلك نقد جزئي ، و يجب قبول محدوديته أمام بقية

أشكال ، كما عليه أن يشير في كلّ مرة ، إلى خياراته و منهجه و إلى ما يستهدفه ".[1]

بـ ـ النقد التحليلي :

"هو ممارسة محوّلة ،غير أنّ التحوّل لا يتعلّق " ببنية المؤلف ، أو ببنية عمله الأدبي ، بل ببنية العمل الأدبي المقروء " مما يجعل الناقد محصورا بين صاحب الخطاب المؤول و متلقي التأويل و بين العمل المقروء ، أي بين المؤلف و قارئ العمل النقدي" .[2]

فكلما ركزنا على خصوصية النص الأدبي، و خصوصية إنتاجه ،و أصالة العلاقة المابين ذاتية التي تتعقّد حوله ،تساءلنا عن طريقة تكييف المنهج المرتبط بالحلة التحليلية حصرا مع حالة القراءة .

2ـ استدعاء التحليل النفسي للأدب :

لعبت بعض النصوص الأدبية دور الوسيط بين العيادة و التنظير بغية بلورة الفرضيات الوليدة ، و ضمانها ، و لتعميم الاكتشافات المميّزة المحددة بالحقل الطبي ، و يمكن أن تستخدم النصوص الأدبية أيضا كأقطاب إرجاعية للتحقق بصورة أوضح من جانب محدد من المذهب أو لتمثيله ، و بذلك كان التحليل النفسي التطبيقي:يعني الدراسة النفسية للشخصية ، و الحكم السريري دون قراءة دقيقة للعمل الأدبي ، و مماثلة الكاتب للشخصية ، و مع ذلك لم تتمكن أكثر القراءات دقة من دحض وجاهة هذا التحليل ، ذلك لأنّنا في لحظة ابتدع التحليل النفسي ، لا في زمن التقليد الروتيني ، فالعمل الأدبي إذن ليس عرضا من الأعراض و لا كلاما في جلسة تحليل ، إنّه يقدّم لنا " شكلا مرمّزا " لوجه من أوجه أنفسنا اللاواعية ، كانت تفتقر إليه ، و أخيرا فإنّ مأساة تقوم على

عودة المكبوت ، و تساعد على فهم مأساة أخرى تقوم على الكبت ، مما يجعل للنصّ الأدبي

وساطة تدخله في وظيفة أساسية ، لا يستطيع تحقيقها إلاّ إذا كان حيّا ، أو مقروءا قراءة هي بمنزلة حوار معه ، على الرغم من البعد الثقافي و التاريخي الذي يفصلنا عنه ، و قراءة

[1]-رضوان ظاظا : مدخل إلى مناهج النقد الأدبي ،ص61.
[2]-المرجع نفسه :ص61.

كهذه ، مهما كانت صيغتها هي دوما خيانة مبتدعة في نظر " ر . " .
"[1].R . ESCARPITإسكاربيت **الأدب و اختيار النظرية :**

كتب " فرويد " في بداية دراسته ، وفي معرض حديثه عن الشعراء :" إنّنا ننهل من ذات النبع و نعجن ذات العجينة ، كلّ منّا بطريقته الخاصة " [2]

فالنصوص الأدبية و النصوص التحليلية النفسية توضحان بعضهما البعض ، غير أنّ خصوصية النشاط الأدبي لا تؤخذ بعين الاعتبار لما للحقائق المتولّدة من اللقاء بين هذين الإجراءين من قدرة على حفز انتباهنا . و تلعب الأساطير و الأدب ـ في حتمية الاكتشاف التحليلي النفسي ـ دورا كبيرا في بناء و اختيار و توسيع النظرية . و الحقيقة أنّ النص الأدبي لا يلعب دور الوسيط بين مكتب العيادة و النظرية و إنّما التحليل النفسي هوالذييلعب هذا الدور بين العمل الأدبي و قرائه .وفي بداية حديثه عن الشعراء أكّد "فرويد" تفوق الشعراء (المبدعين) لأنّهم :" معلّمونا في معرفة النفس ... لأنّهم ينهلون من ينابيع لم نتوصّل بعد إلى تمهيدها أمام العلم ."[3]

إنّ تسخير العمل الأدبي للمعرفة التحليلية النفسية يميل إلى أن يصبح القاعدة ، فهو وحده قد

عرف باسم علم اللاوعي ، و التحليل النفسي التطبيقي هو جزء عمليات التحليل النفسي ، الذي يشترك مع مجمل العلوم الإنسانية ، في نفس العلاقة مع النص الأدبي .

و من هنا يتم الحكم على قراءة ما بما تقدمه في حدود مشروعيتها ، فيجب إذن و دون أي نبذ ، إفساح المجال لتنوّع المشاريع النقدية ، مع إبقاء سؤالين حاضرين في الذهن بالمقابل : هل نطبق منهجا دون أن نحكم مسبقا على ما سنقع عليه ، أم نطبق مفاهيم أقيمت في " العلم " المرجع ؟ هل نأخذ بغين الإعتبار أنّ النشاط الأدبي هو عمل في الترميز أم لا؟

3- السيرة النفسية :

[1]- المرجع السابق ، ص 64.
[2]- المرجع نفسه ، ص 65.
[3]- المرجع نفسه ، ص 69.

لا يمكن للتحليل النفسي إقصاء مسألة الذات ، يقول " أندريه غرين " "هل من الممكن عدم إقامة أي علاقة بين الإنسان و إبداعه ؟ فمن أي قوى يقتات هذا الإبداع إن لم يكن من تلك التي تعمل عند المبدع ؟ و يوضّح مفهوما ، اللاوعي و الصراع النفسي بصورة مختلفة ، تكون تاريخ الفرد و النشاط الإبداعي و العمل الأدبي . إنّ مشروع السيرة النفسية لهو أوسع من تلك المشاريع التي سبقت دراستها ، غير أنّ الإشكالية تبقى هي ذاتها .[1]

و يمكن إيضاح البعد النفسي من خلال الرسالة الموضّحة كما يلي :

قال المتنبي :

ما أبعدَ العيبَ و النقصانَ من شِيّمي أنا الثُّرَيّا و ذان الشّيبُ و الهَرَمُ[2]

قال الحاتمي : و وجه الكلام أن يقول : أنا الثريا سفورا و علوا و ذان السُّهى خفاءً و خُبوًّا . و المعنى أنا الشباب و ذان الشيبُ و الهرم .و هو يقصد التعظيم المفرط للمدّعي و التحقير لما عداه ، فقال أنا الثّريا في العلوّ و الإنارة و اجتماع الأشياء التي حَوَتْ كلّ حسن و العيب و النقصان كالشّيب و الهرم و قد أتى بسرّ بديع فيهما . و عيب الشيب و نقص الهرم مركوز في الطباع .[3]

فالمتنبي يصوّر نفسه هو في صورة ممدوحه ، في أعلى المراتب كالثّريّا بمكانها و إنارتها ، وخصومه و أعداءه في أسوء صورة كالشيب و الهرم ، وهما مما يدلّ على تصغير الحال و تحقيرها . و في هذا إشارة إلى حاله مع الحاتمي ، فمهما حطّ الحاتمي من قيمة المتنبي وشعره أمام الوزير المهلّبي و غيره فإنّ المتنبي سيبقى شامخا وعاليا و منيرا كما الثّريّا ، وما حالهم هم إلاّ كحال المهان الحقير من الأمور.

ثمّ قال الحاتمي :" و أخطأت في قولك مخاطبا كافور الإخشيدي ":

---

[1]- المرجع السابق ، ص 75.
[2]- أبو علي الحاتمي،الرسالة الموضحة،ص23.
[3]- يوسف البديعي : الصبح المتنبي عن حيثية المتنبي ، ص116.

يَفضَحُ الشّمس كلّما ذرّتِ الشّمْـــــ سُ بشَمْـسٍ مُنيــرَةٍ ســـوْداءِ[1]

هو مدح في صورة الذم ، إذ كيف توصف الشمس و صبغها البياض و الضياء بالسواد ؟ و هذا إنّما ذهب إلى أنّه في مجده و سؤدده و بإضافة الملوك إليه كالشمس التي تستر النجوم عند طلوعها. و المتنبي لم يرد إلاّ أنّ هذا الممدوح ـ كافور ـ في أوصافهيفضح الشمس طالعة ، و هو مع ذلك شمس سوداء،و الشمس لا تكون سوداء إلاّ في كسوفها ، و إنّما ذهب في هذا إلى سواد جلدته ، وقد أنّبه في ظاهر الكلام بقوله (سوداء) تأنيبا عاد معه المدح هجاء. إنّ سوء سريرة المتنبي جعله يوهم كافور أنّه يمدحه ، وهو يعايره بسواد جلدته ، وكأنه لا يعلم قول الرسول الكريم :" لا فضل لعربي على عجمي و لا لأبيض على أسود إلاّ بالتقوى ." و قال الوحيد :" كان المتنبي يعلم أنّ ذكر السواد على مسامع كافور أمرٌ من الموت فإذا ذكر لونه بعد ذلك فقد أساء إلى نفسه و عرّضها للقتل و

الحرمان ، و كان من إحسان الصنعة و إجمال الطلب ألاّ يذكر لونه ، و له مندوحة ، و لكنّ الرجل كان سيء الرأي ، و سوء رأيه أخرجه من حضرة سيف الدولة ، و شدّة تعرّضه لعداوة الناس ، و قد ذكر سواد كافور في عدّة مواضع ."[2]ثمّ انتقد قوله :

تُمـِرّ الأنابيبُ الخَواطـرُ بَينَنــا و تَذكُرُ إقبــالَ الأميــرفَتحلَوْلي[3]

لأنّه سُبق بقوله :

كدَعواكَ كُلٌّ يدّعي صِحّة العَقل[4]

و هذا لأنّه أتى ببيت مردف في قصيدة غير مردفة ، و هنا بدأ الحاتمي يتعالى و يفتخر بعلمه و بمقدرته على اكتشاف أخطاء المتنبي قائلا :" إنّ قوماً لا علم لهم لا يرون هذا شاذّاً ، و لا يرون الواو المفتوح ما قبلها و لا الياء شاذّاً ردفاً ، يزعمون أنّهما ليسا بحرفي مدّ ، لأنّ الصوتَ لا يمتدّ بهما كامتداده بالياء و الواو المكسورة و المضموم ما قبلها . و ذلك غلط من قائله إذ كان فتح ما قبلهما لا يخرجهما عن جنسهما إذ كان مَخرجهما في الحالين

(1)- أبو علي الحاتمي،الرسالة الموضحة،ص66.
(2)-المصدر نفسه،ص76.
(3)-المصدر نفسه ، ص76.
(4)-المصدر نفسه،ص76.

من مكان واحد من الفم ، فصورتهما في اللفظ واحدة . و إنّما الفتحة تنقلهما قليلا ، فلا يمتدّ الصوت بهما كلّ الامتداد ، و لكنّه يمتدّ امتداداً يستحقان به أن يسمّيا حرفي مدّ . فإذا جاء للعرب بيت فيه ردف مع ما لا ردف فيه معاً و اعتُدّ شاذّاً ، كما جاء لهم الإقواء و الإكفاء و الإيطاء ، فليس لمحدث أن يرتكب مثل ذلك ، و لا يتسمح في قوافيه بشئ من المعائب ، و إن كانت موجودة في أشعارهم على طريق الشواذ ."[1]

كما أخطأ أبو الطيب في قوله :

إبْعَدْ بَعِدتَ بَياضاً لا بياضَ لـــهُ لأنتَ أسوَدُ في عَيني مِنَ الظّلَمِ[2]

و هذا شذوذ أيضا ، وبهذا يكون المتنبي قد أتاح الفرصة من جديد للحاتمي ليتباهى بقدرته المعرفية ، ويحطّ من القيمة الشعرية للمتنبي يقول : " و قد تأوّل قوم لا علم لهم بجوهر الكلام ، في بيت المتنبي تأوّلا بعيدا و قيل : أراد لأنت يا أسود في عيني من الظلم .

و هذا تأوّل بعيد . و كيف تقول يا أسود و هو أبيض ؟ و كان وجه الكلام إذا أراد هذا ، أن

يقول : و أنت مع بياضك أسود كأنّك من سواد الظّلم . و لو ذهب إلى ذلك و أفصح عنه بعبارة مقبولة يقع بها الإفهام و يزول معها اللبس لكان الغرض صحيحا لكنّه أبهمه

و أسرّه ."[3]

قال عنترة يصف فرسا :

فازْوَرَّ مِن وَقْعِ القَنا بلَبانِـــــــــهِ و شكا إليَّ بعَبرَة و تحَمحُـــم

لو كان يدري ما المُحاورَةُاشْتَكـى و لكانَ لوْ عَلِمَ الكَلامَ مُكَلّمـــي[4]

---

[1]- المصدر السابق،ص76.
[2]- المصدر نفسه،ص85.
[3]- المصدر نفسه ، ص86.
[4]-المصدر نفسه،ص94.

ففرس عنترة رغم أنّها لا تتكلّم إلاّ أنّه شخّصها بجعلها تنطق بالحمحمة وبالعَبَرات كالإنسان تماما ،وهذا إنّما راجع لكثرة تعلّقه بها وحبّه الشديد لها ، الأمر الذي جعله يفهم عليها دون النطق بكلمة واحدة .و إنّما من خلال سلوكات الحيوانات كالحمحمة .

و بعد أن أورد أبياتا للبحتري قال الحاتمي وهي مأخوذة من قول أبي تمام :

مِن كُلّ أزْرَقَ نَظّارٍ بلا نَظَـــــرٍ إلى المَقاتِـل ما في عُودِهِ أوَدُ

كأنّهُ كانَتِرْبَالحُبِّ مُذْ زَمَـــنٍ فليسَ يُعْجِزُهُ قَلبٌ و لا كَبِـــدُ[1]

فقال أبو الطيّب :من أبو تمّام و البحتري ؟ ما أعلمُ أنّي سمعت بذكرهما إلاّ من هذه الحاضرة . فردّ الحاتمي :" أبو تمام و البحتري اللذان اختلبت ألفاظهما ، و استلحقت معانيهما ، ووقعت دونهما وقوع السهم المقصّر عن رميّه ."

لقد أظهر الحاتمي أنّ المتنبي لا يعرف أبا تمام و البحتري ، بل ولا يعرف حتى اسميهما ، ولا يذكر أنّه سمع بهما .و الحقيقة غير ذلك تماما ، لأنّ المتنبي يعرفهما حقّ المعرفة بل و يروي شعرهما أيضا و قد ذكر صاحب " الصبح المنبّي" ذلك فقال :

" قال أبو الطيب هذا يشبه قول أبي تمام ، و أتى بالبيت المأخوذ منه المعنى ، فقلنا قد سُررنا لأبي تمام إذ عرفتَ شعره ، فقال : أويجوز للأديب ألاّ يعرف شعر أبي تمام ، وهو أستاذ كلّ من قال الشعر بعده فقلنا قد قيل إنّك تقول :كيت و كيت ، فأنكر ذلك ، و ما زال بعد ذلك إذا التقينا يُنشدنا بدائع أبي تمام ، و كان يروي جميع شعره ."[2]

قال المجنون :

وَ إنّي إذا صَلّيتُ وَجّهتُ نَحْوَهـا بوَجهي و إنْ كانَ المُصَلّى ورائِيا[3]

---

[1]- المصدر السابق،ص106.
[2]- يوسف البديعي : الصبح المنبّي عن حيثية المتنبي ،ص 143.
[3]- أبو علي الحاتمي : الرسالة الموضّحة ،ص123.

ثمّ تدارك هذا فقال :

و ما بيَ إشراكٌ و لكِنّ حُبَّهـــــا كعَظمِالشَّجا أعيا الطّبيبَالمداويا

أُصَلّي فَما أدري إذا ما ذكَرْتُــها أثِنْتَيْن صَلّيتُ الضّحى أم ثمانِيــا[1]

فقال أبو الطيّب : في هذا معنى طريف . وبما أنّ المتنبي قد علّق على الأبيات فلا بدّ أن يتكلّم الحاتمي أيضا قال:" إنّه كان لا يحصّل ما يصلي شغلا بحبّها ، فكان يعدّ الركعات فإذا عدّ اثنتين انبسطت أصبعاه فتخيّلهما ثمانية ".[2] إن كثرة حبّ المجنون لمحبوبته جعله أثناء الصلاة يلتفت لا إراديا إلى حيث هي ، و إن كانت القبلة وراءه ، و هذا لا يعني أنّه مشرك لكنّ حبّها داء لم تستطع حتى أمهر الأطبّاء إزالته من قلبه ، و في صلاته لا يدري كم ركعة صلّى ، أثنتين أم أربع و هذا بسبب شغفه بها و تفكيره المفرط فيها .

ثمّ قال أبو الطيب :فإنْكانَ بعضُ النّاس سيفاً لدولــةٍ ففي النّاس بُوقاتٌ لها و طُبُــولُ[3]

فقال الحاتمي :" أهكذا تمدح الملوك ".[4]

و الحقيقة أنّ لا محلّ للتجريح هنا ، لأنّ ما يفهم من هذا القول أنّ عدا سيف الدولة من الأمراء ليسوا إلاّ بوقات و طبول ، و هذا مدح فيه ما يفخر به الملوك ، إذ المقابلة بين

السيف من جهة و البوقات النابحة و الطبول الخاوية من جهة أخرى ، فيها ما يسمو بـ" السيف" و يظهر فهاهة و ضعف ما دونه .

ثالثا : البعد الأخلاقي:

1- مفهوم البعد الأخلاقي :

يصدق عليه ما رآه الأستاذ "أحمد أمين " ،إذ من الممكن أن يصدر فيه الشاعر عن تجارب الحياة ، بل و يصدر عامة الناس كما قال الناقد ، و الرسالة الحاتمية كغيرها من

---

[1]-المصدر السابق،ص123

[2]-المصدر نفسه ، ص123.

[3]-المصدر نفسه،ص18

[4]-المصدر نفسه ، ص18.

المؤلفات لا تخلو من أفكار أخلاقية كوّنتها عاطفة الشاعر ، وهي آراء في الحياة و الأحياء ، لها نظائرها في الشعر العربي ، و يصنّف الأستاذ "أحمد أمين " التفكير الأخلاقي ضمن" التفكير الفلسفي" الذي سمّاه أيضا "التفكير العلمي" ،إلى جانب "التفكير المجرّد" (النظري) .

2- التفكير الفلسفي عند المتنبي :

و ذلك أنّ أبا الطيب قد جاء في بعض شعره بأغراض فلسفية ، و معان منطقية فإن كان ذلك منه عن فحص و نظر و بحث فقد أغرق في درس العلوم ، و إن يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة بالإيجاز و البلاغة و الألفاظ الغريبة . و هو في الحالتين على غاية من الفضل و سبيل نهاية من النبل . و هنا نطرح التساؤل التالي : هل كان المتنبي فيلسوفا؟ و يجيب الدكتور "محمد مندور" على هذا التساؤل بقوله :" يخطئ من يظنّ أنّ لأبي الطيّب فلسفة تشمل العالم و تحلّ مشاكل الكون فتلك بالفيلسوف أشبه ، و ربّما قارب هذه المنزلة أبو العلاء لا أبو الطيّب ، فلئن كان أبو الطيّب فيلسوف يتشاعر ،فإنّ أبا الطيّب شاعر يتفلسف "إنّما لأبي الطيّب خطرات في الحياة من هنا و من هناك لا تجمعها جامعة إلاّ نفس أبي الطيب و المحيط الذي يسبح و يتشرّب منه "[1].

وهذا يعني أنّ المتنبي شاعر و ليس فيلسوفا ، وما الفلسفة و التفكير الفلسفي إلاّ جانب قليل من شعره وهذا عكس ما روّج له ،بأنّ المتنبي فيلسوف يتشاعر .

"و كذلك يخطئ من ظنّ أنّ أبا الطيّب عمد إلى ما أثر من الحكم عن أفلاطون و أرسطو و أبيقور، و أمثالهم من فلاسفة اليونان ، فأخذها و نظمها ، ولم يكن له في ذلك إلاّ أن حوّل النثر شعرا ، كما رأى ذلك من تتبّع سرقات المتنبي و أفرطوا في اتهامه ... فإن كان قد وصل إلى أبي الطيّب قليل من حكم اليونان و نظمها ، فإن أكثر حكمه منبعها نفسه و تجاربه و إلهامه ، لا الفلسفة اليونانية و حكمها . ذلك لأنّ الحكم ليست وقفا على الفلاسفة و

[1]- محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ،ص 200.

لا على من تبحّروا في العلوم و المعارف ، إنّما هي قدر مشاع بين الناس يستطيعها العامة كما يستطيعها الخاصّة ".[1]

إنّ المتأمّل في شعر الحكمة لدى المتنبي يجده صورة طبق الأصل عن محيطه و نفسه ، و لا أثر فيها للتقليد و التشبُّه ذلك لأنّه ينظم ما يجول في نفسه و خاطره وما عاش من تجارب ، وهذا إنّما يدلّ أنّه لا يترجم و لا ينظم ما نقل إليه من حكم غيره ، إلاّ إذا أعجب بها كثير الإعجاب ، و تأثّر به أيّما تأثّر ، و هذا لا يحدث إلاّ في القليل النادر.

3- مقارنة بين شعر المتنبي و حكم أرسطو طاليس :

و قد أقيمت مقارنة بين شعر المتنبي و حكم أرسطو طاليس لمعرفة إذا كان شعره حقا منقول من أرسطو طاليس ، أم هو مجرّد توارد للأفكار فقط ، و الأمثلة التالية توضّح ذلك :

قال أرسطو:" روم نقل الطباع من رديء الأطماع شديد الامتناع "

و قال أبو الطيب :

يُرادُ من القلب نسيانُكـــــــم و تأبى الطباع على الناقـــــل[2]

ففي قوله :" و تأبى الطباع على الناقل " ما يرجّح أنّه أخذه من قول أرسطو ، وما رجّح ذلك هو التعبير " بنقل الطباع " ، لأنّه تعبير فلسفي ، لكن لا يوجد إثبات أو دليل واضح على أنّ المتنبي قد أخذه فعلا من أرسطو.

و قال أرسطو:"إذا تجرّدت اللطائف من الشكوك ، كست الصورة رونقا و بهاء."

فقال أبو الطيب :

إذا خلعت على عرض له حللا وجدتها منه في أبهى من الحلل[3]

---

[1]- المرجع السابق: ص 200_201

[2]-المرجع نفسه،ص112.

[3]- محمد مندور النقد المنهجي،ص212.

و من الواضح هنا أنّه لا علاقة أصلا بين المعنيين لأنّ أرسطو يتحدّث عن جمال الصورة عندما تخلو اللّطائف من الشّكوك و نقاء النفس ، و الشاعر يمدح ممدوحه بأنّه يزيّنُ شعره و يزيدُه بهاء.

أما الجانب الأخلاقي الذي يتحدّث عنه ديننا و يدعو إليه نبيّنا ، و الذي يتمثّل في بعض الأفعال و السلوكات و الأقوالالتي يقوم بها الإنسان ليدلّ أنّه على خلق حميد أو لا فكثيرة هي في الرسالة، و يمكن تبيانها من خلال النماذج التالية :

قال الحاتمي :" و أخطأت أيضا في قولك ":

فإن نلتُ ما أمّلتُ منكَ فربّمـــا شَربتُ بماءٍ يُعْجِزُ الطيرُ وِرْدَهُ[1]

قال أبو الطيب :" أمدح هو أم ذم "؟ قلت :" إنّك جعلته بخيلا لا يوصل إلى شيء من جهته . و شبّهت نفسك في وصولك إلى ما وصلت إليه منه بشربك من ماء يعجز الطير ورده ، لبعد مشربه ، و ترامي مطلبه".[2].

إنّ نقد الحاتمي لهذا البيت بالذات سيثير مشكلة كبيرة في تفسير كافوريات المتنبي ، خاصة عندما سأله أمدح هو أم ذم ؟ وفي جواب المتنبي ما يثير الدهشة ، لأنّه قصد المدح ، و في ما يبدو أنّه كان يشير بطريقة أو بأخرى إلى "أبن جنّي" و تلاميذه المعجبين به، و الذين كانوا يجتمعون حوله في بيت البصرى بتأويل مدحه في كافور بالهجاء ،أو التعريض أو السخرية الخفية ، لأنّ هذا البيت بنوع خاص من السهل أن يقبل تخريجا كهذا ، وهو حينئذ يشهد ببراعة المتنبي في أن يسخر من كافور مع إيهامه أنّه ، يمدحه و هذا دليل قوة لا ضعف من الناحية الفنية ، أما من الناحية الأخلاقية فهذا لا يجوز ، لأنّ السخرية من الآخرين ليس من المروءة و لا من الأخلاق الحميدة ، خاصة عندما توهمه بأنّك تمدحه ، و لكن في حقيقة الأمر أنت تسخر منه .و مع ذلك فمن الممكن أن نحكم على الأمور من

[1]-المرجع السابق ،ص 75.
[2]- أبو علي الحاتمي:الرسالةالموضحة،ص 75

ظاهرها و ما ألفناه عن الشعراء،فنحكم على المتنبي أنه قد قصد المدح لا الذم ، وهذا ما يجعلنا نعود بالذاكرة إلى الوراء قليلا ، عندما تكبّد المتنبي المشّاق في رحلته من حلب إلى مصر إلى أن التقى بكافور ، و في هذا ـ حقا ـ ما تعجز الطير ورده ، و لعلّ الذي كان يجول في خاطر الشاعر لمّا جاشت نفسه بهذا البيت كان مقدّرا ما في سيره من حلب إلى خصم أمير حلب من مجازفة، كما كان مدركا لمبلغ الصعوبة التي لم يكن بُدٌّ من أن يلاقيها في كسب داهية ككافور الإخشيدي .

كان المتنبي إذن يستطيع أن يردّ على الحاتمي بأيّ وجه أراد ،فإمّا المدح و إيضاح ما في البيت من معنى المدح ، و إما الذم المستتر خلف المدح الظاهر ، لكن الذي يثير الدهشة حقا هو صمت الشاعر ، الذي لم يجد سبيلا في الردّ على الحاتمي،إلاّ بإيراد أبيات أخرى لتشفع له ما انتقد خصمه ، و في هذا معنى التسليم ، مما يرجّح الكفّة من جديد لتحريف

الحاتمي لمجريات وأحداث الرسالة .و مما يزيد من حجّتنا ما أورده الدكتور "محمد مندور" حينما قال :" و أعجب من ذلك أن ننظر في الأبيات التي ساقها المتنبي ، فلا نراها من خير ما قال ، و هذا سبب آخر يقودنا إلى الشكّ في صدق الحاتمي ، اللّهم أن نفسّر هذا الاختيار بذوق المتنبي نفسه و عمق تأثره بأبي تمام في التماس المعاني البعيدة ، التي تقرب من الإحالة ، و تبلغ في الإسراف حدّا يكاد ينقلها عمّا قصد منها ،فالمدح المبالغ فيه لا يمكن أن يفلت من مجاورة الذم ، أو الانقلاب إليه ."[1]. كما في المثال السابق مع كافور .

و بعد أن أورد المتنبي بيتا اعتبره الحاتمي فاحشا ،قال أبو الطيب :" و على هذا فليس الذي قلته بأفحش من قول امرئ القيس ":

فمِثْلِكِ حُبلى قد طَرَقتُ و مُرْضِعٍ فألْهَيتُها عن ذي تَمائِمَ مُحْوِلِ

إذا ما بكَى من خلفِها انصرَفَتْ لَهُ بشِقٍّ و تحتي شِقُّها لمْ يُحَـوّلِ[2]

فقال الحاتمي : "إنّ امرأ القيس كان مُفرّكًا ، و الحبلى قليلة الرغبة في الرجال . فيقول :" إذا ألهيتها فأنا إلى غيرها أحبّ."

[1]- محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب ،ص195

[2]- أبو علي الحاتمي : الرسالة الموضّحة ،ص24.

و هذا المثال يتحدّث عن موضوع لا تحبّذ العرب الحديث فيه خاصة في العلن .لأن من الحياء عدم التحدّث في مثل هكذا أمور، كما لا تخلو الرسالة من سخرية الحاتمي بالمتنبي

فهو لا يضيّع فرصة إلاّ و سخر منه و من شعره أمام المجلس و من فيه و هذا ليس من الأخلاق كقوله مثلا :" ما أسخف هذا لفظا و أقلّه من البيان حظا " و قوله " و أشهدُ الله أنّ هذا من غثّ الكلام و سقط الشعر ."و كما سخر منه عندما وصف سيفا :

حَمَلَتْهُ حَمائلُ الدّهرِ حتـــى هــيَ مُحْتاجَةٌ إلى خَـــرّازِ[1]

بقوله :" و لعمري لقد فات فحول الشعراء في وصفه هذا السيف ، و جرى و إيّاهم في حلبة الإحسان فقصروا عن غاية سبقه ، و ألهانا قول المتنبي هذا في وصفه سيفه."[2]

و كذلك الحال في قوله :

العارضُ الهتِنُ ابنُ العارض الهتِنِ ابْ ن العارضِ الهَتِنِ ابنِ العارض الهتِنِ[3]

فقال الحاتمي :" و أحسب أبا الطيّب ناجى نجوم الدجى ليلة كلها حتى حيّاه بوجهه صبحُها حين انتظم له هذا البيت ."[4]

و كذلك قوله :

تَهَـلّلَ قبـلَ تَسليـمي علَيْـــــهِ و ألقى مالَـــــهُ قَبلَ الوســـــــادِ[5]

فقال الحاتمي :" و لولا تسمُّحه في تناول هذه المعاني التي تقدّم أربابها فيها و سُبق إلى اختراعها ، لخلّ لسانه كما يخلّ لسان الفصيل الملهج ."[6]

و هذا كما في قوله :

---

[1]- المصدر السابق،ص32.
[2]- المصدر نفسه،ص33.
[3]- المصدر نفسه،ص35.
[4]- المصدر نفسه،ص35.
[5]- المصدر نفسه،ص52.
[6]- المصدر نفسه،ص52.

لوْ طابَ موْلِدُ كلّ حيٍّ مثلَـــــهُ وَلَدَ النّساءُ و ما لهُنّ قَوابِـــــلُ[1]

فقال الحاتمي : " فأتيت بما لا يأت به ذو مرّة سويّة ، و لا قريحة ذكيّة ."[2]

و قال المتنبي :

كأنّ الهامَ في الهَيْجا عُيُـــونٌ و قد طُبِعتْ سُيوفُـــكمن رُقــادِ

و قد صُغتَ الأسِنّة من هُمــومٍ فمـــــا يَخطُـرْنَ إلاّ في فُـــؤادِ[3]

فقال الحاتمي :" فسبحان من ذلّل أعناق الكلام لك ، ووطأ كواهله و جمع شتيته ، و قاد لك المعاني بأزمّتها ، حتى اخترعت منها ما قصّرت عنه خواطر من تقدّمك من فرسان الشعر و أمراء النظم و النثر."[4]

و بعد أن أورد المتنبي بيته :

كَفى بجسمي نُحُولاً أنّني رَجـــــلٌ لوْلا مُخاطبَتي إيّـــاكَ لم تَرَني[5]

فأعجب هذا "أبا محمد " إعجابا شديدا ، فقال : ما كنت أحسب أنّ أحدا سبق أبا الطيّب إلى معنى بيته التقدّم ، و لا زاد على إحسانه في وصف نحوله. فقال الحاتمي :" ما تصنع ببيته و هو مسروق على ما أنبأت الوزير به ، و كلّ واحد من هؤلاء مخترع في هذا المذهب معنى لم يشركه فيه غيره ."[6] و كان الأولى بالحاتمي أن يحتاط في اختيار ألفاظه فلا يقول " بيت مسروق " إذ الأفضل أن يقول :" المعنى سُبقَ إليه ".

البعد الحجاجي: قبل التعرّف على البعد الحجاجي لابد أوّلا من معرفة ماهية الحجاج :

أولا- مفهوم الحجاج :

---

[1]-المصدر السابق،ص60.
[2]-المصدر نفسه،ص61.
[3]-المصدر نفسه،ص104.
[4]-المصدر نفسه،ص105.
[5]-المصدر نفسه،ص126.
[6]- المصدر نفسه،ص127

شهدت ستينيات القرن العشرين تطورا ملحوظا في مباحث الدراسات البلاغية ، فظهر ما يسمّى بالبلاغة الجديدة ، و هي محاولة لإقامة علم عام لدراسة الخطابات بأنواعها ، ووصف الخصائص الاقناعيةللنصوص ، و قد ساعد على نضجها كل من اللسانيات و التداولية و نظريات التواصل. و تنظر المناهج اللسانية الحديثة التي تأثرت بها البلاغة إلى اللغة كنسق تتفاعل عناصره في إطار علائقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها ، و هذا ما أدّى إلى انبثاق" البلاغة البرهانية الجديدة " التي تهدف إلى دراسة تقنيات الخطاب التي تسمح بإثارة تأييد الأشخاص للفرضيات التي تقدّم لهم ، أو تعزز هذا التأييد . بعد أن بيّنا ما هو الحجاج نتساءل الآن عن حقله ، أي الحقل الذي يمكن أن نجده فيه . إنّ الأصل في تكوثر الكلام هو صفته الخطابية بناء على أنّه لا كلام بغير خطاب، إذ حقل الحجاج هو الخطاب ، و الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية ،بناء على أنّه لا خطاب بغير حجاج ، إذ الحجاج يوصف بأنّه طبيعة في كلّ خطاب ، و الأصل في الحجاج صفته هو صفته المجازية بناء على أنّه لا حجاج بغير مجاز .

و تتجلى فائدة الحجاج في إقناع شخص ما بقضية ما ،أو تزيد من شدة اقتناعه بها ، عن طريق الحجاج ، لحمله إلى عمل ما ، أو تهيئته لذلك .

إذن يتعلّق الخطاب الحجاجي بالتعامل ، و أنّ المنطوق به الذي نطلق عليه الخطاب ، هو الذي يقوم بتمام المقتضيات التعاملية الواجبة في حق ما يسمى الحجاج :" إذ حُدَّ الحجاج أنّه كلّ منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها."[1].

و هو الأمر الذي أدّى ب "بيرلمان " بأن يطلق مصطلح " الخطابة الجديدة " عام 1958

و هي دراسة تتناول الحجاج بوصفه خطاب يستهدف استمالة عقل المتلقي ، و التأثير في سلوكه و بهذا يتخذ الحجاج مفهومين :

1- طريقة تحليل و استدلال ، بقصد تقديم مبررات مقبولة للتأثير في الاعتقاد و السلوك .

[1]- مجلة المخبر : أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة ،الجزائر ، العدد 13-2013،ص 269 .

2- عملية اتصالية يستخدم فيها المنطق للتأثير في الآخرين ، و بالنظر إلى الحجاج و كيفية تطبيقه بأن تعرض المقدمة ثمّ الحجة فالنتيجة .[1]

ثانيا:بواعث الحجاج :

إن الخطاب ممارسة كلام بين طرفين أو أكثر ،لكن قد توجد هذه الممارسة لإقامة علاقة تخاطبية ، قد تكون لنقل قول أو الإخبار عن الشيء ، و قد تنشأ لإقناع الطرف الآخر ، و يحمله على ما يتكلّم به ، و هنا يكون للخطاب عدّة مقاصد ، " قصد التوجه إلى الآخر و قصد إفهامه مُرادا مخصوصا ، من غير أن يسعى إلى جلب اعتقاد أو دفع انتقاد ، و لا أن يزيد في يقين ، أو ينقص من شك ، و إنّما حقيقة الخطاب تكمن في كونه يضيف إلى القصدين التخاطبيين المذكورين ، قصدين معرفيين هما " قصد الادّعاء "و" قصد

الاعتراض " ، و قصد الادّعاء يقتضي " أنّ المنطوق به لا يكون خطابا حقا ، حتى يحصل من الناطق ، صريح الاعتقاد لما يقول في نفسه ، و تمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة ، ذلك لأنّ الخلو عن الاعتقاد يجعل الناطق ، إما ناقلا لقول غيره ، فلا يلزمه اعتقاده ، و إما كاذبا في قوله ، فيكون عابثا باعتقاد غيره ، و لأن الخلو عن الاستعداد للتدليل يجعل الناطق إما متحكما بقوله ، فلا يتوسل إلا بالسلطان ، و غما مؤمنا بقول غيره فلا يحتاج على برهان "[2] .

و لا شك أن هذا الادّعاء لا يقابل المقدمات بمصطلح آخر لأنها تدعم بأدلة و حجج ثم نتائج، و أما "قصد الاعتراض " فبمقتضاه "أن المنطوق به لا يكون خطابا حقا حتى يكون للمنطوق له حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدّعيه ، ذلك لأن فقد المنطوق له لهذا الحق يجعله ،إما دائم التسليم بما يدّعيه الناطق ، فلا سبيل إلى تمحيص دعاويه ، و إما عديم المشاركة في مدار الكلام "[3]

نشير إلى أن المعترض هو المخاطَب ،و المدّعي هو المخاطب ، فلفظة معترض تدلّ على كلّ سامع يطالب بدليل على ما يقوله له المدّعي و هو المتكلّم ، و من هنا الادعاء و

[1]- المرجع السابق :ص 269.
[2]- المرجع نفسه :ص 278
[3]- المرجع نفسه : ص 278.

الاعتراض يشاركان في تكوين سبب للحجاج ، و عليه فلا متكلّم من غير وظيفة الادّعاء ، و لا سامع من غير أن تكون له وظيفة المعترض ، و هذا من بواعث الحجاج مما يتعلّق بوظيفة طرفي التواصل ، أما المتكلّم فيدّعي أمرا ، و السامع يعترض على ذلك الادّعاء بطلبه الدليل و إقامة الحجة .

ثالثا :تقنيات الحجاج :

هناك نوعان من تقنيات الحجاج اللغوية هما :

1- تقنيات طرق الوصل : التي يتم بفضلها فهم الخطط التي تقرّب بين العناصر المتباعدة في الأصل ،لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها ، و كذلك تقويم كلّ منها بواسطة الأخرى سلبا و إيجابا

2- تقنيات طرق الفصل: و هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعدّ كلاّ واحدا أو على الأقل مجموعة متحدة ضمن بعض الأنظمة الفكرية ،أو فصلها أو تفكيكها .[1]

و قسّمت تقنيات الحجاج اللغويةإلى :

1- الأدوات اللغوية الصرفة : مثل التعليل .

2- الآليات البلاغية : مثل الاستعارة ، البديع و التمثيل .

3- الآليات شبه المنطقية : و يجسّدها السلّم الحجاجي بأدواته و آلياته اللغوية ، و يندرج ضمنه كثير منها مثل :الروابط الحجاجية :لكن ، حتى ، فضلا ، عن ، ليس .

4- الآليات التي منها الصيغ الصرفية :مثل: التعدية بأفعال التفضيل و القياس و صيغ المبالغة .

و هذا يدفعنا للتساؤل عن وسائل الإقناع :

أ - الوسائل اللسانية : و نقصد بها أدوات الاتساق و الترابط و الانسجام و منها :

[1]-المرجع السابق :ص 280.

أ-1- الإحالة : و تكمن حجاجيتها في " أنّ العناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتف بذاتها من حيث التأويل ، إذ لابدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها "[1]

و هي تنقسم إلى نوعين : إحالة مقامية و إحالة نصّية ، و تنقسم هذه الأخيرة إلى : إحالة قبلية و أخرى بعدية . و بهذا تؤخذ الإحالة بنوعيها كوسيلة لسانية للحجاج ، تؤثّر على المستمع ، و عمله العقلي في إيجاد الشيء المُحال له ، و لإيجاد معناها يجب مراعاة ما تستند إليه .

أ-2- الحذف:

و هو علاقة داخل النص تكمن حجاجيته في جعل القارئ يملأ هذا الفراغ بالاعتماد على ما ورد في الجملة الأولى ، أو استنادا لما سبق .

أ-3- الوصل :

هو" تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظّم "[2] و يمكن أن تؤخذ أدوات الربط خدمة لهذا الوصل ،بكلّ أنواعه سواء كان الإضافي أو العكسي أو

أو السببي ، أو حتى الزمني .

أ-4- التكرار:

هو" شكل من أشكال الاتساق المعجمي ،يتطلّب إعادة عنصر معجمي ، أو ورود مرادف له ،أو شبه مرادف ،أو عنصرا مطلقا ، أو اسما عاما "[3].

و تكمن حجاجية التكرار في إعادة اللّفظ أو معناه فهو بقدر ما يؤكّد المعنى ، تعدّ له هذه الوظيفة حجاجية.

ب ـ الوسائل الأصولية و الفلسفية :

---

[1]- محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام النص ، دار المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء الطبعة الأولى ،ص 16-17.

[2]- المرجع نفسه ، ص 22

[3]- المرجع نفسه ، ص42.

ب ـ 1- القياس :

وقدسمّاه " طه عبد الرحمان " **"الاستدلال الكلامي "** في كتابه "في أصول الحوارو تجديد علم الكلام " و هو ما يعرف "بالقياس و المماثلة و يعتبر أبرز وسيلة حجاجية استوحاها الخطاب الحجاجي من الأصوليين و الفلاسفة .

فالقياس فعالية استدلالية خطابية ، و نفهم من هذا أن القياس يؤثر به كوسيلة حجاجية في الخطاب ليكون أكثر نجاعة و إقناعا علما أنّ لهذا القياس أنواع : القياس البياني ،المماثلة ، أو القياس العرفاني القياس البرهاني .

ب ـ 2- التمثيل :

و فيه تعقد " الصلة بين صورتين ليتمكّن المرسل من الاحتجاج و بيان حجّته " [1] و من

هنا يتقاطع القياس مع التشبيه في العناصر ،و يظهر هذا في كون القياس إظهارا لوجود الشبه بين الشيئين .

بمعنى أن القياس أيا كانت صيغته التعبيرية التي يرد بها ،إن مقارنة أو تشبيها أو استعارة ، فإنّه يقوم بالربط بين شيئين على أساس جملة من الخصائص المشتركة بينهما .

و يمكن القول :أن القياس هو البنية الاستدلالية لكل قول طبيعي حقيقة كان أو مجازا ، فإن كان الأوّل مجازا ، فإمّا أنّه استعاري أو غير استعاري ،فإن كان الأوّل فلا منازعة في صفة المشابهة القياسية التي تقوم بها الاستعارة ، و إن كان الثاني ، فمردّه إلى دلالة المفهوم المعتبر في القياس ، و أمّا إن كان القول حقيقة ،فلا مناصّ من التسليم بأن تعقله .

و هذا يعني أنّ القياس آلية منطقية حجاجية ،يمكن للمحاجج أن يعتمد عليها في إقناع المعترض بكلامه ،و عليه فإن الاستدلال القياسي يحتوي الآليات التي يتوالد بها كلّ خطاب طبيعي ، و تتكاثر بها أجزاؤه ، و تتماسك فيما بينها .

ج ـ الوسائل البلاغية :

[1]- مجلة المخبر :أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ، ص 281.

ميزة الكلام بين اثنين التخاطب ، مع وجود نيّة التأثير و بصور مختلفة ، و معنى هذا أنّ الكلام الذي يجيد استعمال اللّغة بفنونها ، يبلغ مراده من السامع ، و هذا يسمّى " الحجاج بالمجاز " أي باستعمال الصور البيانية ، خاصّة التمثيل و التشبيه ، خاصة إذا وُفّق المتكلّم في اختيار صوره و طبيعة المقام فما يصلح أن يكون في الفخر و التعظيم لا يصلح في الذمّ و المدح ، وهذا يعني أنّ ضروب الكلام متعددة منها : المدح ، الذمّ ، الحجاج ،الوعظ ، الافتخار ، الاعتذار ، و الكلام في هذه الأغراض ضربان : حقيقة و مجاز ،و لكلّ منهما مقامه و تأثيره ، وهذا يعود إلى طبيعة الحجاج ، أهو بالكلام الحقيقي ، أو بالكلام المجازي

و تعدّ الاستعارة أفضل ضروب المجاز و أشدّها وقعا على النفس ، و تأثير في العقل ، كونها تركيب يتناسى التشبيه ، كما تؤخذ أنواع المجاز الأخرى على حدّ الاستعارة في قوّتها ، إذا كانت في مقامها ، فالمجاز يكون أبلغ من مجاز في مواقف و مقامات ، فهذا مقام يكون أنسب للكناية من التشبيه و الاستعارة ، و آخر الاستعارة أنسب منهما ، وهذا طبعا يتوقف على معرفة المتكلّم للصواب و المجاز الناجح لمختلف الخطابات .

و الأمر نفسه يؤخذ على التشبيه في كونه وصف بقوة التأثير في السامع، و أيضا الكناية من زاوية بلاغتها ، و ما الحجاج إلاّ تأثير في الآخر بالمجاز يعمد فيه المتكلّم للحجاج بمعناه الباطن المشار إليه لأن الكلمة في المجاز تنقل من معناها ،و عن حكم كان بها إلى معنى و حكم ليس بحقيقة فيها .

والحقيقة أنّ الحجاج في كامل الرسالة يتعلّق فقط بباب السرقات،لأنّ في هذا الباب كلّما قال المتنبي بيتا احتجّ الحاتمي عليه ، و قال أنّه مسروق و أورد بيتا ليُبيّن أنّ البيت مسروق . و هنا فقط نجد الحجج و الأدلّة فيما يخصّ تلك السرقة ،و ما عدا هذا لا نجد لا حجة ولا دليل و الأمثلة التالية توضّح ذلك ،وهي تمثّل إحصاء لاحتجاجات الحاتمي في كامل الرسالة الموضّحة على أبيات المتنبي المسروقة ـطبعا ـ في رأي الحاتمي:

قال أبو الطيب:

ولَيلٍ دَجُوجيٍّ كأنا جلَتْ لنا مُحيّاكَ فــيه فاهتَديْنا السَّمالِـــقُ[1]

و حجة الحاتمي على أنّ هذا البيت مسروق قوله:" أما هذا فمن قول محمد بن مناذر " :لما رأيْنا هارونَ صارَ لنَا الـ ـلّيْلُ نَهاراً بذِكْرِ هارونـــــــــــــا[2]

قال أبو الطيب:

غذا الهُندُوَانيّاتِ بالهامِ والطُّلى فَهُنَّ مَداريها وهُـــنّ المَخانِـــــــــقُ[3]

وحجة الحاتمي هذا من قول أبي الهول الحميري:

حُسامٌغِذاه الرُّوحُ حتى كأنّــه منَ اللهِ في قَبضِ النّفوسِ رَســــــولُ[4]

قال أبو الطيب:

كأنك في الإعطاء للمالِمُبغِضٌوفي كلّ حَرْبٍ للمَنيّـــــةِ عاشِـــــقُ[5]

والحجة كانت أنّه من قول البحتري:

تسَرّعَ حتى قالَ مَن شَهدَ الوَغـى لقاءُأعَادٍ أمْ لقاءُ حَبـــــــائـــــــبِ[6]

قال أبو الطيب:

فتًى كالسّحابِ الجَوْنِ يُخشَى ويُرتجى يُرَجّى الحيَا منه وتُخشَى الصّواعِقُ[7]

فقال الحاتمي هذا من قول بشار:

يَرْجُو ويخشَى حالتَيكَ الوَرَى كأنّكَالجَنّةُ والنّـــــــــــارُ[8]

قال أبو الطيب:

---

[1]- أبو علي الحاتمي : الرسالة الموضّحة ،ص14

[2]- المصدر نفسه،ص14.

[3]- المصدر نفسه :ص 14.

[4]- المصدر نفسه : ص14.

[5]- المصدر نفسه : ص16.

[6]- المصدر نفسه : ص16.

[7]-المصدرالسابق :ص 14.

[8]- المصدر نفسه : ص18.

هيَ الغرَضُ الأقصَى ورؤيتُكالمُنى ومَنزِلُكَ الدّنيا وأنتَ الخَلائِقُ[11]

فقال الحاتمي هذا من قول أبي عيينة:

بغَرْسٍ كأمثالِ الجَواري وتُرْبةٍ كأنّ ثَراها ماءُ وَرْدٍعلى مِسكِ[2]

أو من قول عبد الصمد بن المعدّل:

يَمُجُّ نَداها فيه عفراءَ جَعدَةٍ كأنّ ثَراها ماءُ وَرْدٍ وعَنْبَـــــر[3]

قال أبو الطيب:

تَحَيّرَ في سَيْفٍ رَبيعَةٌ أصلُه وطابعُه الرّحمن والمجدُ صاقلُ[4]

قال الحاتمي هذا من قول أبي تمام :

مُتَدَفِّقاً صَقَلوا به أعراضَهُم إنّ السّماحة صَيقلُ الأحســـــابِ[5]

قال أبو الطيب:

ومن أيّ ماء كان يَسْقي جيادَه ولم تَصْفُ من مَزْجِ الدّماء المناهلُ[6]

قال الحاتمي هذا أخذ من قول أبي سعد المخزومي:

لايَشرَبُ الماء إلاّ من قَلِيبِ دَمٍ ولا يَبيتُ له جارٌ على وَجَـــــــــل[7]

قال أبو الطيب:

على عاتقِ المَلْكِ الأغَرّ نِجادُه و في يَدِ جَبّارِ السّمواتِ قائِمُـــــــــهْ[8]

---

(1)- المصدر نفسه :ص 14.
(2)- المصدر نفسه : ص18.
(3)- المصدر نفسه :ص 18.
(4)- المصدر نفسه : ص19.
(5)- المصدر نفسه :ص 19.
(6)- المصدرالسابق: ص19.
(7)- المصدر نفسه :ص 20

(8)- المصدر نفسه : ص20

قال الحاتمي أخذت هذا القول من أبي تمام :

لقد خابَ مَن أهدى سُوَيداءَ قلبهِ لِحَدِّ سِنانٍ في يَدِ اللهِ عامِلُـــــــــــــــــهْ[1]

قال أبو الطيب:

إذا سَمِعَتْ باسمِ الأميرِ حسِبتَها منَ التِّيهِ في أغمادِها تَتَبَسَّمُ[2]

قال الحاتمي أما هذا من أبي نؤاس نقلا من جهة إلى جهة:.

تَتيهُ الشّمسُوالقمــرُ المنيرُ إذا قُلنا كأنّهُما الأميـــــــــــرُ[3]

قال أبو الطيب:

مَشَى الأمراءُ حُوْلَيْها حُفاةً كأنّ المَرْوَ من زِفّالرِئال[4]

قال الحاتمي هذا من قول الصنوبري:

نَؤومُ الضّحَى أُهْبُ القَنافذِ عندَهُ إذا ما عَراهُ النَّوْمُ أُهْبُ الثّعالِبِ[5]

قال أبو الطيب:

أتَتْهُنَّ المُصيبَةُ غافلاتٍ فدَمْعُ الحُزْنِفي دمعِ الــدّلال[6]

قال الحاتمي هذا البيت من قول العباس بن الأحنف

بكَتْ غَيرَ آسِيَةٍ بالبكاءِترَى الدّمعَ في مُقلَتَيها غَريبـــــــا[7]

قال أبو الطيب:

ما أبعَدَ العيبَ والنّقصانِ من شِيَمي أنا الثَّرَيّا وذانِ الشّيبُ والهَرَمُ[1]

---

[1]- المصدر نفسه :ص 20
[2]- المصدر نفسه : ص20
[3]- المصدر نفسه :ص 21
[4]- المصدر نفسه : ص21
[5]- المصدر نفسه :ص 21
[6]- المصدر نفسه : ص21
[7]- المصدر السابق :ص 23.

قال الحاتمي كأن هذا البيت من كلام الشبلي أو سمنون الصوفي.

وهكذا تستمر المناظرة بين الحاتمي و المتنبي،فكلما قال الأخير بيتا ،دحضه الحاتمي ،بل و اعتبره مسروقا،و كان يعلل لذلك بإتيانه بيتا أو بيتين من قول شاعر آخر ،يتفق مع بيت المتنبي في اللفظ أو المعنى.

(1)- المصدر نفسه : ص23.

خاتمة

خاتمـــــــة:

إن الشعراء الكبار الذين شغل الناس بهم ،كانوا سببا في نشاط النقد الأدبي وامتداده بتلك الحيوية العظيمة ،التي ظهر أثرها في العديد من مؤلفات فحول النقاد، الذين أولوا اهتماما كبيرا بمسألة الموازنة بين الشعراء وبذلك يكونون قد منحونا فرصة التسليم بحكم ما. والاعتقاد بعدالة هذا الحكم ونزاهته ،وبأنه مبني على المقابلة والموازنة وقد ظهرت الموازنة مبكرا في تاريخ الأدب العربي وبقيت مسايرة له على مر العصور وازدهرت وبدت أكثر نشاطا في العصر العباسي بين كبار شعراء هذا العصر كبشار ابن برد ومروان ابن أبي حفصة وبين مسلم وأبي العتاهية وأبي نواس ثم بين أبي تمام والبحتري وبين المتنبي وخصومه كما هو الحال مع الحاتمي في رسالته الموضحة وأثناء دراستنا لها حللناها وفقا لمستويات عديدة وصدّرناها بالمستوى اللغوي حيث عاب الناقد كل تجاوز لا يضع اللغة في إطارها الذي يقتضيهالاستعمال المعجمي ، واعتمد ذلك مقياسا نحو تجويد النص واستحسانه ،حيث اعتبر كل توظيف لغوي للألفاظ المتنافرة التي تشكل ثقلا أو كراهة في السمع أو استغلاقا ...وتوظيفا غير موفق ومن ثم حكم على النص بالرداءة وعدم النضج ،وبذلك يكون قد ألزمه مراعاة أصالة اللغة العربية ،وذلك بالابتعاد عن كل توظيف لما هو أعجمي ومولد وعامي ، لأن ذلك في ـ رأيه ـ يفسد الشعر ويحط من قيمته،وهو بذلك يتناسى ويتجاهل أن سبب اختيار الشاعر لهذه الألفاظ هو التوازن الذي يتطلّبه النص الشعري وآليات إبداعه الفنية ،وهو بذلك يكون مرغما على استعماله.

وعلى المستوى البلاغي : لاحظنا تداخلا كبيرا بين النقد اللغوي والنقد البلاغي خاصة على مستوى الألفاظ أولا والتراكيب ثانيا .لأنّه يعتبر أحيانا أنّ اللفظة هي البؤرة في البديع و البيان،كما أجمع النقاد القدامى على وجوب فصاحة الألفاظ وذلك بالابتعاد عن توظيف الكلمات المتنافرة التي تحدث ثقلا واستغلاقا وكراهة في السمع ، وعن كل لفظ غريب حوشي أو عامي ؛لأن استعمالها يفسد الشعر وبذلك يفسد المعنى والغرض الذي أراد الشاعر التعبير عنه.

أما على مستوى التراكيب فقد نبّه الناقد إلى ضرورة حسن استغلال القضايا اللغوية كالتقديم والتأخير و الحذف والوصل ....لما لها من دور جمالي في تحسين العمل الأدبي وتجويده لكن الإكثار منها في النظم يؤدي إلى التعقيد والغموض الذي يذهب المعنى ،كما ألح على ضرورة استعمال البيان والبديع لأنهما يزيدان من جودة النص الشعري وتأثيره في القارئ

ومن دراستنا للرسالة نستخلص مايلي :لقد اصطدم كبرياء الحاتمي بكبرياء المتنبي ، و كانا متعاصرين يضمر كلاهما لصاحبه أقتم ألوان البغضاء، و الشاعر و الناقد حين يختصمان يصلان إلى أبشع صور التحامل و العدوان ، و لاسيما إذا اصطبغت الخصومة بصبغة سياسية،ظاهرها التعصّب للأدب ، و باطنها التحزّب الشنيع ، و هذا هو الذي وقع في خصومة الحاتمي و المتنبي الأمر الذي جعلنا نعتقد أنّ:

1- الداعي والسبب وراء تأليف الرسالة ليس بغرض تقييم المتنبي ونصحه إنما الداعي شخصي وهو الانتقام من المتنبي بسبب تعجرفه وتكبره عن مدح غير الملوك.

2- أن الحاتمي لم ينصف ولم يعدل وهذا عكس ما صرح به في مقدمة الرسالة.لأنّه ينطلق من خلفية هي أقرب إلى النزوة و الصراعات الشخصية.

3- الحاتمي غيّر وحرّف كثيرا في الرسالة وذلك بعد أن يخرج من مجلسه والأمر الذي ساعده علىتصوير نفسه دائما في صورة المنتصر .مما يعني أنّه يُغيّب المعني بالدراسة و النقد :و هو المتنبي و شعره.

4أظهر – الحاتمي - المتنبي في صورة جديدة غير تلك التي عهدناه عليها بأن جعله يصمت ولايرد على أسئلة الحاتمي وتعليقاته.و هذا يؤكّد سريان النقد في اتجاه غير موضوعي.

5- يعجب الحاتمي دائما بأشعار الآخرين حتى وإن كان شعرهم أسوأ وأضعف من شعر أبي الطيب.

6 - معظم تعليقات الحاتمي النقدية : سطحية وبسيطة ولا ترقى إلى مستوى النقد البناء خاصة إذا تعلق الأمر بشعر المتنبي .مما يجعل ملاحظاته غير مؤسسة .

7- خلو الرسالة من التعليل وحتى وإن علل يكون سطحيا ولصالح الحاتمي .و هو جوهر الأحكام الذاتية

8 - هناك من يعتبر أن ما جاء في الرسالة ومجالسها الأربعة هو من نسج خيال الحاتمي وأن هذا لم يحدث وإنما لكي ينتقم الحاتمي من المتنبي ألف هذه الرسالة وأحط من قيمة المتنبي وقيمة شعره فيها ، وما هذا إلا لأنه لايستطيع أن يجتمع معه في مجالس كهذه .

9- كما أن هناك من يعتبر أن أحدا آخر غير الحاتمي ألف هذه الرسالة ونسبها إلى الحاتمي لعلمه بما يكنه له في صدره من عداوة وحقد وبغضاء .

10-سعى الحاتمي من خلال نقده لأبي الطيب تنبيه الشاعر خاصّة ، و الشعراء عامة إلى ما ينبغي تجنّبه في قرض الشعر ضمانا لمواءمة نصوصهم مع تجاربهم الإبداعية .

11- يعتبر النقد الموجود في الرسالة نقدا تطبيقيا ، لأنه ابتعد غالبا عن العناصر الأجنبية عن النص، كما قلّل فيه التنظير ، و تمحور حول النص الشعري الذي هو ديوان المتنبي، و أسهم في تقوية منزلة النقد التطبيقي في القرن الرابع الهجري و ترسيخه .و هو ما أفاد الحركة النقدية في التحقّق من النصوص ، و اختبار النظرية ،و إعطاء دفع قوي لحركة الشعر المحدث التي كانت بحاجة منذ دخولها القرن الرابع إلى نقاد متمرّسين .

و أخيرا لا يدّعي البحث أبدا إلمامه بكلّ مواضيع الرسالة من خلال الخطة المتبعة فيه بقدر ما يضيء الطريق لبحوث قادمة ، تضطلع بالوقوف على مناحي أخرى من الرسالة ، كدراسة منهج الحاتمي في التأليف و النقد ، والعديد من المواضيع التي يمكن تناولها في هذه الرسالة.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1- القرآن الكريم برواية ورش.

2- أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي:الرسالة الموضحة في ذكر سرقات أبي الطيب المتنبي و ساقط شعره ،تحقيق:محمد يوسف نجم ،دار صادر للطباعة و النشر،بيروت،1965.

3-احسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري،دار الشروق، عمان ، ط1993،1.

4- أحمد مطلوب: اتجاهات النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري ، وكالة المطبوعات .

5 - أبو بكر محمد بن يحي الصولي: أخبار أبي تمام ، تحقيق خليل عساكر محمد عبده عزام ،ونظير الاسلام الهندي، المكتب التجاري ، بيروت (د.ط)(د.ت)

6- بدوي طبانة:أبو هلال العسكري و مقاييسه النقدية و البلاغية الأنجلو مصرية ،1960،

7- جابر عصفور:الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي ،دار الثقافة للطباعة و النشر ،القاهرة 1974.

8 -ابن جني أبو الفتح عثمان:الخصائص،تحقيق،محمد علي النجار،عالم الكتب بيروت(د،ت)

9- حسين عبد القادر :

1-اثر النحات في البحث البلاغي ،دار نهضة مصر لطباعة والنشر، الفجالة ، القاهرة (د.ط)(د.ت) .

2- فن البلاغة ، دار نهضة مصر لطبع والنشر، الفجالة القاهرة (د.ط)(د.ت).

11 - حنّا الفاخوري وآخرون: منتخبات الأدب العربي ، المطبعة البوليسية ، ط 1 ، 1955.

12 ـ عبد الرحمن شعيب : المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث،دار المعارف ، مصر ،ط2،(د.ت).

13 ـ رضوان ظاظا : مدخل إلى مناهج النقد ، ترجمة : رضوان ظاظا وآخرون، عالم المعرفة ، الكويت ،(د.ط) 1997.

14 ـ زكي مبارك : النثر الفني في القرن الرابع هجري ، مؤسسة هنداوي لتعليم والثقافة (د.ط) (د.ت).

15- أبو سعد محمد بن احمد العميدي : الإبانة عن سرقات المتنبي ،تقديم وتحقيق وشرح ، إبراهيم الدسوقي البساطي(د.ط)(د,ت).

16- سلام محمد زغلول : تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى آخر القرن الرابع الهجري ، منشآت المعارف الإسكندرية،(د.ط)(د.ت).

17 ـ طه احمد إبراهيم : تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،(د.ط)(د.ت).

18- عباس أرحيلة : الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، المملكة المغربية ، ط1999.

19 ـ ابوالعباس شمس الدين ابن خليكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر،(د.ط)(د.ت).

20- عبد العزيز الدسوقي : في عالم المتنبي،دار الشروق ،طبعة 2 ،1988.

21 ـ عبد العزيز المانع سعاد : سيفيات المتنبي ، دراسة نقدية للاستخدام اللغوي ، عمادة شؤون المكتبات ، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية،(د.ط)(د.ت).

22 ـ أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي :إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، لبنان، ط 1 ،1993.

23 ـأبو على الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في صناعة الشعرونقده، ج 1،تحقيق: مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ،ط1، 1983.

24 ـ علي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه ،تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان،ط 1، 2006.

25 ـ أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي :

حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق: جعفر الكتاني ،دار الرشيد لنشر ، العراق،(د.ط)1979.

26ـ فتوح احمد محمد : شعر المتنبي قراءة أخرى ،كلية دار العلوم ،جامعة القاهرة،ط 2 ،1988.

27 ـ أبو الفضل جمال الدين ابن منظور: لسان العرب :تحقيق: عامر احمد حيدر ،دار الكتب العلمية ، بيروت،ط1، 2005 .

28 ـ أبو القاسم إسماعيل ابن عباد الصاحب: الكشف عن مساوئ شعر المتنبي،تحقيق:الشيخ محمد بن حسن آل ياسين،مكتبة النهضة، بغداد،ط1، 1965.

29ـ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي:الموازنة بين أبي تمام و البحتري، تحقيق: السيد أحمد صقر ،دار المعارف،القاهرة ،مصر ،ط1994،4.

30ـ مجدي أحمد توفيق:مفهوم الابداع الفني في النقد العربي القديم،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة،1992.

31ـ محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي: عيار الشعر، شرح و تحقيق:عباس عبد الساتر،مراجعة نعيم زرزور،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط2005،2.

32 ـ محمد خطابي : لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام النص، دار المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط1،(د.ت).

33 ـ محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب: دار نهضة مصر الطباعة و النشر،الفجالة القاهرة.

34ـ محمد مصطفى هدارة:مشكلة السرقات في النقد العربي ،دراسة تحليلية مقارنة،الأنجلو مصرية،القاهرة،1958.

35ـ مصطفىناصف:نظرية المعنى في النقد العربي ،دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت لبنان(د،ت)

36 ـ محي الدين صبحي :نظرية النقد العربي وتطورها،الدار العربية للكتاب ،ط1981،1.

37 ـ أبو مسلم عبد الله بن مسلم بن قتيبة :الشعر والشعراء، تحقيق: مفيد قميحة، محمد أمين الضناوي،، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3 ، 2005.

38ـ عبد الله بن محمد بن المعتز: كتاب البديع : نشر وتعليق اغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة ، بيروت، لبنان ،ط1982،3.

39 ـ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية ، صيدا،بيروت،(د.ط)،1986.

40 ـ يوسف البديعي : الصبح المنبّي عن حيثية المتنبي، تحقيق: مصطفي السقا ، محمد شتا،عبدةزيادة،دار المعارف، ط2، (د.ت).

41ـ عبد الواحد علام :قضايا و مواقف في التراث النقدي ،مكتبة الشباب ،القاهرة ،مصر 1991.

الدواوين:

1ـديوان أبو الطيب المتنبي:تحقيق :عبد الوهاب عزام،دار بيروت للطباعة و النشر 1983.

2ـديوان أبو تمام،تحقيق راجي الأسمر،دار الكتاب العربي،ط1994،2.

3 ـديوان الأعشى،تحقيق محمد حسين ،مكتبة الأدابالجماميز.

4ـديوان امرئ القيس،تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار المعارف ،بيروت ،لبنان،ط5.

5- ديوان البحتري:تحقيق حسن كامل الصيرفي ،دار المعارف ،مصر،ط3.

المجلات:

1 ـ مجلة المخبر:عباس حشاني أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، جامعة بسكرة،العدد13، الجزائر ، 2013.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة..... ص أ

أولا:المدخل:الملامح العامة للنقد الأدبي في القرن الرابع الهجري..... ص4

1ـالصراع النقدي حول أبي تمام و البحتري:..... ص5

2ـالخصومة حول المتنبي:..... ص 11

3ـالتأثير اليوناني في الثقافة العربية:..... ص 32

ثانيا:الفصل الأول: معايير النقد الأدبي عند الحاتمي..... ص33

أولا: المعيار اللغوي..... ص35

ثانيا: المعيار البلاغي(الأسلوبي)..... ص 56

1- التشبيه..... ص 57

2 - الاستعارة ..... ص 63 3

- الكناية..... ص 71 4 -

الطباق..... ص71

5- الجناس :..... ص 72

6-المبالغة..... ص72

7- الغلـــو:..... ص73

ثالثا: المعيار التداولي(اجتماعي، نفسي، دلالي)..... ص74

الفصل الثاني: ملامح التجربة النقدية..... ص85

أولا:النزعة التقويمية للأحكام النقدية:..... ص86

1-ما استهجن قوله ..... ص 86

2- ما استحسن قوله..... ص 93

ثانيا: الملمح المعرفي للحكم النقدي..... ص104

ثالثا: بنية المعيار النقدي..... ص111

1- بنية المعيار الشعري..... ص111

أ- تعريف البنية ..... ص 111

ب-البنية الشعرية ص111

2 ـالمعيار النقدي..... ص 113

1- الموازنة بين الشعراء..... ص113

أـ عمود الشعر.. .....ص 114
ب ـالطبع و التكلف. .....ص 114
ج ـاللفظ و المعنى.....ص 116
2ـ السرقات الشعرية..... ص 117
رابعا:تعليـــــل المعيـــــــــار النقـــــــــدي..... .....ص119
الفصل الثالث: أبعاد التجربة النقدية.....ص122
أولا:البعد الاجتماعي للتجربة النقدية.....ص124
1ـ مفهوم البعد الاجتماعي.....ص125
2ـ مبدأ القراءة النقدية الاجتماعية ص125
ثانيا:البعد النفسي للتجربة النقديـــــة.....ص140
1ـالقراءة التحليلية النفسية ص140
2ـ استدعاء التحليل النفسي للأدب .....ص 141
3ـ السيرة النفسية ص142
ثالثا: البعد الأخلاقي للتجربة النقدية.....ص147
1ـ مفهوم البعد الأخلاقي.....ص147
2ـ التفكير الفلسفي عند المتنبي .....ص 148
3ـ مقارنة بين شعر المتنبي و حكم أرسطو طاليس.....ص149
رابعا:البعد الحجاجي للتجربة النقدية ص153
1ـ مفهوم الحجاج ص153
2ـبواعث الحجاج ص155
3ـ تقنيات الحجاج ص156
خاتمة:.....165
قائمة المصادر و المراجع:.....ص169
فهرس الموضوعات.....ص 175
ملخص بالعربية
ملخص بالفرنسية
ملخص بالانجليزية

الملخّص: لا يختلف اثنان أن الإرث الأدبي والنقدي الخاص بأبي الطيب المتنبي يعد من أكثر قضايا هذا التراث أهمية وخصوبة وتناقضا، فقد كان المتنبي وشعره على السواء منذ القرن الرابع للهجرة ، حتى هذا اليوم محور حركة نقدية دؤوبة لا تعرف السكون أو الجمود ، وليس مردّ ذلك بطبيعة الحال إلا للخصوصية التي تميز هذا الشاعر وشعره ،من غيره من الشعراء على مر العصور الأدبية ،حتى أصبح المتنبي ظاهرة فريدة في عالم الشعر لا يمكن تكررها أو إغفالها ولذلك فقد انبرت أقلام النقاد على مختلف اتجاهاتها ومذاهبها الفنية ومواقفها المناوئة أو المساندة للمتنبي للتصدي لهذه الظاهرة الأدبية العظيمة ، شرحا ونقدا وتأويلا، مما دفع الدارسين إلى الاهتمام به و دراسة أشعاره و من هؤلاء: الحاتمي الذي عُني باقتفاء أثر المتنبي بشيء من التجريح و النقد.

إنّ ما نستطيع أن نخلص إليه من هذه الرسالة بشكل عام ،أنّ أغلب النقد السائد فيها جار في إطار:النقد اللغوي ، انطلاقا من منهج الحاتمي الذي اتّجه نحو المسائل اللغوية ،حتى أن العلماء القدماء يجمعون على أن الاختصاص الغالب على الحاتمي هو اللغة،و هذا لأنه وصف مرات عديدة بأنّه كاتب و أديب و إخباري بينما وصف مرات قلائل بتقدّمه في الأدب و حذقه بالنقد . و ما يؤكد ذلك أنّه أثناء تحاوره مع المتنبي خلال المناظرة يرد الأخير عن تعليقاته بقوله:"يا هذا مسلمة إليك اللغة ...و لكنّك من الشعر بعيد"،و ربما يكون لهذا السبب الأثر الواضح في ضعف قدرة الحاتمي على استشفاف ما في شعر المتنبي من حسن و جمال و روعة فنية،فضلا على تحامله الكبير عليه،لأن هذا كان دأب سواد النقاد اللغويين و هم يتعرضون للنقد الفني ، و هذا لكي يخفوا و لو قليلا عجزهم عن الغوص في معاني الشعر و تحليله و الكشف عن جوانبه الفنية و الجمالية.

كما نستنتج أنّ هذه الرسالة لا تمثّل طريقة الحاتمي في الكتابة و لا مذهبه في النقد ـ كما قال زكي مبارك ـ بقدر ما تمثّل ـ حسب رأينا ـ رغبة الحاتمي في النيل من المتنبي و هذا للأسباب المذكورة آنفا ،ذلك أنّ بصيرة الحاتمي النقدية ،أثناء تناوله لشعر المتنبي ،قد حُجِبت بعصابة التحامل و التعصّب ،و لذلك نراه يحسن تناول أشعار الآخرين في كثير من المواضع، حتى إذا ما وصل إلى شعر المتنبي عمد إلى المغالطة و التناقض،إذ نراه يقابل كثيرا من أشعاره بالسخرية و الاستهزاء ،فضلا عن تعمّده الابتعاد عن الجيد الرائق من شعر المتنبي ،في حين يختار من ردوده على ما يرميه به من تهم .

Résumé:

Personne ne conteste que l'héritage littéraire et monétaire privé Abu Tayeb el mutanabbi est l'un des plus de problèmes ;Ce patrimoine et l'importance de la fertilité et de la contradiction, l'Mutanabi et ses cheveux était à la fois depuis le quatrième siècle ;Pour les migrations, à ce jour l'objet de sommeil persistant de mouvement de trésorerie ou ne savent pas l'impasse, pasCela est parce que, bien sûr, mais de la vie privée qui distingue ce poète et sa poésie, d'autres,Poètes à travers les âges littéraires, même Mutanabi deviennent un phénomène unique dans le monde de la coiffure ne,Peut être répété ou omis donc critiques Stylos a entrepris de diverses tendances et doctrines artistiques,Et positions ou de soutien pour les anti-Mutanabbi pour remédier à ce phénomène littéraire unique, et une explication en espèces,Et l'interprétation, ce qui incite les étudiants à prêter attention à lui et étudier ses poèmes, et de celle qui HatimiMe,TracingMutanabi quelque chose de la diffamation et de la critique.

Ce que nous pouvons conclure de cette lettre pour lui, en général, que la plupart du change en vigueur là où voisin,Dans la fenêtre: l'échange linguistique, de sorte que les anciens savants conviennent que le territoire souvent ,Hatimi est la langue, et pour ce qu'il a décrit à plusieurs reprises en tant que scénariste et écrivain et nouvelles tandis description,Son avance à quelques reprises dans la littérature et de la trésorerie Hzgah. Et ce qu'elle confirme qu'ils négocient à travers avec Mutanabi,Lors du dernier débat donnée pour ses commentaires, en disant: "O musulmans cette langue pour vous ... et vous avez de Nick Les poeme longs, "et peut-être pour cette raison
De toute évidence, l'impact de la faiblesse de la capacité de Hatimi à discerner ce qui dans Mutanabi se sentait bien et,La beauté et la splendeur de l'art, ainsi que sur la grande Thamlh, parce que cela a été constamment assombrissement critiques linguistes
Ils sont des témoins et critique d'art, et ainsi pour cacher leur incapacité à plonger dans le sens des cheveux et Analyse et la divulgation des aspects techniques et esthétiques

Commenous concluons quecette lettrene représentepas la façonHatamipar écritet nonen espècescommedoctrineZakiMoubarakditautant quece que nousavons vucomme représentantla volontédu Nil enHatamietceMutanabbiPour les raisons mentionnéesci-dessus, de sorte que aperçutrésorerieHatami, tout en abordantles cheveuxMutanabbi, peut Retenupréjudicedes gangset de l'intolérance, et noussommes tellementvoirmangeraméliorela poésiedes autresdans de nombreuxPositions, même si ils sont arrivésdans les cheveuxMutanabidélibérément desophismeet de la contradiction, comme nous le voyonscorrespond
Beaucoup de sespoèmesle ridiculeet la dérision, ainsi que d'unemanœuvre délibéréeau détriment du biendela poeme de elMutanabi, tandis que choisi parmiles réponses àce quele jeterdecharges

The summary:

No one disagres that the literary heritage of Abu Tayab El Mutanabbi is one of the most important with its variety and quality.

El Mutanabbi′s poetry has been being a point of great critical movement since the fourth century that hasn′t stopped yet. Because of that poet and his special poetry a long those centuries.

El Mutanabbi becomes a single case in poetry it wont be again that′s why the different critics tried to study and analyse it.thy explained and criticized his poetry, that mode the students and searches think over and take great care in studying his poetry and his personality.El hatimi who studied El Mutanabbi′s poetry critically .

We sum up this letter that most of critics that used to be was language critics stouting with El Hatimi who focused on language points which makes the scientists agreed that El Hatimi was specialized on the language that′s why he was described as a writer ,poet and informer many times and sometimes and sometimes was described as a literary but not a critic when he debated with El Mutanabbi.he was answered that ″you are great in language but faraway of poetry″.may be that′s what made El Hatimi unable to understand El Mutanabbi′s poetry and that was the bad point of the critics which made them unable to discover the beautiful meanings and analyzing them .

We also conclude that this letter doesn’trepresent El Hatimi neither his writing nor his doctorine of criticism.

ZakiMubarak said that El Hatimi was eager to obtain from El Mutanabbi because of the previous reasons.El Hatimi was blind during his studying El Mutanabbi′s poetry.

On the other hand we found him talking about other poets well in many situations but when he talking about El Mutanabbi he used the fallacy and contradiction and faced many poems critically.

ثبت اصطلاحي

The world's key:	**Les mots clés :**	**الكلمات المفتاحية:**
Traits and caractristiques	Les traits et les caractéristiques	الملامح والخصائص
The critique expirement	L'expérience critique	التجربة النقدية
The struggle between Elhatimi and Elmotanabi	Le conflit entre Alhatimi et Almotanabi	الصراع بين الحاتمي والمتنبي
Elmouadiha letter	La lettre Almouadhiha	الرسالة الموضحة
Elmoutanabi poems	Le poème de Almoutanabi	شعر المتنبي
Elmotanabi steals and his colloquial poems	Les vols de Almotanabi	سرقات المتنبي وساقط شعره
Dexriptive and evaluated study	Etude dexriptive	دراسة وصفية تقويمية
The critique values	les valeurs critiques	القيم النقدية